# نيل الأماني في شرح التهاني

للحبر الهمام أستاذ الأئمة الأعلام
الإمام أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى سنة ١١٠٢ ﻫ
على قصيدته الدالية في مدح شيخه الغوث الكبير والعلم المنير
أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي المتوفى سنة ١٠٨٢
رضي الله تعالى عنهما ونفع بعلومهما المسلمين آمين

(تنبيه) قد اشتملت هذه القصيدة التي بلغت ٥٤٠ بيتاً على أنواع من العلم، فمن فنون العرب ثمانية، ومن فنون التصوف أربعة. هذا إلى ما احتوت عليه من براعة المطلع وحسن التخلص والانتهاء إلى ما ركبت عليه من ضروب البلاغة وما دبجت عليه من أفنان البديع وفيها أيضاً جملة وافرة من اللغة ينتفع بها الاديب ولا يستغنى عنها اللبيب

(يطلب من مكتبة القاهرة)
لصاحبها: علي يوسف سليمان
بشارع الصنادقية بميدان الأزهر بمصر
دار الطباعة المحمدية بدرب الاتراك بالازهر بمصر

( إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لِحِكْمَةً )

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ الإمام والصدر الهمام. حجة الإسلام إمام الطريقة، ومعدن الحقيقة الأجل خاتمة المحققين علم المهتدين أبو علي شيخنا الحسن بن مسعود اليوسي رضي الله تعالى عنه : الحمد لله أهل الحمد والثناء ذي العظمة والكبرياء والسناء، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا المحمود في الأرض والسماء، وعلى آله وأصحابه ذوي القدر الأسمى والمنزلة الشماء

( أما بعد ) فقد كنت سنة سبع وسبعين قلت قصيدة أمتدح بها شيخنا الرباني، وأستاذنا العرفاني، أوحد زمانه في العلم والدين، وشيخ أوانه في تربية المريدين. سيدنا أبا عبد الله محمد بن ناصر الدرعي متع الله بوجوده وأسبغ عليه وعلينا به سوابغ جوده وأهنيه بمقبله من حجته الثانية، فرأيت كثيراً من رواتها تنبو أفهامهم عنها ويستغربون كثيراً منها فيعدون منها الدهش(١) ضرسا(٢) والسلس(٣) شكسا (٤) وما ذلك إلا لعموم الغباوة والجهل على أبناء الدنيا وتقاصر هممهم عن العلوم ولا سيما علم اللسان فأردت أن أصنع تقييداً مختصراً يبين لحفاظها ما عسى أن يشكل من ألفاظها غير متصد لتقدير معانيها وتحرير مالم يكن عنه بد من مبانيها. إذ ذاك يتسع ويطول ويفتقر

---

(١) دهش كفرح : تحير ووله مع شدة اللذة من سياقها الأنيق المطرب.

(٢) الضرس : الصعب

(٣) السلس ككتف : السهل اللين المنقاد من معانيها ومبانيها.

(٤) الشكس : الصعب العسر.

إلى أزمان وفصول ، فان القصيدة بحمد الله تعالى من بركة الممدوح بها قد اشتملت من العلم على أنواع فى كل منها مجال رحب للركض(١) والإيضاع ( فن فنون العرب ثمانية) النسيب والأمثال والحكم والوصايا والوقائع والمديح والاستعطاف والتهنئة وفيها غير ذلك كالأوصاف والافتخار وسير المطايا ونحو ذلك (ومن فنون التصوف أربعة ) الوعظ وشرح المملكة الإنسانية وآداب السلوك ومنازل السالكين إلى ما يتبع ذلك كنسب الطريقة وصفة القدوة ونحو ذلك وفيها مع ذلك جملة وافرة من اللغة ينتفع بها حفاظها .

هذا إلى ما احتوت عليه من براعة المطلع وحسن التخلص والانتهاء إلى ما ركبت عليه من ضروب البلاغة وما دبجت عليه من أفنان البديع ، وكل ذلك بحمد الله تعالى على أبلغ وصف وأبدع رصف ، وحسبك منها أنها قد طالت إلى نحو خمسمائة بيت وأربعين بيتا ولا يوجد فيها روى مكرر ولا ضرورة تستنكر وإذا تأمل ذلك كله وغير ذلك من محاسنها اللبيب المنصف عدها كرامة من كرامات الشيخ الممدوح بها، فانى والله ليس لى فيها قوة ولا حول وإنما هى نفحة من نفحاته وبركة من بركاته وإنما هو كما قال أبو الطيب :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه ... وإن لم تشأ تملى على فأكتب

بل كما قال الآخر :

لا تنكرن إذا أهديت نحوك من ... علومك الغر أو آدابك النتفا
فقيم الباغ قد يهدى لمالكه ... برسم خدمته من باعه التحفا

وأصل هذا المعنى لأبى الحسن ابن طباطبا حيث قال :

لا تنكرن إهداءنا لك منطقا ... منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله عز وجل يشكر فعل من ... يتلو عليـــه وحيه وكلامه

ومن محاسنها أن نسيبها جار على أسلوب معظم القدماء من بكاء منازل الأحباب والأثر

(١) الركض، استحثاث الفرس للعدو وتحريك الجناح والايضاع الاسراع فى السير

على التحقيق لا على مجرد الفرض كما هو حال معظم المحدثين والله الموفق وهذا أولها :

عَرِّجْ بِمُنْعَرِجِ الهِضَابِ الوُرَّدِ     بَيْنَ اللِّصَابِ وَبَيْنَ ذَاتِ الأَرْمَدِ

التعريج: حبس المطية مثلا على المنزل. والمنعرج. المنعطف والهضاب الجبال المنبسطة على الأرض جمع هضبة . والورد جمع وارد وهو المشرف على الماء والداخل فيه واللصاب الشعاب الضيقة جمع لصب بكسر اللام والأرمد تراب على لون الرماد والمعنى . أن الشاعر جرد من نفسه مخاطبا فأمره بحبس الركاب والوقوف عند هذه الجبال بين تلك الشعاب وبين تلك الأرض الرمداء التراب لأنها كانت منازل الاحباب وهى منازل معلومة فى أرضه ومنازل لقومه وكذا ماذكر بعد هذا البيت ووصف الجبال بالورد لأن أسافلها متصلة بنهر هناك فشبهها بالورد وفى البيت براعة المطلع لاعتبار الهضاب بهضاب العلم والدين الواردين من عين الحقيقة وبحر الشريعة كالشيخ الممدوح بها رضى الله تعالى عنه والتعريج حبس مطايا الارواح والقلوب والابدان على مخالطتهم ومودتهم وخدمتهم والاستفادة منهم ، والاقتداء بهم وشكرهم على ذلك بالافعال والاقوال ، ومن الشكر الثناء عليهم كهذه القصيدة فى هذا الشيخ . ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة     يدى ولسانى والضمير المحجبا

ثم قال :

وَأَجِزْ مِنَ الجِزْعِ الَّذِى بِحَضِيضِهِ     أَجْدَاثُ أَصْدَاءِ العَشِيرِ الهُمَّدِ

الإجازة والجواز بمعنى تقول جزت المكان وأجزته وكثير أما يفرق بينهما فيقال جاز المكان إذا سار فيه وسلكه وأجازه إذا خلفه وأنفذه والجزع بالكسر منعطف الوادى ومنقطعه الذى ينجزع فيه أى ينقطع والحضيض القرار من الأرض حيث ينقطع الجبل والاجداث القبور جمع جدث بفتحتين والاصداء أجساد الموتى جمع صدى بالفتح والقصر والعشير المعاشر والصديق والقريب والالف واللام فيه للجنس ولذا وصف بالهمد ، أى الاموات جمع هامد ، نحو قوله تعالى « أو الطفل الذين

لم يظهروا على عورات النساء، ومن كلام العرب : أهلك الناس الدينار الصفر والدراهم البيض . ومعنى البيت أنه أمره أيضا أن يجيز البلد أى يسلكه أو يقطعه من ناحية هذا الوادى الذى كان بأسفله قبور المشائر والاحبة الهالكين. وهذا أيضا موضع معلوم كانت فيه مقابر قومه، ومنهم والده رحمة الله تعالى عليه، وعلى جميع المؤمنين. ثم قال :

وَارْبَعْ عَلَى الرَّبْعِ المُحِيلِ هُنَيْئَةً ... إِنَّ الرُّبُوعَ رَبِيعُ قَلْبِ الأَكْمَدِ

الربع الوقوف ومنه قول العرب اربع على نفسك وعن ظلعك ، وهو مصدر قولك ربع يربع والربع المنزل ، والمحيل الذى أتى عليه حول ، يقال أحال فهو محيل ومحول. وهنيئة ساعة. وفى نسخة تعلة . وهى ما يتعلل به . والربيع المطر والزمان الذى يكون فيه النور والكمأة ، وأطلق على ما ترتاح اليه النفس . كما فى الحديث : اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، وذلك لان النفوس ترتاح عند الربيع وتنبسط والاكمد المحزون حزنا شديدا ، ومعنى البيت : الامر بالوقوف والمكث عند منازل الاحبة تعللا بها فانها ربيع القلوب وريحان النفوس . ثم قال :

وَقِفِ المَطِيَّ عَلَى دِيَارِ أَحِبَّةٍ ... كَانُوا الغِيَاثَ مِنَ الزَّمَانِ الأَنْكَدِ

وقف المطايا حبسها . تقول وقفتها والامر منه قف. وديار الاحبة منازلهم وفى نسخة منازل جيرة جمع جار ، والغياث اسم بمعنى الاغاثة ، وهو بكسر الغين وتخفيف الياء ويطلق على الشخص مبالغة . فيقال فلان غياث قومه . أى هو الذى يستغيثون به فيغيثهم . والزمان الانكد الضيق أو العسر أو المشئوم ، ومعنى البيت ظاهر ثم قال:

وَإِذَا مَرَرْتَ فَحَيِّ حَيًّا إِنْ هُمْ ... أَذِنُوا إِلَيْكَ أَوِ المَنَازِلَ تَرْدُدِ

المرور بالموضع: المجاوزة عليه والتحية : السلام يقال حيه أى سلم عليه ، والحى البطن من الناس ، وأذن اليه بكسر الذال . استمع له ومعنى البيت : أنه يقول إن مررت بمنازل حى فحيهم أى سلم عليهم إن وجدتهم بها فاستمعوا اليك ، وإن لم تجدهم فحى المنازل أى سلم عليها تردد عليك السلام لانها لا تتركك من كثرة عرفانها لك ثم قال :

قَوْمٌ عَزِيزٌ جَارُهُمْ لَكِنَّهُمْ يَسْلُو بِهِمْ عَنْ وَالِدَيْنِ وَمَوْلِدِ

السلوان : النسيان . تقول سلا عن حبيبه وسلاه وسليه سلوانا إذا نسيه ، ومعنى البيت : أنه وصف القوم الذين ذكروا قبل بوصفين : أحدهما المنعة وعزة الجناب ، وكنى عن ذلك بعزة الجار ، والثانى الإحسان وكرم الاخلاق ، وكنى عن ذلك بكون الغريب يسلو بهم عن والديه . ولا أحب منهما ، وعن وطنة الذى هو أول أرض مس جلده ترابها وناهيك بنسيانه ذلك وهذا تأكيد المدح بما يشبه الذم . ثم قال :

مِنْ كُلِّ ذِى شَمَطٍ جُذَيْلٍ رَائِشٍ رأياً كَسَهْمٍ فى الْعَوِيصِ مُسَدَّدِ

الشمط بياض فى شعر الرأس يخالط سواده . شمط الرجل بالكسر فهو أشمط والجذيل تصغير جذل بكسر الجيم ، وهو فى نحو هذا عود ينصب للابل الجراب تحك به . ويقال للرجل يرجع اليه ويستشفى برأيه جذل حكاك والجذيل المحكك . والتصغير للتعظيم ومنه قول الانصارى : أنا جذيلها المحكك ، وقد بسطنا الكلام عليه فى زهر الاكم وراش السهم يريشه الزق عليه الريش . والرأى نظر العقل . والعويص الشديد . الصعب من الامور والمسدد المقوم . ومعنى البيت أن القوم المذكورين منهم الاشمط يستشفى برأيه فكأن آراءه فى كل مشكل سهام مريشة مقومة ثم قال :

وأَشَمَّ مُكْتَهِلٍ كَعَضْبٍ بَاتِرٍ أعْدَدْتَهُ لِلنَّائِبَاتِ مُجَرَّدِ

الاشم السيد ذو الانفة ، والمكتهل الذى صار كهلا وهو دون الشيخ ، والعضب الباتر السيف القاطع وإعداد الشىء ادخاره لوقت الحاجة اليه ، والنائبات ما ينزل بالإنسان من أمور الدهر . والمجرد المسلول من غمده ، ومعنى البيت أن منهم أيضاً من هو كهل ذو سودد وذو نفاذ فى الامور كأنه السيف المسلول ثم قال :

جَوْدٍ لَدَى جُودٍ وَطَوْدٍ شَامِخٍ حِلْماً وهَوْدٍ فى الْخُطُوبِ مُمَهَّدِ

الجود بفتح الجيم المطر الغزير والجود بضم الجيم السخاء . والطود الجبل . والعود

المسن من الإبل وأصبرها ، والسمهدد الجسيم منها ؛ ومعنى البيت وصف الكهل المذكور بأنه في غاية الجود وفي غاية الحلم وفي غاية الصبر والاحتمال عند الخطوب النازلة . وشبهه في ذلك بثلاثة أشياء المطر الغزير والجبل العظيم والعود الجسيم على الترتيب ولم نتكلم على ما في هذا وغيره من أنواع البلاغة الاختصار . ثم قال

وَفَتًى لَهُ إغْنَاءُ كَهْلٍ مَشْهَداً وَحِجَا الْمَشِيخَةِ فى حَدَاثَةِ أَمْرَدِ

الفتى الشاب . والحجا العقل . والمشيخة جمع شيخ والحداثة الصغر في السن والامرد غير الملتحى ومعنى البيت أن من القوم أيضاً من هو شاب ولكنه يغنى في المشاهد أى مواطن الحرب إغناء الكهول ، أى يقوم مقامها وهذا على مذهب من يرى تفضيل الكهول والمشايخ أى على الشبان في اللقاء لما لهم من التجربة والثبات . وله أيضاً عقل المشايخ مع حداثة السن ونسب الإغناء للكهول لانها أقوى والحجا للمشايخ لانها أعقل . ثم قال

وَقْفٍ عَلَيْهِ نَوَاظِرٌ ومَسَامِعٌ لَسَناً ولَيْثٍ فى اللِّقَاءِ مُحَرَّدِ

الوقف الموقوف تقول هذا وقف على هذا أى موقوف عليه . والنواظر نواظر العيون واللسن بفتحتين الفصاحة تقول لسن بالكسر فهو لسن ، والليث هو الاسد والمحرد المغضب تقول حرد بالكسر غضب . ومعنى البيت وصف الفتى بأن عيون الناظرين محبوسة عليه لصباحته ، ومسامعهم مصغاة اليه لفصاحته ، وهو مع ذلك في المواطن كالاسد إذا غضب شدة بأس وكراهة ملق ، وهذا آخر التقسيم الذى ذكره فانه قسم القوم إلى شيخ وكهل وشاب فاستوفى وأحسن الترتيب . ثم قال

وأَفِضْ غُرُوبَ الدَّمْعِ فى عَرَصَاتِهَا وَاسْتَنْجِدَنْ غُرَّ الْغَمَائِمِ تُنْجِدِ

يقال فاض الماء فيضا إذا كثر حتى سال . والغروب جمع غرب ويطلق على الدلو العظيمة وعلى عرق في العين وعلى الدمع وعلى سيلانه وانصبابه ، والعرصة الرحبة لا بناء فيها والاستنجاد الاستعانة وغر جمع غراء وأغر وهو الابيض والاشهر من كل شيء . ومعنى البيت الامر بافاضة غروب الدمع أى دلائه على الاستعارة أو عروقه التى

تسق أو الدموع المنهلة على إضافة الصفة للموصوف فى عرصات تلك الديار أى ديار الأحبة المذكورة أولا وأن يستعين بالغمائم لتعينه على البكاء وفيه أن دموعه وقطر الغمائم سواء . ثم قال :

فَلَعَلَّ عَبْرَةَ سَاعَةٍ يُشْفَى بِهَا     إِرْبَابُ وَجْدٍ فى الجَنَانِ مُخَلَّدِ

العبرة بفتح العين الدمعة ، والارباب الإقامة : يقال أرب بالمكان إربابا أقام به ، والوجد بالفتح الحزن ، والجنان : بالفتح القلب ، والخلد : المدام ، وفى نسخة محول مستوقد ، أى حزن طويل مشتعل . يقول أكثر من البكاء لعل البكاء يشفى ما بالفؤاد من الحزن الدائم . ثم قال :

ثُمَّ اسْقِهَا فَلَطَالَمَا أَسْقَيْتَهَا     بَدَلَ الحَيَا بِمَعِينِ عَيْنِكَ تَثْأَدِ

السق : معروف ، تقول سقيت فلانا إذا رويته الماء وكذلك الأرض وتقول أسقيته إذا دعوت له بالسقى فقلت سقاه الله هذا هو الأفصح وربما كان بمعنى الأول ، والحيا : المطر المعين الجارى ، والثأد الندى أو مكان تبريد ومعنى البيت أنه يقول اسق هذه المنازل بمعين عينك أى بالدمع بدل المطر تثأد بذلك فلطالما كنت تدعو لها بالسقى قبل أن تقف عليها فالمجرور أعنى بمعين متعلق باسقها ، ومن الفرق بين سقى وأسقى قوله :

سقى الله جيرانا بأكثبة الحمى     من العارض الهتان صوب عهاد
بلاد بها حلت سليمى وأهلها     لحل فؤادى عندها ووادى
وإنى متى أسقيتها أو بكيتها     هياما فما أسقيت غير فؤادى

ثم قال :

وَطَنٌ عَهِدْتُ بِهِ الشَّبِيبَةَ وَالصِّبَا     إِلْفَيْنِ لَيْسَ أَخُوهُمَا بِمُنَكَّدِ

الوطن محل الإقامة ، والشبيبة الشباب ، والصبا بالكسر والقصر : ما يكون فيه الجهل والفتوة والصباء أيضا بالفتح والمد . اللعب ويصحان معا هنا ، والإلف الصديق المألوف والمنكد . المضيق من نكد عيشه بالكسر ضاق ، ومعنى البيت أنه يصف الوطن .

الذى ولد فيه وقضى فيه أيام الشباب والصبا وهما ألذ شىء إلى النفس أى تلك المواطن السابقة هى وطنى . ثم قال :

وَرَفَلْتُ فى أثْوَابِ عَيْشٍ بَاسِقٍ     عَذَبَاتُهُ أنِقِ المُحَيَّا أرْغَدِ

يقال رفل يرفل: إذا جر ثوبه وتبختر، والباسق: الطويل ، بسقت النخلة بسوقا طالت ، وعذب كل شىء بفتحتين وعذبته : طرفه ، والأنق : السرور والفرح ومحبة الشىء والاعجاب به، وأنق بالكسر فهو أنق: والمحيا الوجه كله أو جزؤه، والأرغد : الواسع ومعنى البيت أنه يقول فى ذلك الوطن أتبختر فى عيش واسع ، غير أنه تارة يتخيل العيش كاللباس فينسب اليه الرفلان ، وتارة كالحدائق المثمرة فيجعل أشجاره مرتفعة طويلة الأعالى ، وتارة كالشخص المأنوس به فيجعل وجهه معجباً أو فرحاً مستبشرا وهذا كله تلون فى الاستعارة التخييلية . واعلم أنه افتتح القصيدة أولا عربية غير مولدة من نقش أهل البدو ولبسة العباء وخرشنة اليرابيع ومضغة القيصوم أى بالمصافاة ورعاة اليصقير وحلبة الشول ونفوسهم ، وهم أولى بالاسجال وأحق بالقبول والاقبال لأنهم فرسان البراعة وقادة الناس فى هذه الصناعة ، غير أن ألفاظهم اليوم عادت مستودعة ومذاهبهم أصبحت منكرة وذلك لغلبة العجمة على أهل الزمان فاقتصروا على ألفاظ علولة وتراكيب مصنوعة يتداولونها بينهم ويعدون ماسواها غريباً وحشياً ولم يعلموا أن الغريب إنما يعرف بعد معرفة المستعمل من لغة العرب بالتبحر فيها والاطلاع على معظمها ، وإلا فالجهول المجتنى يسقط الريح جميعها عنده غريب فلذلك أراد أن يسكن من ذلك النفس فى هذه الأبيات شيئا ما تنفيسا عن الطالبين وإحماضا للمتعاطين وينحو منحى نفس أهل الحضر لبسة السندس وقطفة النرجس مع التزام الفصيح المستحسن والتحرز عن المبتذل المستهجن . ثم قال :

وَقَطَفْتُ مِنْ زَهْرِ السُّرُورِ نَوَاضِراً     وَهَصَرْتُ مِنْهُ بِالْغُصُونِ المُيَّدِ

قطفت النور: جنيته، والناضر: الحسن الناعم ، والهصر: الكسر، والميد: جمع مائد وهو المتمايل من النعمة . ومعنى البيت أنه يصف ما نال من السرور واللذات فى ذلك

الموطن وجعل لذلك أزهاراً وغصونا على سبيل التخييل ، ثم قال :

أيّامَ كُنْتَ رَخِيّ بَالٍ فى ذَرَى  حَدِبٍ عَلَيَّ مُوَسِّنٍ ومُوَسِّدِ

الرخى البال : الناعم القلب الفارغ من الهم وأصله من الرخاء وهو سعة العيش يقال : رخو بالضم ورخا يرخو ورخا يرخى ورخى يرخى فهو رخو ، والذرى بالفتح : الساحة والحمى ، والحدب بفتح فكسر : المدافع ، حدب عنه دافع عنه حدبا ، والموسن . المنوم من السنة وهى أول نوم . والموسد : جاعل الوسادة ومعنى البيت : أنه يقول – إن ذلك العيش وذلك السرور كان أيام كان رخى البال فارغا من الهموم والأشغال لكونه كان فى كنف والد يدافع عنه كل غم ويوسده وينومه وذلك أيام الصبا أيام الصحة والفراغ والعيش الهنى والقلب الخلى . قال :

ألْهُو بِأحْدَاثِ الزّمَانِ مُرَاغِماً  لِأنُوفِهَا عَبَثَ الْوَلِيدُ المُسْتَدِى

اللهو : معروف ، وأحداث الزمان ما ينزل بالانسان وهى فى الأصل شاملة لما ينزل من خير وشر ولكن إذا أطلقت فى هذا المعنى أريد بها خصوص حوادث الشر والهم ، والمراغمة المغالبة والمقاهرة من قولك رغم أنفه بالكسر إذا التصق بالرغام أى التراب واستعمل فيها إذا هان وذل ، وأرغم الله أنفه فعل به ذلك وأرغمت فلانا كذلك ولم ترد به المفاعلة فى نحو هذا وإن كانت أصله ، والعبث : بفتحتين هو اللعب بلا مبالاة ، والوليد . الصبى والمستدى : اللاعب بالجوز ، يقال سدى الصبى بالجوز واستدى بها وزدى وازتدى إذا كان يرمى بها لاعباً . ومعنى البيت . أنه كان فى أيام الصبا لا يبالى بنوائب الدهر وأحداثه أقبلت أو أدبرت فهو يضحك منها ويلعب بها كما يلعب الصبى بالجوزة وفى ذلك رغم أنوفها حيث لم تجد سبيلا إلى التأثير لا فى بدنه لرفاهيته وقيام غيره عنه بما يحتاج إليه ولا فى قلبه لغرة الصبا وجهالة الفتوة وعدم التهمم والتفكر لا فى الحال ولا فى المآل ثم قال :

مُرْخِى العِنَانِ يَرُوضُ كُلَّ لُبَانَةٍ  مَرِحاً بِها مَرَحَ الفَلُوّ المُخْضِدِ

إرخاء العنان . كناية عن الاطلاق وعدم الوازع والزاجر والآمر وذلك فى الصبا

موجود من جهة الشرع إذ القلم مرفوع عنه إذ ذاك ومن جهة العادة إذا كان مرفها ، والبانة الحاجة تقضى ولكن من غير فاقة بل بحكم الشهوة واقتراح التهمة فقط فهى أعلى من مطلق الحاجة وأخص والمرح بفتحتين: الأشر والبطر والتبختر والاختيال والفلو على مثال عدو : المهر هنا ، ويقال أخضد المهر إذا جاذب المزود نشاطا ومرحا . ومعنى البيت أنه وصف وصفا آخر من الانطلاق على اللذات مع غاية السرور والمرح . ثم قال :

لاَ أَخْتَشِى ظُفْراً ولاَ نَاباً ولاَ  أَشْجَى لِبَيْنِ مُغَوِّرٍ أَوْ مُنْجِدِ

أصل الظفر والناب المفترس كالأسد ، وهما آلتا المخوفة منه . ثم يقال فلان أصابه ظفر الدهر ونابه أو هو بين الظفر والناب وذلك على الاستعارة التخييلية بأن يجعل غير الأسد أسدا كما يقال أنشبت المنية أظفارها بفلان ، والشجا : الحزن ، والمغور سالك الغور وهو ما انخفض من البلاد ، والمنجد سالك النجد وهو ما ارتفع من الأرض وكان ذلك فى بلاد العرب معلوما ويصح أن يطلق فى غيره ، ومعنى البيت أنه وصف أيضا نفسه بوصفين أحدهما أنه آمن فلا يختشى ناب الدهر ولا ظفره وذلك لكونه مكفيا ، والثانى أنه خلى الفؤاد من الحزن فلا يسأل عمن طلع ولا من هبط وذلك لعدم الهوى والسلامة من نار الصبابة واجتماع الشمل وعدم عدوان البين . ثم قال :

والدَّهْرُ سِلْمٌ والخُطُوبُ غَوَافِلٌ  والعَيْشُ غَضٌّ وَالأَمَانِى حُفَّدِ

السلم مصدر سالم يقال فلان سلم لك أى مسالم وحرب أى محارب ، والخطوب الأمور والشئون والغض الناعم ، والأمانى جمع أمنية وهو ما يتمنى ويطلب . والحفد جمع حافد أى خادم ويقال أيضا حفدة ، ومعنى البيت أنه يقول إن ما تقدم من العيش الرخى فى تلك الأيام السالفة كان والحالة أن الدهر مسالم لا يرمى بمصائبه والخطوب غافلة لا تهوش بأنيابها والعيش ناعم طرى لم يتكدر بذبول ولا قلة والمنى طائعة كلما دعيت أجابت وهذه مبالغة وهى أن تكون المنى طالبة غير مطلوبة وخادمة غير مخدومة

وهذا الأمر موجود للصبي لأنه مكفي ماوهب ممنوح ماطلب ولذا يقال احكم حكم الصبي على أهله . ثم قال :

مَا دَوْحَةٌ فَينَانَةٌ أوْ رَوْضَةٌ بِخَمِيلَةٍ أوْ فِي يَفَاعٍ أَنْجَدِ

الدوح . العظيم من الشجر ، والفينانة . الكثيرة الورق الطويلة وأصله في الشعر يقال امرأة فينانة كثيرة الشعر ورجل فينان حسن الشعر طويله ، والروضة الموضع يستنقع فيه الماء وتكون من البقل والعشب ، والخميلة المنخفض من الأرض يكون مكرمة للنبات أو الرملة تنبت الشجر ، واليفاع : التل من الأرض وهو الرابية ، والأنجد المرتفع ومعنى البيت أنه ذكر شيئين يستحسنان في مرأى العين وهما الأشجار الناضرة المتهدلة . وفي نسخة بل روضة للانتقال من الاول إلى الثاني على رأى من يجعلها لذلك بعد النفي . ثم قيد الروضة بأن تكون إما في الخائل أو في النجود وهما أبهج زهراً ثم قال :

سَحبَتْ عَلَيْهِ ذُيُولَهَا مُزْنُ الحَيَا وسَخَتْ عَلَيْهِ بِكَفٍّ وَاكِفِهَا النَّدِي

السحب : الجر . والذيول جمع ذيل . والمزن جمع مزنة وهي السحابة أو البيضاء منها أو ذات الماء . وسخت جادت تقول سخا عليه يسخو سخوا أي جاد عليه والواكف : المنهل من المطر ، ومعنى البيت أنه يصف المكان الذي يكون روضه وينبت الأزهار المونقة والأشجار المورقة بأن السحائب قد جرت عليه ذيولها وجادت عليه بمائها فأثبت للسحائب الذيول تخييلا لانبساطها على الأرض وأثبت لها الكف التي يكون بها الجود . وفي الندى تورية . ثم قال :

يُسْقَى مِنَ الْوَسْمِيِّ مُتْرَعَ كَأْسِهِ وَيُصَانُ مِنْ نَسْجِ الْوَلِيِّ بِبُرْجُدِ

الوسمي : مطر الربيع الاول ، والمترع : المملوء ، والصون : الستر ، والولي المطر بعد المطر والبرجد . ثوب غليظ مخطط . ومعنى البيت أنه يصف المكان أيضا بأن يسقى كؤوس المطر الأول مترعة : وفي ذلك نهاية الري ويلبس من وشي الكلأ والزهر بعد الثياب

التى تعفيه وتستره ، وفى ذلك نهاية الحسن ، وهذا كله استعارات ثم قال :

مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الذُّيُولِ كَأَنَّهَا  ...  عَكَرٌ تُسَامُ عَلَى الرُّبَى بِالمُرْعِدِ

سابغة الذيول كاملتها ، وهو وصف للغمامة والعكر بفتحتين وقد تسكن الكاف الكثير من الإبل فوق الخمسمائة وسومها وإسامتها : رعايتها ، والربى جمع ربوة وهو ما ارتفع من الأرض ، والمرعد السحاب ذو الرعد يقال رعد وأرعد . ومعنى البيت أنه يبين ما مر من مزن الحيا أو الوسمى أو الولى وأنه كل سحابة سابغة الذيول أى منتشرة على الأرض كأنها الإبل الكثيرة التى تجتمع وترعى فوق الربى وشبه صوت الراعى بصوت الرعد لأنه يحثها ويحركها وجعله مرعدا باعتبار أنه ملك الرعد يرعد ثم قال :

نَثَرَ الجَنُوبُ جُمَانَهَا فَتَقَلَّدَتْ  ...  لَبَبُ الرِّيَاضِ بِحَلْيِهَا المُتَبَدِّدِ

النثر : التفريق ، والجنوب : الريح التى تقابل الشمال قالوا ومهبها من مطلع الشمس إلى مطلع الثريا ، والجمان اللؤلؤ ، والتقلد التحلى بالقلادة ، واللبب بفتحتين : جمع لبة وهى المنحر وموضع القلادة من الصدر وأنث فعله لاعتباره لبة أو لاكتساب التأنيث من المضاف اليه ، والحلى ما يتحلى به من جواهر وعين مثلا ، والمتبدد المتفرق ومعنى البيت أنه يصف تلك السحاب بأن الرياح نثرت ماءها على الأرض فوقعت القطرات على الأرض كأنها اللؤلؤ فى الاجياد ، وهذا كله استعارة . ثم قال :

فَتَدَفَّقَتْ أَنْهَارُهَا وَتَفَتَّقَتْ  ...  أَزْهَارُهَا فِى رَوْضِهَا المُسْتَأْسِدِ

يقال استأسد الروض إذا التف نباته وكثر ، ومعنى البيت : أنه يصف البقعة بعد وقوع الغيث عليها بأنها تدفقت أى تفجرت أنهارها وتفتقت : أى تفتحت أزهارها فى روض كثير النبات أثيث العشب فناهيك بها مرتعا ومنهلا . ثم قال

وَتَسَاجَلَتْ أَطْيَارُهَا وَتَمَايَلَتْ  ...  أَشْجَارُهَا كَالمُثْمَلِ المُتَمَيِّدِ

التساجل . التباهى والسقى بالسجال وهى الدلاء ، ثم استعمل فى المباراة فى الغناء والشعر ونحو ذلك ، والمثمل الذى أثمله الشراب أى أصاب عقله والمتميد . المتميل سكرا ومعنى

البيت أنه يصف الروضة أيضا بغناء الاطيار ، وذلك دليل نعمتها إذ لا تنزل الاطيار إلا على ذلك ولا تغنى إلا معه وبتمايل الاشجار لريها ونضارتها . ثم قال :

وَجَرَى لَطِيفُ نَسِيمِهَا بِرِيَاضِهَا   جَرْيَ الزُّلاَلِ بِغُصْنِهَا الْمُتَأَوِّدِ

النسيم الريح إذا كان ضعيفا فوصفه باللطيف كالكشف ، والزلال . الماء الصافى ، والغصن المتأود المتمايل . ومعنى البيت أنه يصفها أيضا بأن النسيم يجرى فيها وهو مما ترتاح اليه النفوس ، وهو فى لطافته كالماء الجارى فى الغصون ، وهذا وصف آخر استتبعه وبالاستتباع يسمى فى البديع . ثم قال :

مَا شِئْتَ مِنْ ثَمَرٍ يَلَذُّ وَمَنْظَرٍ   أَنِقٍ وَصَوْتٍ فِى الْغُصُونِ مُجَسَّدِ

الثمر بفتحتين والثاء المثلثة . حمل الشجر كائنا ما كان ، واللذة ضد الالم تقول لذذت الشىء ألذه إذا وجدته لذيذا والصوت المجسد المحسن على ألوان . ومعنى البيت أنه يقول فى الروضة ماشئت من الثمار وماشئت من منظر معجب وماشئت من صوت حسن للأطيار ففيها متعة الاذواق والابصار والاسماع . ثم قال :

وَحَبَابِ جِرْيَالٍ يُخَلْخِلُ سَاقَ أُمْـ   لُودٍ بِهَا فَخْمِ الذَّوَائِبِ مُمْأَدِ

حباب الماء بفتح الحاء معظمه أو نفخاته التى تعلوه ، والجريال بكسر الجيم الخمر والخلخلة أريد بها التخلخل أى تخلخل الماء لاصول الشجر وهذه اللفظة تقع فى كلام الادباء المتأخرين يقصدون بها التورية بلبس الخلخال بقرينة الساق معه فوقعا فى البيت على حسب ذلك ولم يوجد فيما وقع اليناس كتب اللغة خلخل بمعنى تخلخل نعم يقال تخلخل الامر والجيش إذا تفرق وهو كالمطاوع له ولم يوجد أيضا فى لبس الخلخال وإنما يقال تخلخلت المرأة إذا لبسته ولكن إطلاق المخلخل على موضع من الساق يؤذن بجواز أن يقال خلخله وخلخلها فان لم يجز الاول وجاز هذا كان استعارة لا تورية بأن شبه الماء فى إحاطته بساق الشجر بالخلخال المحيط بساق الجارية وإن جازا معا فهو تورية أو توجيه وقد وجدت اللفظة فى خلخلت العظم أخذت ما عليه من اللحم وتصح

الاستعارة منه أيضا لأنه فى معنى البحث والتفتيش والماء يفعل ذلك فى الأرض، وتمام البيت جار على الأمرين معا فان الأملود هو الناعم إما من الشجرة أو من أشخاص الناس والفحم الشديد السواد والذوائب إما ذوائب الشعر وهو أصله وإما الورق مجازا والمائد الناعم الذى يميده الرى أى يميده ويعطفه لنعومته ونضارته وان أريد به الشخص فهو يتمايل شبابا واختيالا أو تميله اليد الجاذبة وأطلق الجريال على الماء على التشبيه فى الحلاوة والصفاء . ومعنى البيت : ظاهر مما ذكر والمراد حسن ذلك المنظر ثم قال :

أَوْ أَمْنِ ذِى نَزَقٍ خَلِيعٍ لُبُّهُ أَوْ غَفْوَةِ الإِصْبَاحِ بَعْدَ تَهَجُّدِ

الأمن ضد الخوف والفرق بفتحتين الفزع يقال فرق بالكسر فرقا ، والخليع اللب هو المخلوع القلب أى المنزوع من الخوف والغفوة النعسة يقال غفا غفوة وغفوا وإغفاء إذا نام والتهجد السهر وهو ترك الهجود أى النوم . ومعنى البيت . أنه ذكر أمرين يستلذان أحدهما الأمن عقب الخوف المفزع والآخر النوم فى الصبح عقب السهر وهو أحلى شىء . ثم قال :

أَوْ عَذْبِ مَشْرَعَةِ الْفُرَاتِ عَلَى ظَمًا أَوْ وَصْلِ حِبٍّ بَعْدَ هَجْرٍ مُبْعَدِ

العذب من الماء الحلو والمشرعة موضع الورود ، وفى نسخة الشارعة ؛ وهو وصف الوارد أطلق على المكان أو على المصدر وهو الشروع مجازا ، والفرات بالضم نهر معروف بالكوفة ، ويطلق الفرات على كل عذب من الماء جدا . والظمأ العطش الشديد ، والوصل ضد الهجر ، والحب بالكسر المحب ، والمبعد الذى طال زمانه وهو إما اسم فاعل كما تقول أبعد فلان فى سيره ، وإما اسم مفعول كما تقول أبعدته فهو مبعد . ومعنى البيت أنه ذكر لك أيضا هنا أمرين آخرين يستلذان . أحدهما الماء العذب بعد العطش ، الثانى وصل الحبيب لك بعد هجرانه الطويل . ثم قال :

بِأَلَذَّ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِى لَوْ مَحَا مَا خَطَّهُ الدَّبَرَانُ سَعْدُ الأَسْعُدِ

اللذة نقيض الألم والالذ الأقوى لذة والمحو محو الكتاب والخط الكتب والدبران بالتحريك من منازل القمر وسعد الاسعد منزل آخر ويقال له سعد السعود والمجرور أول البيت خبر ما النافية فى قوله : مادوحة فينانة أو روضة . ومعنى البيت أنه يقول ما الدوحة والرياض الموصوفة بما مر وما عطف عليها من الاشياء المستحسنة بألذ من تلك الليالى أى ليالى الصبا . أى بل ليالى الصبا ألذ من ذلك كله لو كانت ترجع وذلك بأن يبطل نحس الدبران الذى ذهب بها سعد السعود فتأتى وهذا ما اشتهر توهمه من كون الدبران نحيسا وكون سعد السعود سعيدا كما قال الشاعر .

إذا دبران منك يوم لقيته  أؤمل أن ألقاك غدوا بأسعد

فتوهم هنا أن الدبران كتب على ليالى الصبا وأيام الشباب بالذهاب والإدبار فلو قام سعد السعود فمحا ذلك المكتوب لرجعت وكون ليالى الصبا وريعان الشباب ألذ شىء إلى النفوس أمر لا يجهل وناهيك بزمان العيش فيه هنى والقلب خلى والقوى فى ازدياد والمنى طوع المراد ، وما أحسن قول ابن حمديس فى هذا .

فاذا فارقت أيام الصبا  فالليالى بأمانيك شحاح

ومن استلذاذ أيام الصبا كان حب النفوس للوطن وحنينها للمولد كما قال ابن الرومى

وحبب أوطان الرجال اليهم  مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم  عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وإن أردت الشفاء فيما ورد فى هذا المعنى من كلام الشعراء فعليك بكتابنا زهر الاكم ثم قال

فَثَنَى أعِنَّتَهَا الزَّمَانُ وأسْفَرَتْ  طَلَعَاتُهَا مِنْ بَعْدِ وجْهٍ أرْبَدِ

ثنيت العنان ونحوه رددته والعنان عنان اللجام والإسفار الإضاءة والإطلاق يقال أسفر الصبح والطلعة الوجه والاربد من الربدة وهو لون مائل إلى الغبرة والعرب تقول ظليم أربد ونعامة ربداء والجمع ربد ومعنى البيت : أن سعد السعود لو محا النحس عنا لرجعت إلينا ليالى الشباب يثنى الزمان إلينا أعنتها أى أعنة الليالى واستبشرت وجوهها مقبلة الينا بعد ما كانت عابسة معرضة . ثم قال :

وَاسْتَبْدَلَ الأيَّامُ ذَابِلَ عَيْشِهَا غَضًّا وَبَالِيَ وَصْلِهَا بِمُجَدَّدِ

الذابل . ضد الغض . ومعنى البيت أنه لو كان ذلك لاستبدلت الأيام عيشها الذابل بالعيش الغض الطرى الناعم واستبدلت وصلها البالى بوصل جديد وهذا كله مجاز على طريق الاستعارة ولما استعار لها نحو العنان والوجه صح للزمان التصرف فيها ثم قال :

سَقْيًا لِأَيَّامٍ وإِخْوَانٍ مَضَوْا حَدَثٌ حَدَا بِهِمُ لِأَنْحَى مُلْحَدِ

تقول سقيا لزيد . إذا دعوت له بالسقيا . وحدا الرجل بالإبل . إذا غنى بها للتسير عند سوقها . وحدث الزمان ما يحدث فيه كالموت وأنحى الرجل على آخر ضربا . أقبل عليه بذلك واللحد الشق فى القبر وألحده جعل له الحدا أو دفنه . ومعنى البيت أنه يقول سقى الله أياما مضت وهى أيام الشباب وإخوانا ساقهم القضاء إلى مثابر المنايا فأنشبت فيهم الظفر والناب ودفنهم تحت أطباق التراب وفى نسخة مضوا احدث حدا بهم لمنح ملحد وهى بمعنى هذه وتنكيره الحدث فيها لتعظيمه وتفظيعه كما يقال : شر أهر ذا ناب ثم قال :

وَمَنَازِلٍ وَظِلَالِ عَيْشٍ مُورِقِ الْـ ـأَغْصَانِ لَيْسَ غُرَابُهُ بِمُطَرَّدِ

يقال أورق الشجر إذا كان له ورق . والمطرد والمطرود بمعنى وهذا مثل يقال إذا كان الناس فى الخصب والخير الواسع وهم فى عيش لا يطار غرابه ولا يطير غرابه ، قال النابغة :

ولرهط حراب وقد سورة فى المجد ليس غرابه بمطار

واستعمل فى البيت مطرد مكان مطار لأنه فى معناه ووصف العيش بكونه مورق الأغصان وذلك ظاهر ثم قال :

وَمَعَاهِدٍ وَمَحَاضِرٍ طَارَتْ بِهَا عَنْقَاءُ مُغْرِبَةٌ إِلَى مُتَصَعَّدِ

المعاهد المواضع التى عمرت فيها الأحبة والمحاضر مواضع حضورهم وعنقاء مغربة ويقال عنقاء مغرب قيل اسم لا يعرف له مسمى وقيل طائر عظيم كان يبعد فى طيرانه وكان فى زمن

بعض الأنبياء يختطف الصبيان فشكاه أهل البلد إلى ذلك النبي فدعا عليه فقطع الله نسله ويقال في الشيء طارت به العنقاء إذا ذهب واضمحل والمتصعد بفتح العين مكان الصعود أي وطارت العنقاء بتلك المعاهد والمحاضر إلى مكان لامطمع في بلوغه كما قيل :

وطارت بذاك العيش عنقاء مغرب . ثم قال :

هَلْ مِنْ عَشَايَا فِي عَذَايَا مُشَّرٍ     مَوْلِيَّــةٍ مَوْشِيَّــةٍ مِنْ عُوَّدِ

العشايا جمع عشية . والعذايا جمع عذية يقال هذا البلد يعذو إذا طاب هواؤه وأرض عذاة وعذية طيبة بعيدة عن الماء والوخم والمشر جمع ماشرة وهي الأرض التي اهتز نباتها وقد يقال أرض ناشرة بمعناه ويقال مشرت الشيء مشرا أي أظهرته والمولية الارض التي سقيت بالولى وقد مر والموشية التي وشيت بأنواع النبات وأصناف الأزهار والعود جمع عايدة أي راجعة . ومعنى البيت أنه يتمنى ويقول هل تلك العشيات التي كنا نتقاضى فيها طرائف اللذات في الأرضين الطيبات المهتزة بأنواع النبات تعود الينا . دخلت من على الخبر كما دخلت على المبتدأ توكيداً للكلام ويجوز أن يكون الثاني مبتدأ أيضا على نية استفهام آخر كما لو أردت أن تقول هل من رجل قائم فقلت هل من رجل من قائم وتحذف الخبر فيهما . وفي ذلك من المبالغة والدلالة على قوة التلهف مالايخفى على كل من رزق حظا من الذوق في أساليب الكلام العربي ثم قال :

وَتَجَاذُبِ الْخُلَصَاءِ كَاسَاتٍ بِهَا     م الأُنْسِ أعْذَبَ مِنْ سُلَافَةِ صَرْخَدِ

التجاذب التفاعل من الجذب: يقال تجاذبنا الكلام والحديث ونحو ذلك . والخلصاء جمع الخلص بالكسر وهو الخدن وجمع الخالص أيضا الصافي المحبة وهو القياس والكاسات جمع كأس والانس ضد الوحش وحذف نون من وهو جائز كثير والسلافة الخمر ، وصرخد بلد بالشام تنسب اليها الخمر وتجاذب بالجر عطفا على العشايا ، ومعنى البيت أنه يقول هل تعود تلك العشيات واجتذاب الانس فيها بين الأحباب احسن لذة وأطيب نشوة من تعاطي كؤوس الخمر الصرخدية واستملاح العشيات مشهور كما قيل :

وعشية كم كنت أرقب وقتها     سمحت بها الأيام بعد تعذر

ثم قال الحماسى :

فليست عشيات الحمى برواجع    عليك ولكن خل عينيك تدمعا

ثم قال :

وَمَطَارِفَ مِلْوِدٌ يَلْتَحِفُونَهَا    يُرْخِي الْخَفِيُّ عَلَى الْخَفِيِّ بِمِحْفَدِ
وَيَشُونَهَا حِبَرًا بِبَــذْلٍ فَائِضٍ    مُتَكَايِلِيهِ نَدًا بِأَوْفَى مِحْفَدِ
وَقَرَيْنَ فَرْوَتَهَا بِعِزٍّ تَالِدٍ    سَمِقٍ أَعَالِيــهِ عَرِيقِ الْمَحْفَدِ

المطارف جمع مطرف على مثال مكرم وهو ثوب من خز مربع ذو أعلام والود الحب والالتحاف الاشتمال والارخاء الارسال والحفى الصديق المعتنى النصوح والمحفد على مثال منبر طرف الثوب والوشى نقش الثوب من أي لون والحبر ثياب موشية عندهم والبذل العطاء جودا والتكايل من الكيل تقول كلت له وكال لى وتكايلنا والندى السخاء والمحفد على وزن الأول قدح يكال به والوفر التحصين والحفظ والفروة ثوب معروف والفروة الغنى والثروة والعز التالد القديم الأصيل والسمق العالى يقال سمق الشىء سموقا إذا علا وطال والعريق المتمكن يقال أعرق الشجر إذا اشتدت عروقه فى الأرض المحفد على مثال مجلس الأصل ، ومعنى الأبيات الثلاثة أنه يقول إن هؤلاء الخلصاء كانوا يتجاذبون ملابس من المودة يرخى الصديق على صديقه منها بطرف ثوبه حنانا وشفقة وإحسانا وفتوة وذكر الثوب والالتحاف والإرخاء مجاز عن إهداء الخير والتعميم بالبر والتعامل بالصفح والستر والتعاون فى القل والكثر وذلك ثمرة الود كما ذكر بعده وكانوا يشون هذه الثياب أى يزينونها بالبذل الفائض الكثير يكيل كل واحد لصديقه بأوفى مكيال فان الندى والإحسان هو زينة المحبة وآية المودة وكانوا محصنين فروتها أى حوزتها تعبيرا بالثوب على ذلك مجازا أو ثروتها بعز تالد مرتفعة مبانيه ثابتة قواعده فان العز هو حافظ النعمة وكفيل العصمة وهذه أيضا مجازات ثم قال :

هَيْهَاتَ يَرْتَئِبُ الزُّجَاجُ إِذَا انْثَأَى    وَيَعُودُ شَيْخٌ فى شَبَابِ الْفُرْهُدِ

دَرَجُوا كَمَا دَرَجَ القُرُونُ وَغَالَهُمْ  مَا غَالَهُمْ وَالمَرْءُ غَيْرُ مُخَلَّدِ

هيهات اسم فعل بمعنى بعد تقول هيهات زيد وهيهات السفر وهيهات يخرج عمرو وأى هيهات أن يخرج والارتئاب الانجبار تقول رأبت الشيء إذا أصلحته وفى نسخة ينجبر بمعناه والانفثاء الانقطاع تقول فأت الشيء فانفأى والفرهد الغلام السمين التام الخلق المراهق والدروج المشى والانقراض تقول درج القوم إذا انقرضوا . والقرون جمع قرن وهو من الزمان مائة عام ونحوه ومن الناس كل أمة انقرضت فهو قرن ، والغول الاهلاك وغاله الشيء أى أهلكه ، ومعنى البيتين أنه يقول هيهات أن تعود ليالى الصبا ويرجع عنفوان الشباب بعد ذهابه وكل ماذكر معه كما أن الزجاج إذا انكسر لا ينجبر والشيخ لا يعود غلاما فالأحبة الذين مضوا لا يرجعون إلى يوم الحشر فانهم درجوا أى انقرضوا كما انقرضت القرون قبلهم وغالهم من المنون ما غال غيرهم والمرء لا مطمع له فى الخلود فى الدنيا فان « كل نفس ذائقة الموت » ، وهذا الكلام تخلص إلى فن آخر من الكلام وهو الوعظ والتذكير وخروج من النسيب والتشبيب ، واعلم أن التشبيب عندهم فى الأصل هو ذكر أيام الشباب واللهو والغزل ويكون ذلك ابتداء قصائد الشعر ثم سمى ابتداء الأمر تشبيباً وإن لم يكن فى ذكر الشباب ، وقال فى لسان العرب تشبيب الشعر ترقيق أوله بذكر النساء وهو من تشبيب النار وتأريثها وشبب بالمرأة قال فيها الغزل والنسيب والتشبيب انتهى وقال أبو الطيب : « إذا كان مدحا فالنسيب المقدم » ثم قال :

فَسَقَى مَرَابِعَهُمْ شَآبِيبُ الرِّضَى  دِيَمًا مِنَ المَلِكِ الكَرِيمِ الأَجْوَدِ
وَسَرَى طَخَاءَ الجُرْمِ عَنْ سَرَوَاتِهِمْ  عَفْوُ العَفُوِّ المُفْضِلِ المُتَغَمِّدِ

المرابع جمع مربع وهو المنزل فى الربيع أطلق هنا على القبر لأنه يكون محل تنعم ، والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر ، والديم جمع ديمة وهو المطر الدائم وسرى الشيء عن الشيء ألقاه عنه ، والطخاء الغيم ، والجرم الذنب والسروات الظهور جمع سراة ، ومعنى البيتين أنه يدعو للأحبة الذين درجوا أن يسقى الله مرابعهم شآبيب

الرضوان وهذا على أسلوب العرب فى ذكر القبر يقولون سقى الله القبر وسقى الله ثراه والمراد الميت وأن يزيل الله الخطايا عن ظهورهم وعلق الأول باسمه تعالى الكريم إذ المراد فيه الإحسان والانعام وهو متعلق الكرم والفضل والجود وعلق الثانى باسمه العفو لأن القصد فيه الغفران وهو متعلق العفو والغفران . ثم قال :

إِنَّ المَنُونَ هِيَ السَّبِيلُ فَمَنْ يَكُنْ      لَمْ يَنْتَهِجْهُ بِرَحْلِهِ فَكَأَنْ قَدِ
وَالدَّهْرُ مِضْمَارُ الْفَتَى فَإِذَا رَدَى      مِنْهُ إِلَى أَمَدٍ يُعَمِّرُهُ رَدِى
بَيْنَا جَوَادُ الْمَرْءِ يُحْضِرُ نَحْوَهُ      لِيَحُوزَهُ إِذْ حَلَّ هُوَّةَ مَلْحَدِ

المنون الموت والسبيل الطريق والمضمار المجرى للخيل وردى الأوله بفتح الدال أى جرى والرديان جرى للخيل معروف وردى الثانى بكسر الدال بمعنى هلك . والأمد القدر من الزمان وعمر الله فلانا كذا تعميرا أى أبقاه تلك المدة من العمر والجواد الفرس السابق لأنه يجود بكل قوة والاحضار العدو والهوة الحفرة والملحد القبر ، ومعنى الأبيات الثلاثة أنه يقول الموت هو طريق كل الناس فمن لم يسلكه فكأن قد سلكه والزمان لأعمار الناس كالمضمار للخيل فاذا جرى الإنسان المقدار الذى يعيشه فى سابق علم الله هلك ومات ، والإنسان يؤمل أجلا بعيدا ثم تعتريه المنايا دونه كالفرس يجرى للغاية ثم يسقط فى هوة قبل أن يصل ما يريد . ثم قال :

سَهْمٌ لِأَغْرَاضِ النُّفُوسِ مُسَدَّدٌ      مَنْ يَرْمِ مِنْ مُهَجِ الْبَرَايَا يُقْصِدِ
أَوْ رُمْحُ خَطٍّ سَمْهَرِيٌّ مُشْرَعٌ      فِى كَفِّ أَبْصَرَ بِالْمَطَاعِنِ أَيِّدِ
مَنْ تَعْتَلِقْهُ شَبَاتُهُ لَا يُجْدِهِ      قِيلُ الْخَلَائِلِ بَعْدَهُ لَا تَبْعُدِ
أَوْ حَوْضُ إِبْلٍ مَا يَشِذُّ بِظِمْئِهَا      مِنْهَا أَفِيلٌ عَنْ عَصَا الْمُسْتَوْرِدِ
أَوْ سُدَّةٌ يُدْعَى إِلَيْهَا الأَجْفَلَى      كُلَّ الْوَرَى مِنْ مُذْعِنِينَ وَمُرَّدِ
وَحِبَالَةٌ كُلُّ الأَنَامِ رَهِينُهَا      مِنْ عَائِلٍ مُتَكَفِّفٍ أَوْ قَشْرَدِ

وَمُمَجَّدٍ حَشَدَ المَوَالِيَ وَاعْتَلَى   فى مُلْكِهِ وَمُعَبَّدٍ لَمْ يَحْشُدِ

السهم معروف والغرض ما ينصب ليرمى وأقصد السهم أصاب الشىء فقتله مكانه وأقصد زيد عمرا طعنه فلم يخطئه والخط موضع بالبحرين تنسب اليه الرماح لانها تباع فيه فيقال رمح خطى والسمهرى الرمح الصلب والسمهرى أيضا المنسوب إلى سمهر وهو زوج ردينة وكانا معا يثقفان الرماح ولذلك تنسب اليهما فيقال سمهرية ردينية وأشرعت الرمح إلى الرجل سددته اليه فالرمح شارع والرماح شوارع وشرع والمطاعن مواضع الطعن والايد بالياء المكسورة المشددة القوى من الايد وهو القوة والاعتلاق والتعلق وشباة الرمح طرفه والاجداء النفع ولا يجديك هذا لا يفيدك ولا ينفعك والحلائل جمع حليلة وهى الصاحبة زوجة أو غيرها ولا تبعد دعاء يدعى به يقال لا تبعد يا فلان ولا أبعده الله فمن جعله من بعد بضم العين فهو خلاف القرب ومن جعله من بعد بكسر العين فمعناه الهلاك وكلاهما يدعى به والحوض مجتمع الماء والإبل يقال بكسرتين وبكسرة فسكون كما هنا وكلاهما فصيح وشذ الرجل عن الناس ذهب عنهم والظمء بكسر الظاء ما بين الشربتين وأطلق هنا على آخره وهو أوان الورود والافيل ابن المخاض ونحوه والمستورد المورد يقال أورد الإبل الماء واستوردها إذا أحضرها الماء، والمستورد أيضا والمتورد الوارد والسدة بضم السين باب الدار ودعوة الجفلى والاجفلى الدعوة العامة وضدها النقرى وهى التى يخص فيها فلان قال طرفة :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى   لا ترى الآدب منا ينتقر

الآدب صانع المأدبة فهو عندهم لا ينتقر بل يعم الناس كرما وسعة، والمذعن المستسلم والمارد ضده جمعه مرد والحبالة بكسر الحاء الاحبولة التى يصطاد بها ورهينها المحبوس فيها والعائل المفتقر عال يعيل عيلا وعيلة فهو عائل وهم عالة والمتكفف السائل يمد كفه للناس والقثرد بالمثلثة وقيل بالمثناة الكثير الغنم والسخال والممجد المعظم والحشد الجمع والموالى العبيد والانصار والمعبد المذلل المستسخر ومعنى الابيات السبعة أنه لما ذكر المنون وأنها سبيل الناس أجمعين لا ينجو منها والد ولا مولود شبهها بأشياء فضرب لها خمسة أمثال

فكأنها سهم مسدد إلى نفوس الاحياء وهى له كالاغراض فأى مهجة رماها أقصدها أى أصابها فقتلها مكانه أو كأنها رمح من الرماح السمهرية الخطية فى كف رجل قوى معتاد للطعن بصير بالمقاتل إذا طعن أصاب المقتل وإذا تعلق رمحه بآخرمات وذهب ولم ينجه قول الناس لاتبعد وقد بعد أو كأنها حوض مورود والناس كالإبل فاذا كان ورودها حشدها راعيها إليه بعصاه فلا يشذ منها صغير فضلا عن كبير بل ترد كلها أو كأنها سدة أى باب يدعى الناس كلهم للدخول منه دعوة الجفلى فلا يبقى شريف ولا مشروف ولا نبيه ولا خامل ولا منقاد ولا متمرد وكأنها حبالة كل الناس مقنوص فيها لا ينجو منها فقير ولا ذو مال ولا ملك ذو أعوان وجنود ولا ذليل مقهور ثم قال :

عَرَضْتُ بنى سَاسَانَ فى غُلَوَائِها  قِدْماً عَلَى غَرْبِ الْحُسَامِ الْمِجْدَدِ

تقول عرضت فلانا على السيف إذا قتلته ، وبنو ساسان الفرس المتأخرون ينسبون إلى ساسان الاصغر ابن بابك بن ساسان الاكبر وكانوا نحو ثلاثين ملكا منهم امرأتان وباقيهم رجال أولهم أزدشير بن بابك بن ساسان الاصغر وهو الذى قام بجمع ملك فارس بعد تفرقه أيام ملوك الطوائف وآخرهم يزدجرد بن شهريار بن كسرى المقتول فى خلافة عثمان رضى الله عنه ولولا خوف الطول لذكرناهم ملكا ملكا ، وأما الفرس الاولون فسنشير إليهم بعد إن شاء الله تعالى ، والغلواء بضم الغين وفتح اللام وقد تسكن الغلواء وهو مجاوزة الحد وغرب السيف حده القاطع والحسام القاطع من السيوف والمجدد مفعل من الجدد وهو القطع وصف بعد وصف ، ومعنى البيت أن المنون قد أهلكت الامم الساسانية قديما وأفنتهم كما لو عرضتهم على السيف القاطع وهو تمثيل وهذا شروع منه فى ذكر وقائع من مضى من القرون تحمل العاقل على الحذر والانكماش عن الدنيا لعدم بقائها وسرعة تقلبها والرغبة فيما عند الله تعالى والوقائع عند العرب أيام حروبها والمراد هنا وقائع الدهر لأنه المحارب الاعظم وحربه أفظع ثم قال :

( وَكَسَتْهُمُ ثَوْبَ الصَّغَارِ وغَادَرَتْ  تِلْكَ الحَدَائِقَ كالْبَرَاحِ المَصْلَدِ )

الصغار بفتح الصاد الذل والمغادرة الترك والحدائق جمع حديقة وهى الروضة ذات شجر

أو بستان أحدق به الحائط والبراح بفتح الباء المتسع من الأرض لازرع فيه ولاشجر والمصلد الصلب صلدت الأرض وأصلدت صلبت ، ومعنى البيت أن المنية قد كست بنى ساسان الذل بعد العز وأخلت مساكنهم وفى نسخة ثوب العفاء وهو الخراب والخلاء ثم قال

وَرَمَتْ مَقَاصِيرَ الْقَيَاصِرَةِ الأُلى   عَظُمُوا بِسَهْمٍ مِنْ رَزَايَا مُصْرِدِ

المقاصير جمع مقصورة وهى الدار الواسعة المحصنة والقياصرة جمع قيصر وهو لقب لملك الروم كما أن كسرى سمة لملك فارس ، وخاقان لملك الترك ، وتبع لحمير ، والنجاشى للحبشة . والقياصرة ملوك كثيرة من الروم والروم أولاد روم بن العيص بن إسحق بن إبراهيم عليهما السلام ويقال إنه ولد ثلاثين ولدا منهم الروم وكان أصفر اللون فقيل لولده بنو الأصفر ، وأول من سمى منهم قيصر قيصر بن أنطرطس وكانت أمه حاملا به فتعسرت ولادتها فشق بطنها وخرج فسمى قيشر ثم قيل قيصر وكان يفتخر على الناس بأن النساء لم تلده فصار هذا اللفظ سمة لملوك الروم بعده والألى بمعنى الذين والسهم معروف وأصرد الرامى سهمه أنفذه ويقال أيضا سهم مصرد أى مخطىء على الضد والرزايا جمع رزية وهى المصيبة وأصله الهمز كما يقال فى خطايا يقال رزأه أى نقصه رزأ ، ومعنى البيت أن المنون رمت أيضا ملوك الروم الذين عظموا وعتوا بسهم من رزايا منفذ فذهبوا أى انقرضوا ، ثم قال

وَمَحَتْ إلى دَارَا الْعَظِيمِ لِحَاظَهَا   فَاحْتَلَّ دَارَ الْمُنْقَفِرِ الْمُؤْيدِ

محت صرفت ودارا المذكور هو دارا ابن دارا الملك المشهور أحد ملوك فارس وهو آخر الفرس الأقدمين الجامعين المملكة . واختلف فى نسب فارس فقيل هم من ولد فارس ابن ناسور بن سام بن نوح ، وقيل هم من ولد هرم بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وقيل من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وقيل من ولد لوط عليه السلام لبنته وقيل غير ذلك قيل ولا خلاف أنهم من ولد كيومرت واليه يرجعون . واختلف النسابون فى أيامهم ودولتهم فمن الناس من جعلهم أربعة أصناف لكل صنف دولة ومنهم من جعلهم صنفين الصنف الأول من كيومرت إلى دارا الذى قتله الاسكندر كما يأتى قريباً إن شاء الله تعالى والصنف الثانى من أزدشير بن بابك إلى يزدجرد بن

شهريار وهم الساسانية وتقدم ذكرهم ، واختلف فى كيومرت فقيل إنه ولد لأولاد ابن إرم بن سام بن نوح وقيل إنه من ولد آدم لصلبه وإنه أول من تولى الملك من بنى آدم ، وذلك أنه لما كثر البغى فى الناس والظلم اجتمعوا فرأوا أنه لا ينتظم أمر الناس إلا بإمام يسودهم فتقدموا إلى كيومرت وقالوا أنت أكبر أهل زمانك وبقية أبناء آدم وقد فسد أمر الناس فضم أمرهم فملكوه ووضعوا التاج على رأسه وهو أول من وضع التاج على رأسه فقام بالناس وكان حسن السيرة أربعين سنة وكان ينزل إصطخر . واختلف فى عمره فقيل ألف سنة وقيل غير ذلك ثم مات فملك ابنه وهلم جرا إلى دارا ابن دارا وكانوا فيما ذكر النسابون عشرين ملكا فيهم امرأة وكانت مدتهم ثلاثة آلاف وعشرين سنة وقيل وثلاثمائة سنة والله أعلم بذلك ولولا قصد الاختصار لذكرناهم ملكا ملكا واللحاظ جمع لحظ والاحتلال النزول والعنقفير على وزن زنجبيل والقاف قبل الفاء الداهية والمؤيد الأمر العظيم والداهية أيضا فهو توكيد وهو بضم الميم ثم واو مقلوبة عن همزة ثم ياء مكسورة مثناة من تحت من الايد وهو القوة ، ومعنى البيت : أن المنية قد قلبت لحظها إلى دارا العظيم الملك فأنزلته منازل البلاء والفناء وسنذكر قصة هلاك دارا عند ذكر قاتله بعد . ثم قال :

وَثَنَتْ بِغَائِلِهِ الحَكِيمِ وَلَمْ يَذُدْ ... عَنْهُ الرَّدَى مَا صَانَهُ مِنْ عَسْجَدِ

ثنت أى ثنت دارا بغائله وهذا على مذهب من يقول ثنيت زيدا أى صرت له ثانيا وهذا واحد فأثنيته والاشهر أن يقال فعلت كذا وثنيت بكذا تثنية وفى نسخة ووفت من الوفاء كأنها مطلوبة فأدته وهو أوضح وأبعد عن التكلف والغائل المهلك غاله غولا أهلكه والضمير لدارا ، والحكيم وصف للغائل والذود الطرد والردى الهلاك والصون الحفظ والخزن والعسجد الذهب ، ومعنى البيت أن المنية قد وفت بعد دارا بغائله وهو الحكيم فأهلكته ولم يدفعها عنه ما خزنه من الذهب ولا غير ذلك والحكيم المذكور هنا أنه قاتل دارا هو الاسكندر الفيلسوف اليونانى ويقال له

ذو القرنين قيل لأنه بلغ قرني الارض وقيل لأنه كان له قرنان صغيران في رأسه وقيل غير ذلك والكلام فيه مشهور وقصة إهلاكه لدارا أن دارا كان تؤدى إليه ملوك زمانه الإتاوة وكان ذلك للفرس من زمان يستأنف الملك لأن بختنصر كان زبا ناله فدوخ البلاد واستولى على الممالك فكانت ملوك الاقطار تؤدى الإتاوة لملوك فارس حتى كان زمان دارا فكان أبو الاسكندر يؤدى إليه ذلك ، فقيل كان يؤدي إليه كل حول ألف بيضة من الذهب في كل بيضة ألف مثقال فلما نشأ الاسكندر دفعه أبوه إلى أرسطاطاليس الحكيم المشهور يعلمه الادب والحكمة فمكث عنده نحو خمس سنين ونال منه مالم ينل أحد من تلامذته ، ثم مرض أبوه فبعث اليه يعهد اليه ، فلما ملك الإسكندر بعد أبيه لم يدفع الإتاوة لدارا فكتب اليه دارا يهدده وأجابه هو بمثل ذلك في كلام كثير جرى بينهما فخرج كل بجموعه والتقيا في بلاد الجزيرة فكانت بينهما الحرب مدة وجرت أمور حاصلها قتل دارا وفساد ملكه وقيل قتله حاجباه وقيل صاحب شرطته وقيل حمل إلى الاسكندر فأمر بقتله فاستولى الاسكندر على ملك دارا وخزائنه وبلاده فلما استولى عرض جيشه وجيش الفرس فقيل كان ألف ألف أو أكثر وهم باستئصال عظماء الفرس ، ثم بدا له أن يشاور فكتب إلى معلمه أرسطاطاليس يستشيره في ذلك فكتب اليه ألا تفعل فان لكل بلد وزمان رجالا وإن أنت أهلكت الاشراف شرفت السفلة وهم أضر شيء للملك ولكن فرقهم في المملكة وول كل واحد منهم ناحية وضع التاج على رأسه فانهم بذلك يتنافسون الملك وتعود أحقادهم بينهم ولا يجتمعون على حربك أبدا ومن تعاصى منهم وحده كنت قادرا عليه ففعل الاسكندر ذلك وفرقهم وهم ملوك الطوائف وبقوا على ذلك إلى أن قام أزدشير بن بابك كبير الساسانية فجمع المملكة كلها كما مر فرجع الملك فيهم إلى حاله حتى أذهبه الله تعالى بالاسلام وأورثه الله من شاء من عباده ثم تقدم الاسكندر إلى أرض الصين والهند فدوخ تلك البلاد كلها واستولى على الممالك في حروب وغرائب أعرضنا عن ذكرها خوف الإطالة ، فلما رجع من تلك النواحي وبلغ شهرزور أقام أياما فاحتضر ومات ، قيل وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة وعمره ست

وثلاثون سنة : قيل وكان بين وفاته وبين الهجرة ستمائة سنة وقيل أكثر ولما مات جعل فى تابوت من ذهب وطلى بالأطلية الممسكة وحمل إلى أمه بالاسكندرية فقيل جمع أرسطاطاليس عليه الحكماء وأمرهم أن يتكلم كل منهم بكلام وكانوا عشرة فقال الأول أصبح آسر الأسرى أسيرا ، وقيل أشار إلى التابوت ، فقال كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبؤه ، وقال الثانى هذا الاسكندر طوى الأرض العريضة وهو اليوم يطوى منها فى ذراعين ، وقال الثالث العجب القوى قد عقب والضعفاء لاهون، وقال الرابع ماسافر الاسكندر سفرا بلا آلة سوى سفره هذا ، وقال الخامس سيلحق بك من سره موتك كالحقت بمن سرك موته ، وقال السادس كان يحكم على الرعية فصارت الرعية تحكم عليه ، وقال السابع كنت تأمرنا بالحركة فما بالك ساكنا ، وقال الثامن رب حريص على سكوتك وهو اليوم حريص على كلامك ، وقال التاسع كم أمات هذا الصندوق لئلا يموت فمات ، وقال العاشر كان الاسكندر يعظنا بنطقه وهو اليوم يعظنا بسكوته . وقالت أمه مما يسلى عنه المعرفة باللحاق به ، وقالت ابنة دارا ما كنت أظن أن غالب دارا يغلب وأخبار الاسكندر كثيرة وهى طرائف ونوادر واقتصرنا على ماذكرنا خشية السآمة ، وفى البيت التوجيه لأن ماصانه من المسجد يحتمل ماصانه الاسكندر فى بيوت الأموال ويحتمل ماصان الاسكندر وهو التابوت المذكور وتكون الإشارة إلى القصة والكلام متوجه إليهما معا . ثم قال :

وَسَفَتْ عَلَى الأَقْيَالِ هُوجَ رِيَاحِهَا    وَزَوَتْ مَدَى عَبَدِ المَدَانِ الأَقْيَدِ

سفت الريح التراب ذرته أو حملته والاقيال جمع قيل يقال اقتال عليهم أى ملك وهو قيل بتشديد الياء المكسورة أصله قيول من القول لأنه إذا ملك كان له القول كما يشاء أو أنه يكثر مقوله قلبت الواو ووقع الإدغام كنظائره وقد يخفف كميت . ثم إذا جمع فقد يراعى أصله فيقال أقوال وقد يراعى الحال فيقال أقيال . واشتهر هذا الاسم على ملوك حمير كما قال امرؤ القيس :

لعمرك ما إن ضرنى وسط حمير    وأقوالها إلا المخيلة والسكر

وقيل القيل دون الملك والهوج جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى تقلع البيوت وزوت قصرت أو جمعت أو قبضت وطوت والمدى الغاية وعبد المدان رجل من عظماء العرب وبنو عبد المدان كان لهم ذكر وشرف ولذلك قال القائل :

ولو أنى بليت بهاشمى خؤولته بنو عبد المدان
لهان على ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

وكانت لهم أجسام كمل وألسن فصاح ولذا وصف بالأقد وهو الضخم العنق الطويلة وكان هجاهم الشاعر ويقال إنه حسان . فقال :

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر جسم البغال وأحلام العصافير

فقالوا قد تركتنا نستحى بذكر أجسامنا بعد ما كنا نفتخر بها مالنا على هذا بقاء فقال سأغسل عنكم ما أزرى بكم وأنشد :

وكنا قائلين إذا رأينا لذى جسم يعد وذى بيان
كأنك أيها المعطى بيانا وجسما من بنى عبد المدان

وهذا من اقتدار الشعراء فى المدح والذم ، ومعنى البيت أن رياح المنون قد جرت عواصفها على أقيال حمير فأبادتهم وطوت بنى عبد المدان تحت أطباق الثرى . ثم قال :

وَنَزَتْ عَلَى سَبَإٍ وَعَادٍ نَزْوَةً فَغَدَوْا أحاديث السَّمِيرِ السُّهَّدِ

نزت وثبت نزا عليه نزوا ونزوانا وسبأ اسم بلد بلقيس ولقب لعبد شمس بن يشجب ابن يعرب بن قحطان واليه ترجع قبائل اليمن ، وفى الخبر « سئل صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال كان رجلا وله عشرة من الولد تيامن منهم ستة قبائل وتشاءم أربعة » وقصة سبأ وهلاكها كما ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز كان لهم واد عظيم جنبتاه الفواكه والزرع وبنوا سدا غلق ما بين الضفتين . قيل بنته بلقيس وقيل حمير فوقف الماء وصار بحيرة عظيمة فكان يرتفع الماء برفق ويسقى الجنان فى جنبتى الوادى ثم عتوا وطغوا وبعث الله اليهم فيما يقال ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم فبعث الله على ذلك السد جرذا أعمى توالد فيه لجمل يخرقه ويقلعه شيئا فشيئا حتى أفسده فسال عليهم الماء

وأغرق الجنات والأموال وأهلك الناس ومن بقي تفرق شذر مذر وذهبوا في كل وجه ، وعاد قبيلة وهم قوم هود عليه السلام المذكور في القرآن ، وأخبار سبأ وعاد لايفي بها هذا التعليق والقدر المحتاج من ذلك مشروح في القرآن والأحاديث جمع أحدوثة بمعنى الحديث والسمير المسامر من السمر وهو التحدث بالليل والسهد الساهدون ، ومعنى البيت أن المنون أيضا نزت على سبأ وعلى عاد فغدوا أي صاروا حديثا يتحدث بهم في الاسفار وتكرر بهم الاخبار قال تعالى « فجعلناهم أحاديث » ثم قال :

وَحَدَتْ بَنِي مَرْوَانَ بَعْدُ إِلى الرَّدَى فَخَدَتْ مُبَارِيَةَ الظَّلِيمِ المُوفِدِ

حدت ساقت وبنو مروان هم عبدالملك وعبدالعزيز وبشر بنو مروان ومن بعدهم من الملوك كالوليد وهشام وسليمان وعمر وغيرهم مشهورون . أولهم مروان بن الحكم وكان واليا وآخرهم مروان الحمار وخدت أسرعت يقال خدى يخدي أسرع والمباراة المعارضة والمغالبة والظليم الذكر من النعام والموفد المسرع ، ومعنى البيت أن المنون ساقت بني مروان إلى الهلاك فجروا أسرع من الظليم في إسراعه ثم قال :

وَغَدَتْ دَسَاكِرُ جِلِّقٍ صِفْراً كَأَنْ لَمْ تَغْشَ قَطُّ بِحُفَّدٍ أَوْ وُفَّدِ

غدت صارت والدساكر هنا بيوت يتخذها الاعاجم للشرب واللهو جمع دسكرة ، وجلق بكسر الجيم مع تشديد اللام مكسورة ومفتوحة هي دمشق وقيل عرصتها ، والصفر الخالي والحفد جمع حافد وهو الخادم ، والوفد جمع وافد وهو القادم ، والمعنى أن المنون لما أهلكت الملوك المروانية صارت دساكرهم في دمشق خالية كأن لم تكن تغشاها قبل ذلك وفود الناس ولم تحفها الحفدة أيام حياتهم وملكهم ثم قال :

وَحَصَتْ بَنِي العَبَّاسِ أَمْلَاكَ الوَرَى بِجِمَارِهَا فَغَدَوْا حَصِيدَ العُبْرُدِ

حصت رمت وحصاه بالحصى رماه بها ، وبنو العباس الملوك الإسلاميون ، والعباس هو ابن عبدالمطلب بن هشام عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه والملوك من

ولده أولهم أبو العباس السفاح والاملاك جمع ملك والورى الخلق ووصفهم بذلك تفخيما لأنهم بيت الخلافة الإسلامية ، وفيه إشارة إلى ما ورد فى التاريخ أن ابن عباس رضى الله عنه لما ولد له عبد الله وهو جد الملوك أتى به عليا كرم الله وجهه فقال له على ما سميته ؟ فقال له أو يحل لى أن أسميه حتى تكون أنت تسميه ؟ فأخذه على وسماه فقال لابيه خذ إليك أبا الاملاك والجمار جمع جمرة وهى الحصاة والحصيد المحصود والعبرد على مثال قنفذ من العشب الرقيق الردىء ، ومعنى البيت أن المنون رمت بجمارها ملوك بنى العباس فصاروا كأنهم الحشيش المحصود . ثم قال :

فَلَقَدْ سقَتْ فى الدَّهْرِ كلَّ مُمَلَّكٍ شَرْياً وَهدَّتْ رُكْنَ كُل مُمَرَّدِ
وَاستَأْصلَتْ فى الجَوِّ أعقُبَهُ وَفى البيْدَاء كُلَّ مُغَوَّرٍ وَمُطَوَّدِ
هَلْ أقصَرَتْ عَنْ ذِى دَهَاء حُوَّلٍ لحويلهِ أوْ عنْ هُمَامٍ صِنْدِدِ
أمْ فى الْبَسِيطَةِ غَيرُ صيْدٍ مُعْرَضٍ لِسِهَامِهَا وخِلاَلِهَا مُسْتَحْصَدِ

الشرى الحنظل والممرد من البناء المطول والتمريد التمليس والتسوية ، والاعقب جمع عقاب الطائر المعروف ، والبيداء الفلاة والمغور سالك الغور ، والمطود سالك الاطواد أى الجبال ، والدهاء المكر وجودة الرأى ، والحويل والاحتيال الحذق وجود التصرف فى الامور ورجل حول بضم الحاء وتشديد الواو المفتوحة شديد الاحتيال ، والهمام الملك العظيم ، والهمام أيضا الشجاع والصندد على مثال زبرج السيد الشجاع ويقال هو الحليم أو هو الجواد ويقال أيضا صنديد والبسيطة الارض والمعرض الذى بلغ السنخ للرامى فامكنه من نفسه والخلال العشب الرطب واستحصد الذى بلغ أن يحصد ومعنى الابيات الاربعة : أن المنية قد سقت على مرور الدهر كل ملك من الناس الحنظل كما سقت ذلك كل مملوك فلم ينج من مرارتها شريف ولا مشروف وهدت أى صدعت أركان كل قصر ممرد وقد استأصلت أيضا فى الهواء أعقبه أى أخذتها جميعها والمراد الطير كله وإنما ذكر العقاب لانه كان يضرب به المثل فيقال أعز وأمنع من عقاب الجو فغيره أخرى إما حقيقة فى

هذا الآن الموت عام فى النفوس وإما كناية عن كونها لا ينجو منها أحد من الناس ولو كان فى عز العقاب وكذا استأصلت وحش البيداء سواء منه ساكن الجبال كالاوعال أو ساكن السهول كالنعام أو ساكنهما معا كالذئاب وهذا أيضا إما حقيقة وإما كناية والمنية هل أقصرت أى ما أقصرت أى ما عجزت عن صاحب العقل والدهاء فينجو منها بحيله ولا عن الهمام الصنديد فينجو بشجاعته وقوته وليست النجاة فى عادات الناس من الاعداء وكل من يتقى شره إلا بأحد هذين من الاحتيال أو الصيال وقد بطلا معا هنا فلم ينج واحد منهما من الموت وليس فى الارض إلا صيد مستهدف لسهام المنية وخلاء وقد آن أن يحصد بها يريد أن الفرس كلها بمنزلة الصيد والكلأ للموت . ثم قال :

مَا المَرْءُ إلا ابْنُ التَّوَى وَلَوِ ارْتَقَى ... أُفُقَ السَّماءِ بِسُلَّمٍ لَمْ يُخْلَدِ

شَخْصٌ تَكَنَّفَهُ الثُّرَيَّا وَالثَّرَى ... فَالجِسْمُ كُوِّنَ مِنْ خَسِيسِ الحِرْمِدِ

وَالرُّوحُ كَانَ نُشُوءُهُ مَنْزُوعُهُ ... مِنْ ذَلِكَ المَلإِ العَلِيِّ الأَمْجَدِ

فَيَحِنُّ ذَاكَ لِأَرْضِهِ بِتَسَفُّلٍ ... وَيَحِنُّ ذَا لِسَمَائِهِ بِتَصَعُّدِ

وَالمَرْءُ بَيْنَهُمَا مَخَافَةَ فُرْقَةٍ ... وَنَوًى قَذُوفٍ فى المُقِيمِ المُقْعِدِ

التوى بالمثناة من فوق الهلاك وفى نسخة الثرى وهو التراب وأصله التراب الندى ، والتكنف الاشتمال والإحاطة والثريا النجم المعروف والخسيس الدنىء والحرمد من الطين الأسود المتغير اللون والرائحة والنوى القذوف البعيدة من القذف وهو الرمى كأنها ترمى بصاحبها إلى بعد والمقيم المقعد مثل الأمر الهائل ويقال وقع فلان فى المقيم المقعد أى هول عظيم كأنه يقيمه تارة ويقعده أخرى ، ومعنى الابيات الخمسة أن الإنسان ما هو إلا ابن الهلاك أى لكونه لا ينفك عنه فكأنه ابنه كما قال ابن السبيل وابن غبراء أو أنه ابن الهالكين فان له نسبا فى الهالكين عريقا كما قال أبو نواس وأيضا ابن الثرى أى يرجع اليه فكأنه ابنه أو أنه ابن آدم المخلوق من الثرى ويقال له عرق الثرى أو أعراق الثرى كما قال إمرؤ القيس :

إلى عرق الثرى وشجت عروقى    وهذا الموت يسلبنى شبابى

وإذا كان اصله منه فيو شك أن يرجع إلى أصله قال تعالى «منها خلقنا كم وفيها نعيدكم» والمرء شخص أحاط به شيئان أحدهما فى غاية الرفعة كالثريا وهو الروح والآخر فى غاية الانحاط كالثرى وهو الجسد فأما الجسد فمخلوق من طين من حمأ مسنون كما قال تعالى وأما الروح فمخلوق فى العالم العلوى الرفيع حساً ومعنى لكونه محلا للملأ الأعلى من الأرواح المقدسة العارفة من الملائكة والانبياء ثم أهبط وأودع فى هذا الهيكل ليستحصل فيه سعادته بالفعل وشقاوته على ما حصل له فى علم خالقه جل اسمه وتعالت كلمته وقد جعل الله تعالى فى طباع الأشياء الميل إلى الأصل والحنين إلى المنشأ فقد كان الجسد يميل إلى الأرض وتتجاذبه طباعها والروح يميل إلى التجرد والعلو وذلك أصله وشتان ما بين الخبث والصفاء والأرض والسماء كما قيل :

راحت مشرقة ورحت مغربا    شتان بين مشرق ومغرب

فكان الإنسان من هذا الأمر فى حيرة كبيرة وهول عظيم وإنما مثاله فى ذلك مثال الولد الصغير يفترق والداه ويتقاطعان ويتباعدان فهما يتجاذبان قلبه ويطيلان حيرته وغمه أو مثال الطير المقفوص فطبعه إلى الطيران وفيه روحه وأنسه والقفص يمنعه ويجذبه وفى هذه الابيات إشارة إلى شرح المملكة الإنسانية وسيفصح بذلك بعد وهنالك يقع شرحها إن شاء الله تعالى وفى المقيم المقعد التورية لانه مثل كما مر وأشير به إلى أن الجسم يقعد والروح يقوم . ثم قال :

وَالرُّوحُ كُلِّفَ أَنْ يُزَوَّدَ لِلنَّوى    بِرًّا فَهَا هُوَ بَانَ غَيْرَ مُزَوَّدِ
وَيُحَطَّ عَنْهُ عِبْؤُهُ وَيُكَفَّ عَنْــهُ قُيُودُهُ فَمَشَى رَسِيفَ مُقَيَّدِ
وَيُمَاطُ عَنْهُ بِتَوْبَةٍ . أَدْرَانُهُ    حَتَّى يَعُودَ إِلَى الصَّفَاءِ كَمَا بُدِى
وَيُشَالُ مِنْ وَهْدِ الْحُظُوظِ إِلَى العُلَا    بِتَعَلُّقٍ    وَتَخَلُّقٍ    وَتَجَرُّدِ
وَيُفَصَّ مِلْحَمًا الَّذِى قَدْ شَابَهُ    بِتَأَنُّسٍ    وَتَوَحُّشٍ    وَتَفَرُّدِ

وَيُمَدّ ضَبْعَاهُ وَيُكْحَلَ جَفْنُهُ بتَذَكُّرٍ وَتَفَكُّرٍ وَتَفَقُّدِ

بان الرجل من منزله خرج عنه مرتحلا أومسافرا والعبء بكسر العين الحمل الثقيل والرسيف مشية المقيد يقال رسف فى قيوده يرسف رسفا ورسيفا مشى كذلك وماط الشىء وأماطه عنك أبعده وأزاله والأدران الأوساخ وأشاله رفعه والوهد ما انخفض من الأرض وحظوظ النفس كل ما لها فيه متعة ولذة حسا ومعنى كالأكل والنكاح والرياسة وبعد الصيت ، والفص الفصل تقول فصصت الشىء إذا فصلته عنه وانتزعته منه والحمأة الطين الأسود المنتن الرائحة وحمىء الماء خالطه ذلك والشوب الخلط والمد البسط والضبع العضد ومددت ضبع فلان قويته وأعنته ونصرته . ومعنى الأبيات الستة : أن الإنسان لما أودع هذا الروح كلفه الله تبارك وتعالى أن يزوده زاداً يسعد به فان الروح غريب فى البدن خليقة فيه كما سنشرح ذلك وهو بصدد السفر والانقلاب إلى مولاه تعالى وذلك بالموت وليس يصحبه البدن لأن البدن راجع إلى التراب حتى يلتقيا فى الموعد ولا تصحبه الدنيا لأنها فانية وإنما يصحبه ما علم وما عمل فان كان معرفة وطاعة ارتفع بها وسعد وصعد وبلغ بها عليين وهذا هو الزاد المطلوب وإن كان جهلا ومعصية انتكس بها وشقى وحجب نعوذ بالله من الخذلان ، والبر هو الطاعة والخير وهو الذى طلب من الإنسان أن يشتغل به ليتزود به روحه إذا ارتحل وها هو الإنسان غافل مشتغل بالدنيا والشهوات حتى يرتحل عنها بلا زاد فتقع الحسرة ولا تنفع الندامة نسأل الله التوفيق ، وطلب منه أيضا أن يسعى فى حط أعباء الشهوات والمعاصى والذنوب والغفلات عن روحه وهذا كله أحمال يبرك بها فى حضيض النقصان وقيود تعقله عن الارتحال إلى حضرة مولاه فلو فك عنه هذا القيد لوصل ولكنه اشتغل عنه فجعل يرسف فى قيوده وأين يصل بالرسيف وطلب منه أيضا أن يزيل عنه أدرانه أى أوساخه التى أوجبتها المعاصى والغفلات حتى يعود صافيا كما بدا أى كما خلق فانه قد أنشىء صافيا عالما بالطبع وإنما يحدث له التدنس والعمى فى هذا البدن

لارتكاب الذنب وكثافة الحجب وطلب منه أيضا أن يرفع من مقام الحظوظ التى هى الحضيض السافل إلى المقام العالى وهو مقام النزاهة والطهارة والمعرفة وذلك مقام الملائكة وخواص بنى آدم وإنما يكون بالتعلق بالله تعالى والتخلق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا والتجرد عن أوصاف البهائم وأوصاف السباع وأوصاف الشياطين بعد التجرد عن العلائق والشواغل الحسية كلها وطلب أيضا أن يفصل الروح من طينة الجسم الأرضية والمراد الانفصال عن طبائعها والتطهر من لوثها وذلك عند التأنس بالله تعالى والتوحش من غيره والتفرد قلبا وقالبا حسا ومعنى أو معنى فقط وهو أقوى وأكمل ولكن مبدؤه التفرد الحسى والله ولى التوفيق . وطلب أيضا أن يمد ضبعاه أى يقوى وينصر ويكحل جفنه أى يفتح بصيرته وذلك بالتذكر للعهد المأخوذ يوم ألست بربكم أولا والمأخوذ على لسان رسول الله ﷺ ثانيا والتفكر فيما له وعليه وفى حكمة الله تعالى وصنعته وأحكامه وآياته والتفقد لأحواله وأقواله وحضراته وغير ذلك، واعلم أنه ما من لفظ فى هذه الأبيات إلا وهو قابل لغير ما فسرنا به ومحتمل لأزيد من ذلك وأكثر مما يتسع به مجال الناظر البصير العين وإنما قصدنا به تمشية الكلام بأقل ما يمكن وإلا فهى محتوية لمن تأمل على جميع ما يشرحه أرباب القلوب فى السلوك والرياضة والتخلى والتحلى وفيها مع ذلك إطناب ما حل عليه الشغف بالبيان والمبالغة فى الباب ولو تعرضنا لشرحها احتجنا إلى مجلد فيها أو أكثر . ثم قال :

وَالمَرْءُ مَشْغُوفٌ بِإِتْرافِ الَّذِى ... مِنْ ذَاتِهِ هُوَ عَنْ قَرِيبٍ مُرْتَدِ
وَمُضَيِّعٌ مَا لَيْسَ يَبْرَحُ دَائِماً ... مَعَهُ عَلَى مَرِّ الوُجُودِ السَّرْمَدِ
كَالعَيْرِ لَيْسَ لَهُ بِشَىْءٍ هِمَّةٌ ... إِلاَّ اقْتِضَامُ القَضْبِ حَوْلَ المِذْوَدِ

الاتراف التنعم والمرتدى الهالك من الردى وهو الهلاك والعير بالفتح الحمار والاقتضام الأكل بمقدم الفم والقضب الكلأ الرطب والمذود على وزن منبر والذال الأولى معجمة معلف الدابة . ومعنى الأبيات الثلاثة أن الروح مطلوب تخليته وتحليته كما مر والمرء متغافل

عن ذلك المطلوب مشغوف مولع بتكميل ماهو من ذاته هالك قريبا فى التراب وهو الجسد ومهتبل بتنعيمه وترفيهه ومضيع ماهو باق معه لا يفارقه فى الدنيا والآخرة وهو روحه الذى هو محل الخطاب ومهبط الأنوار وإنما مثاله فى القيام بجسمه وتضييعه روحه مثل الحمار فان الحمار لاهمة له إلا فى أكل الحشيش واقفا حول المذود إذ لا أرب له ولا مطلب وراء شهوات بدنه ولو كان الإنسان حمارا لم يكن عليه بأس فان الحمار لم يلزم عليه التكليفات ولا استودع الأمانات فلو كان للمرء بصيرة وتوفيق لاعتنى بروحه التى يشهد بها المولى . ثم قال :

وَيْحَ المُشَرِّفِ لِلْخَسِيسِ بُجِلِّهِ ... وَمُذِلِّ ذِى الشَّرَفِ الأَثِيلِ الأَقْعَدِ
وَحَفِيظِ مَنْ هُوَ لِلصَّدَاقَةِ خَائِنٌ ... وَخَؤُونِ ذِى الْوُدِّ الصَّفِىِّ الأَتْلَدِ

ويح كلمة تقال رحمة تقول ويحا لزيد وويح لزيد والاذلال الإهانة أذله فهو مذلول له والأثيل الأصيل والأقعد الأثبت والأتلد الأقدم الأصيل ، والمعنى أن المرء مطلوب بالسعى فيما يبقى من طهارة نفسه وتحليه بالمعارف والاعتناء بأشرف الجزأين وهو الروح الذى هو محل العلم والمعرفة فويحا لمن اشتغل بتشريف الخسيس وهو الجسد الظلمانى وإجلاله بترفيهه والسعى فى مصالحه وإهانة ذى الشرف الأصيل وهو الروح الذى هو أقعد فى الشرف وأعرف بالمجد وحفظ من هو خائن لا يدوم على الصداقة بل يفارق بالموت وهو الجسم وخيانة الودود الصفى الود التليد الحب وهو الروح وحفظ الأول بما ذكر من الاعتناء بمصالحه وحراسته عما لا يلائمه ومراعاة غذائه من غير تفريط ولا غفلة وخيانة والثانى باهماله عما يصلح به من الغذاء وحراسته عما يضره من الدواء وغذاء الجسم الطعام والشراب وغذاء الروح العلم والمعرفة والانوار المستجلبة بالطاعات والموافقات ويصح أن يراد بالاول الشيطان الموسوس وبالثانى الملك الملهم . ثم قال :

وَلِبَائِعٍ حُوراً حِسَاناً خُرَّداً ... عُرُباً بِعَظْمٍ فى التُّرَابِ مُدَوَّدِ

البيع الابدال فمن باع شيئا بشيء فقد أبدله به والحور جمع حوراء وهى الشديدة سواد العين الشديدة بياضها والحسان جمع حسنة وحسناء والخرد جمع خريدة وهى الحيية والعرب جمع عروب وهى المتحببة إلى زوجها والمدود الذى دخله الدود يقال دود اللحم فهو مدود . أى ويحا لمن يبيع حور الجنة الحسان الخرد العرب بعظم يدود فى التراب ، والمعنى أنه يشتغل باللذات ومآلها إلى جسمه وجسمه سيدود ويفنى ويترك الطاعات التى يستوجب بها الحور فقد باعها . ثم قال :

وَلِرَاضِعٍ ثَدْىَ الهَوَى وَسْنَانَ فِى ... لَيْلِ الضَّلَالَةِ خَابِطٍ مُتَرَدِّدِ

الوسنان من أصابته السنة والخابط من أتى ليلا على طريق لا يعرفه والتردد التحير أى ويح لمن يرضع ثدى الهوى بأن يلتزم ما تحب نفسه ويسعى فيه من غير موجب من الشرع ورضاع الثدى إما كناية عن التزامه والعكوف عليه كما أن الرضيع لا يغفل عن ثديه ولا يستطيع الصبر وإما كناية عن حبسه والشغف به كما أن الصبى يحب مرضعته ويولع بها وسنان أى غافل فى الضلال الذى هو كالليل المظلم ساع فيه بلا تبصر ولا نظر فيما يحسن ويقبح شرعا . ثم قال :

مُتَخَمِّطٍ فى تيهِهِ مُتَصَلِّفٍ ... وَمُذَبْذَبٍ فى نَوْكِهِ مُتَلَدِّدِ

المتخمط الشديد الغضب والتيه بكسر التاء الصلف والكبر والتيه أيضا الضلال تاه يتيه فهو تائه وتيهان والمتصلف من يتكلف الصلف وهو الخروج عن الطريق ومجاوزة الحد تكبرا والمذبذب الحائر والنوك بالضم والفتح الحمق نوك بالكسر نوكا ونواكة فهو أنوك أى أحمق والمتلدد بدالين مهملتين المتحير فهو توكيد أى ويح المتصف بهذه الاوصاف . ثم قال :

فَطِنٍ بِدُنْياهُ بَصِيرٍ نَاقِدٍ ... مُتَغَافِلٍ فِى دِينِهِ مُتَبَلِّدِ

حَرِدٍ إِذَا مَا سِيمَ خَسْفًا جَاهُهُ ... وَإِذَا يُسَامُ إِلٰهُهُ لَمْ يَحْرَدِ

الفطن الحاذق والناقد المميز للأشياء معرفة وخبرة والمتبلد المتحير والمتبلد أيضا

الخاضع غير المتجلد والحرد الغضبان والخسف الذل وسامه خسفا أراده به وعرضه له ، والمعنى أنه ذو فطنة فى أمور الدنيا وبصيرة وانتقاد فلا يفوته شىء منها دقيق ولا جليل وذو تغافل فى أمور الدين وتبلد فلا يكاد يدرك منها شيئا وهو مع ذلك إذا سامه أحد خسفا بنقص جاهه أو إذايته غضب وانتصر وإذا انتقص جناب الله تعالى أو ضيع حقه لم يبال . ثم قال :

يُسْدِى ويُلْحِمُ فى الغُرُورِ مُزَاوِلاً ۝ مَا عَنْهُ بُدٌّ مِنْ لُمَاعِ القُشْرُدِ
ويُضِيعُ مَا استَكْفَاهُ ربُّ العَرْشِ مِنْ ۝ سَعْىٍ لِأَمْرِ مَعَادِهِ وتَزَوُّدِ

السداء والحمة للثياب وأسدى الثوب يسديه جعل له السدى وألحمه نسجه ثم صار ذلك مثلا فى الاشتغال بالشىء يقال هو فى هذا الامر يسدى ويلحم والغرور كل ما لا بقاء له ولا حاصل من أمور الدنيا والبد العوض والمثل واللماع الجرعة من الماء واللماع أيضا نبت يخرج ناضرا أول ما يظهر ومنه قيل للدنيا اللماع واللماعة لانها زهرة لا بقاء لها والقشرد قماش البيت واستكفيت الامر فلانا استحفظته ، والمعنى أنه أيضا يسعى ويجتهد فى الغرور الدنيوى مزاولا أى معالجا ومتكلفا لما عنه خلف من لماعة الدنيا وقماشها والإضافة فيه للبيان كشجر أراك ويضيع ما كلفه الله تعالى بحفظه ومراعاته من السعى لآخرته والتزود من العمل الصالح لعقباه والمغبون من اشتغل بما ضمن له عما طلب منه ومن باع الباقى بالفانى . ثم قال :

ذِى خِلَّتَيْنِ عَرُوبَةٍ حُسَّانَةٍ ۝ رَوْضِ الْخَلِيلِ وَحَيْزَبُونٍ عِلْكِدِ
ومِقٍ لِهَذِى وَهْىَ خِبٌّ فَارِكٌ ۝ فَرِكٍ لِتِلْكَ على هَوًى لَمْ يُخْضَدِ

الخلة الحبيبة والحبيب أيضا يكون للذكر والانثى والعروبة المتحببة والحسانة بضم الحاء وتشديد السين الحسناء والحيزبون العجوز والعلكد العجوز الداهية ومقه يمقه مقة أحبه والخب بكسر الخاء الخبث والخديعة وصف به المرأة مبالغة كما يقال رجل عدل وامرأة عدل والفارك المبغضة لزوجها تقول فركت زوجها بالكسر وقد يفتح فهى فارك وفركها هو

أيضا أبغضها والهوى المحبة والميل والخضد كسر الغصن ونحوه من غير إبانة، والمعنى أن الغافل المؤثر لدنياه على آخرته شبيه برجل له خلتان حبيبتان إحداهما حسناء تحبه وهي روض الخليل أي فيها لخليلها الإنس وكل ما يشتهي كالرياض والاخرى عجوز فانية شريرة تكرهه وتبغضه وهو مع ذلك يحب هذه العجوز الخداعة الخبيثة الفارك ويبغض تلك الحسناء على هوى منها فيه وميل منها اليه لم يتبدل كالغصن لم يقطع له شيء فضلا عن الإبانة . ثم قال :

مُتَكَاسِلٍ عَنْ كُلِّ حَقٍّ عَاجِزٍ   مُتَشَمِّرٍ فِي كُلِّ مَا بُطْلٍ أَدِي

التكاسل تعاطي الكسل والحق الثابت والمتشمر ضد الكسلان والبطل مصدر بطل الشيء يبطل بطلا وبطولا إذا ذهب ضياعا وخسرا والادي بتشديد الياء بوزن غني الخفيف من الناس المتشمر وهو وصف المتشمر لا للبطل كما أن عاجز اوصف لمتكاسل لا الحق، والمعنى أنه يتكاسل عما يدوم ويبقى ويعجز عنه ويشمر إلى ما يذهب ويفنى ويتحبب اليه. ثم قال:

لَوْ كَانَ ذَا لُبٍّ لَأَيْقَنَ أَنَّهُ   مَا كَانَ أُنْشِئَ بَاطِلاً أَوْ عَنْ دَدِ

كَلاَّ وَلاَ لِلْخُلْدِ فِي الدُّنْيَا وَلا   لِيَكُونَ أَقْصَى عَيْشِهِ العَيْشُ الرَّدِي

بَلْ مُنْشَأً فِي الأَرْضِ لاَ مُسْتَوْطِنٌ   لَكِنْ لِيَعْبُرَ نَحْوَ ذَاكَ المَوْعِدِ

اللب العقل والدد اللعب والعبور المجاوزة ، والمعنى أن الإنسان لو كان له عقل يتأمل به لعلم أنه لم يخلقه الله تعالى باطلا لغير غاية ترادو لاخلقه عبثا ولعبا قال تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ) وقال ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ) الآية كلا ليس الامر كذلك فليس بمخلوق عبثا ولا ليخلد في الدنيا ولا ليكون العيش الدنيوي الردي منتهى عيشه بحيث لا يبعث ولا يكون له جنة ولا نار كما يتوهم منكر البعث وهذا حصر الاحوال المتوهمة وهو أن الإنسان ما خلق باطلا لغير حكمة ولا غاية وإن جاز ذلك عقلا ولا خلق ليبقى في الدنيا خالدا ولا يفنى بالموت فناء لا حياة بعده فاذا بطلت هذه كلها لم يبق إلا أنه منشأ في الارض راحلا مسافرا لامستوطنا فيها ولكن ليعبر نحو ذلك الموعد وهو

موعد الاولين والآخرين وفيه يستبين مآل أمره ويجنى ثمرة غرسه، ثم قال :

وَخَلِيفَةٌ لِيَسِيرَ فِيهَا سِيرَةَ الْـمُسْتَخْلَفِ المستحفظِ الْمُسْتَعْهَدِ

مِلْكٌ يُوَازِرُهُ الحِجَا وَيُمَدُّ مِنَ ... جُنْدٍ بِأَنْوَارِ الْغُيُوبِ مُجَنَّدِ

وَالْكَائِنَاتُ رَعِيَّةٌ تُجْبَى إِلَى ... تَصْرِيفِ فِكْرٍ عِنْدَهُ مُتَبَدِّدِ

وهَوَى بِرَبَّةِ بَيْتِهِ خِدَعُ الهَوَى ... وَسَطَا بِجَمْعٍ مِلْحُظُوظٍ مُحَشَّدِ

فَتَكَنَّفَ الملِكَ الْبُغَاةُ مَتَى يَرُمْ ... نحْباً يُعادُ عَلَى السَّدَادِ وَيُحْسَدِ

وتَلَظَّتِ الحَرْبُ العَوَانُ فإنْ يَكُنْ ... حَضَرَ المَلِيكَ وَزِيرُ صِدْقٍ يُعْضَدِ

مُسْتَنْصِراً بِالرُّشْدِ وَالتَّوْفِيقِ فِي ... غَمَرَاتِهَا وقِرَاعِهِ الْجَمْعَ العَدِى

فَثَنَى جُمُوعَهُمُ وفَلَّلَ غَرْبَهُمْ ... بِغِرَارِ سَيْفٍ مِنْ حَجَاهُ مُهَنَّدِ

المستخلف هو المجعول خليفة والمستحفظ الموكل بحفظ الشيء. والاستعهاد استفعال من العهد وهو الوصية ويقال أيضا استعهد من صاحبه إذا اشترط عليه وكتب عليه العهد واستعهد فلانا من نفسه إذا ضمنه حوادث نفسه والجند بالضم العسكر والمجند المجموع وسطا عليه سطوة صال عليه والمحشد المجموع والبغاة جمع باغ وهو الظالم الخارج عن الطاعة والنحب الحاجة والنذر والسداد بفتح السين الصواب والحرب العوان التي قوتل فيها مرة بعد مرة أخرى استعارة عن عوان النساء وهي التي تقدم لها زوج والغمرات مواطن التحام الحرب استعارة من غمرات الماء والقراع المقاتلة والمدافعة والعدى على وزن غنى جماعة القوم يعدون للقتال والتفليل الكسر والغرب الحد من السيف ويستعار للقوة والشوكة فيقال فل غربهم أي كسر شوكتهم والغرار بكسر الغين حد السيف ونحوه ، ومعنى الابيات الثمانية أن الإنسان من حيث روحه خليفة في هذه الجثة استخلفه الله تعالى فيها واستحفظه إياها وأوصى عليها وذلك ليسير فيها سيرة المستخلف بتصريف كل جارحة ظاهرة وباطنة فيما خلقت له مما يعود عليه به نفع وصلاح في العاجل والآجل وحراسته من كل ما يؤذيه والوقوع فيما يرديه وهذا الروح

كالملك فى البدن والعقل كالوزير والأنوار التى يمده الله تعالى بها كالجنود له ثم إن الهوى كالقائم عليه يريد أن يفسد عليه ملكه وقد استمال بخدعه ربة البيت وهى النفس فتبعته وصال على الروح والعقل بجند من الحظوظ أى الشهوات والشيطان معينه فتكنف لهذا الملك وهو الروح البغاة أى أحاطوا به من كل جانب فمتى يحاول أمراً يقضيه من الخير والصلاح عادره وحسدوه ونازعوه وعند ذلك تلظت أى اشتعلت الحرب بين الروح والهوى هذا يدعو إلى الخير وهذا يدعو إلى الشر فان كان مع الروح وزير صالح ناصح وهو العقل الكامل السالم فانه يعضد أى ينصر ويعان على عدوه حالة كونه مستنصرا على العدو بالرشد من الله تعالى والتوفيق منه فان العقل غير نافع بلا توفيق وذلك فى غمرات هذا الحرب وفى قراعه هذا الجمع العدى فان فعل ذلك ثنى جموع الهوى والشهوات وحسم شوكتها بسيوف العقل المهندة القاطعة، وأشار فى هذه الأبيات إلى ماذكره أرباب القلوب فى المملكة الإنسانية وفيها كلام كثير وترقيق لا يسعه هذا التقييد وحاصل ماوقعت الإشارة اليه باختصار أن الله تبارك وتعالى أودع الروح فى هذا الجسد كالخليفة فيه ليصرفه وعبر أرباب الحقائق عن هذا المعنى بطريق التمثيل والمقايسة وقالوا إن الإنسان هو العالم الأصغر وقد بينا وجه ذلك فى غير هذا المحل ، وكما أن الله تعالى استخلف آدم فى الأرض من العالم الأكبر فكذلك استخلف الروح فى أرض الجسم من العالم الأصغر ، ولما استخلفه جعل له مدينة هى مملكته وموضع سياسته ونظره وهى الجسم وجعل له منها محلا هو قصر الملك يحل فيه أو يقوم به أو يراعيه على الأقوال الثلاثة فى أن الروح جوهر متحيز أو عرض أو جوهر مجرد وهذا القصر هو القلب وقيل الدماغ على الخلاف المشهور وكل ما احتوت عليه هذه المدينة هى حضرة الملك وماخرج عنها هو باديته وجعل له الحواس كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس جباة يجبون له صور المكونات ومعانيها وجعل لها متنزها فى أعلى هذه المدينة يشرف منه على رعيته وهو الدماغ وجعل فى مقدمه خزانة يجتمع فيها جبايات الجباة وهى المسموعات والمبصرات والمشمومات والمذوقات والملموسات ، ويقال لهذه الخزانة

الحس المشترك ومنها انتقل إلى خزانة الخيال بعد تمام العمل ومنها تنقل إلى خزانة الفكر فى وسط الدماغ فيأخذ ماصح منها ويرد مالم يصح فهو الضابط الحافظ القيم على الخيال كما أن الخيال هو القيم على الحواس وجعل آخر هذا المتنزه خزانة أخرى للحفظ وأوجد تبارك وتعالى فى هذه المملكة النفس وهى محل التطهير والتغيير وهى حرة هذا الملك وربة بيته وأوجد الله العقل لجعله وزيراً لهذا الملك عنه يقع الإيراد والاصدار فاذا وردت الجبايات على الفكر رفعها إلى العقل ثم رفعها إلى الملك وهو الروح ثم رفعها الروح إلى الملك الحق لاإله إلاهو رب العالمين وتسمى فى الرتبة الأولى محسوسات وفى الثانية متخيلات وفى الثالثة والرابعة معقولات لأن الفكر خادم العقل وفى الخامسة أسرار ، ثم إن الله تعالى خلق فى هذه المدينة رئيسا آخر ثائراً قويا ينازع الروح فى المملكة الإنسانية ويقال له الهوى وكما أنه قد أمد الله تعالى الملك الأول وهو الروح بالملائكة والعلوم والمعارف وهى جنوده كذلك قد أمد هذا الثائر بالشياطين وأصناف هذه الشهوات واللذات وهى جنوده قالوا على طريقة التمثيل ثم إن هذا الثائر وهو الهوى قد اطلع يوما مع وزيره وهو الشهوة وجنوده فرأته النفس ورآها فلما تراءيا عشقته وعشقها فرام أن يستمكن منها وجعل يخادعها ويهاديها ويمنيها فلما رأت نعمته عاجلة ولذته حاضرة مالت إليه والروح لم يشعر بشىء من هذا والعقل الذى هو الوزير قد علم به غير أنه كان يلاطف الأمر عسى أن ترجع ، ثم إن الروح استدعاها فتعاصت عليه ولم يدر سبب تعاصيها فسأل الوزير عن نشوزها وتمردها فقال له الوزير إنها قد مالت إلى غيرك فان هنا رئيسا نعمته عاجلة مشهورة ونعمتك آجلة غائبة ومساعيه لذيذة سهلة ومساعيك شاقة كريهة وقد أعجبها فاستهواها فحينئذ عظم الأمر على هذا الملك وهو الروح فلم ير مغيثا ولا ناصرا إلا الرجوع إلى ربه ومالكه الحق الذى استخلفه وهو الله تعالى اسمه لينصره وهذا حكمة خلق هذا الثائر فان الروح مخلوقة فى غاية الطهارة والمعرفة والكمال فلو ترك ونفسه لكان ربما دخله طغيان وغفلة عن مالكه الحق وجهل باقرار النعم فابتلاه الله بهذا الثائر العدو

ليصرف عجز نفسه وعظيم افتقاره إلى مولاه تعالى وليرجع اليه ويتعرف كفايته وحمايته وعنايته به فاذا رجع إلى مولاه فى شأن هذه الناشزة الخائنة كفاه الله تعالى بفضله أمرها وناب عنه فيها فخاطبها تعالى فقال (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وفى هذا الخطاب متسع لفهوم أهل الإشارات ولا غرض لنا فى التعريض لذلك فاذا سمعت نداء الحق أجابت وأذعنت لأنها وغيرها فى قبضته تعالى فدخلت تحت سلطان الروح وجرت حركتها على إشارته وبرئت من الهوى ثم كلما هم هذا الثائر بالاستيلاء على المملكة نهض الوزير فى دفعه ولا تزال الحرب بينهما لأن كلا منهما يريد أن يكون تصرف المملكة على يديه لما يرى من أن ما ينحو إليه هو صلاحها وفوزها غير أن الروح مجتهد مصيب والهوى مخطىء ضال فاذا كان الوزير متيقظا موفقا قام بحراسة المملكة وسد كل ثلمة يخاف منها العدو ونصب فيها قاضى العدل ومفتى العلم وسور الورع إلى غير ذلك فقوى الملك واستقامت السياسة وإن كان الوزير ناقصا غافلا أخلد إلى الدعات والنوم وجعل يغتر ويحسب كل بيضاء شحمة فلا يشعر إلا وهم دخلوها من كل باب فاذا هو به أسير وإذا بالملك وهو الروح مقبوض عليه مسجون وإذا بالعمال وأرباب الجبايات من السمع والبصر والفكر ونحوها مذعنة للهوى داخلة تحت سلطانه تتصرف على إشارته نسأل الله العصمة من كل وصمة وعند ذلك ترى المرء يتمنى الخير وهو لا يفعله لكون الروح مسجونا يتمنى أن يتصرف فى المملكة ولا يستطيع فان سبقت له من الله تعالى عناية رجعت إليه بالتضرع وغاية الاضطرار فتأتيه النصرة من ربه القوى المتين فلا يشعر الثوار إلا وقد أصبحت عليهم الجنود الربانية نصر من الله وفتح قريب فاجتاحوهم وأخرجوا الروح من سجنه وأجلسوه على كرسيه يأمر وينهى وعند ذلك ترى المرء يبيت عاصيا متهتكا ويصبح تائبا مخلصا (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) ﴿فائدتان: الأولى﴾ اعلم أنه جرى فى هذا الكلام ذكر الروح والنفس والعقل وليست بمعان متباينة وإنما هو شيء واحد اختلف بالاعتبار وتعدد بتعدد الصفات والمعنى بالجميع فى الجملة هو اللطيفة

المدركة المودعة فى الإنسان وهى التى يتميز بها الإنسان من الحيوانات العجماوات ويقال لها فى لسان الحكيم النفس الناطقة وليست هى الحياة المصححة للحس والحركة لأن الحياة بجميع الحيوان فهى قوة زائدة وليست أيضا بمجرد الإلهام الوهمى والخيالى المتعلق بالجزئيات فان هذا أيضا موجود لغير الإنسان وبه نفرت الشاة من الذئب وميز الحمار معلفه وإنما هى قوة عنها يكون التمييز بين الخلائق الكليات غير أنها من حيث التعلق بالمدارك كائنة ما كانت تسمى عقلا ومن حيث الجنوح إلى القذارة تسمى نفسا ومن حيث الجنوح إلى الصفاء والقدس تسمى روحا وقال الإمام الساحلى رضى الله عنه فى بغيته قد يجرى لنا أثناء كلامنا فى هذا المجموع ذكر النفس والقلب والروح والسر فقد يظن الظان أن اختلاف هذه الأسامى لاختلاف مسمياتها ولست أريد بها إلا مسمى واحدا واختلاف أساميه لاختلاف صفاته وهو الروح الجوهر اللطيف الصافى الشريف الذاكر العارف بمهبط الأنوار الإلهية الصادرة من أمر الله تعالى فادام مائلا إلى جنبة النقص فى أغلب الأحوال عبر عنه بالنفس ولا يزال مع قيامه بوظائف مقام الإسلام تضعف فيه جنبة النقص وتقوى فيه جنبة الكمال حتى إذا تخلص من مقام الإسلام تساوت عنده الجنبتان فينقلب عندها فعند ذلك عبر عنه بالقلب ولا يزال مع قيامه بوظائف مقام الإيمان تغلب جنبة الكمال على جنبة النقص حتى إذا تخلص من مقام الإيمان اتحدت فيه جنبة الكمال لكن يبقى معها أثر من ذلك النقص كما يبقى أثر الجراحات بعد البرء فعند ذلك عبر عنه بالروح ولا يزال مع قيامه بوظائف مقام الإحسان حتى تذهب تلك الآثار وتتخلص تصفيته فعند ذلك عبر عنه بالسر انتهى وقد اعتبر هو القلب ونحن اعتبرنا العقل وكل صحيح فى محله باعتبار والله أعلم (الفائدة الثانية) إنه قد جرى أيضا فى الكلام ذكر المدد الملكى والشيطانى فاعلم أن الله أيد العقل بالملك وأيد النفس بالشيطان ومن غلب كان الحكم له كما سبق فى مشيئته تعالى ويسمى القاء الملك فى القلب إلهاما وإلقاء الشيطان وسوسة وهما خاطران يتواردان الأول بالخير والثانى بالشر وجميع الخواطر أربعة ربانى وهو ما يرد من الله تعالى على القلب كفاحا وملكى وهو ما يرد من الله تعالى على يد الملك

وشيطانى وهو ما يرد من تلقاء الشياطين ونفسانى وهو ما يخطر من جهة النفس والأولان نافعان والأخيران مضران فى الجملة والكلام فيهما على التحقيق يخرجنا عن الغرض ثم قال :

وَأَعَدَّ أَعْدَاداً لِيَوْمٍ هَائِلٍ وَصَحِيفَةٍ سُطِرَتْ وعَرْضٍ مُرْصَدِ

أعد الشىء هيأه لوقت الحاجة اليه والأعداد بفتح الهمزة جمع عد بكسر العين وهو القرن والند أيضا واليوم الهائل يوم القيامة لأنه يهول الناس والصحيفة ما يكتب فيه والمسطورة المكتوبة والمراد بها هنا صحيفة الحفظة على الإنسان من حسنات أو سيئات والعرض مصدر وهو العرض بين يدى الله تعالى يوم القيامة والمرصد المعد ومعنى البيت : أن الإنسان إذا دفع جنود الهوى وغلبهم فحينئذ تستقيم حالته فيعد الزاد ليوم القيامة ويسعى فى الطاعة واكتساب الحسنات ليأخذ صحيفته بيمينه ولينجو عند العرض الذى أعده الله فجعل ما يلقى به ربه وميزانه من الأعمال الصالحة كأنها أقران تعد للقاء وتدخر ليوم الكفاح ويجوز أن يكون جمع عدد أى أعداد من الحسنات يثقل بها الميزان . ثم قال :

يَوْمٌ يَشِيبُ بِهِ الوَلِيدُ وَيَسْتَوِى فِيهِ المَسُودُ مِنَ الوَرَى بِمُسَوَّدِ

المسود هو المغلوب والمسود هو المشرف تقول ساد فلان قومه فاقهم فهو سيد وهم مسودون وسوده قومه عليهم فهو مسود . أى يوم يشيب فيه الصبى إما لطوله وإما لهوله ويستوى فيه الشريف والوضيع إلا من أكرمه الله تعالى . ثم قال :

وَيُدَاسُ هَادِى كُلِّ مَارٍ مَارِدٍ فِيهِ بِأَخْمَصِ كُلِّ أَلْكَنَ أَلْكَدِ

الدوس الوطء بالرجل والهادى العنق والمارى الجاحد يقال مراه حقه إذا جحده . والمارد العاتى البالغ النهاية فى العتو والأخمص باطن القدم والألكن من لا يبين منطقه والألكد اللئيم الملصق بالقوم ، والمعنى : أى يوم توطأ رقاب الجبابرة الظلمة بأقدام الضعفاء وهو إشارة إلى ما ورد من أن الجبابرة يكونون كالذر فيوطأون . ثم قال :

وَيَفِرُّ فِيهِ مِنَ الخَلِيلِ خَلِيلُهُ وَيَوَدُّ فِيهِ المَرْءُ لَوْ لَمْ يُولَدِ

وَيَوَدُّ لَوْ كانَت لَهُ الدُّنْيا بِمَا فِيها فَأَعطَاها هُنَالِكَ فَافْتَدِى

قال تعالى : ( يوم يفر المرء من أخيه وأمه ) الآية ، وقال تعالى : ( إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض ) الآية . ثم قال :

وَيَوَدُّ أَنْ لَوْ كان فى العَجْمَاء مِنْ مَاليْسَ مَوعُوداً وَليْسَ بِمُوعَدِ

اليَوْمَ يَمْرَحُ بالمَرَاحِ وَيرْتَعِى وغداً يَصِيرُ إلى التُّرَابِ الرِّمْدِدِ

العجماء غير الإنسان من الحيوانات والوعد فى الخير والإيعاد فى الشر وهما مخصوصان بالمكلفين والمرح الأشر والبطر والمراح موضع مبيت الشاء مثلا والارتعاء افتعال من الرعى والرمدد على وزن زبرج الرقيق من التراب جدا ، والمعنى : أن الإنسان فى ذلك اليوم إذا عاين العذاب ورأى البهائم قد صيرت ترابا ، حينئذ يتمنى أن لو كان بهيمة فى الدنيا لا يتعلق به خطاب ولا وعد بالجنة ولا وعيد بالنار يرعى اليوم فى الدنيا الأعشاب ويلعب بالمراح وغدا يرجع إلى التراب ويسلم من العذاب. ثم قال:

يَوْمٌ يُهَابُ لَهُ بِعُمَّارِ الثَّرَى وَتُسَاقُ عُنْفاً كالوَسِيقِ المُطْرَدِ

وَتُجِيبُ مُهْطِعَةً نِدَاءَ مُسَيْطِرٍ بالحَقِّ مِنْ كَثَبٍ سَمِيعٍ فُدْفُدِ

يقال هاب الراعى بغنمه إذا صاح بها لتجتمع أو ترجع وعمار الثرى عمار المقابر أو عمار الأرض والعنف ضد الرفق والوسيق من الإبل ما جمع من الغارة مثلا والمطرد المأمور بطرده يقال طرد الإبل إذا ساقها أو جمعها من نواحيها وأطردت الشىء أمرت بطرده والمهطع المسرع والمسيطر المتسلط والكثب القرب والسميع المسمع كما قال عمرو بن معد يكرب : * أمن ريحانة الداعى السميع *

والفدفد كهدهد الصيت الجافى الكلام أى يوم يصاح له أى لأجله أو إليه بمن كان فى المقابر أو بمن كان فى الدنيا ويساقون إليه عنفا كالإبل المسوقة يجيبون نداء الملك يوم ينادى من مكان قريب مسرعين إليه . وقوله بالحق ، احتراس أى أن الملك وإن تسلط فهو بحق لا جور والحق أيضا من أسمائه تعالى ففيه تورية ثم قال :

وَيُذَادُ مِنْ بينِ الوُفُودِ مَعَاشِرٌ   نَفْيَ الزُّيُوفِ مِنَ النُّضَارِ الجَيِّدِ
وَيَرَى المُسِيءُ بِهِ مُجَازَاةَ الأُلَى   عَمِلُوا فَيَقْرَعُ سِنَّهُ مِنْ مَعْبَدِ

الذود الطرد والزيوف هنا الزائفة من الدراهم وهى المردودة لغشها والنضار الذهب أو الفضة وقرع السن نقرها ويكون عند الندم والمعبد مفعل من قولك عبد الرجل بالكسر عبدا إذا ندم أى يوم يطرد فيه عن الحوض أقوام من بين الوفود الواردين على الحوض كما ترى الزيوف من بين الجيد وهم الذين بدلوا وغيروا فيقول النبى عليه الصلاة والسلام سحقا سحقا وهذا فى أحاديث الحوض مشهور ويرى فى هذا اليوم أيضا المسىء فى الدنيا ما يعطاه العاملون من الثواب فيقرع سنه ندما . ثم قال :

والنَّاسُ بَيْنَ مُفَضَّلٍ وَمُجَلَّلٍ   عَفْواً وَشِلْوٍ فى الجَحِيمِ مُهَرَّدِ

الشلو بالكسر العضو والجسد كله والمهرد المنضج تقول هردت اللحم هردا وهردته تهريدا إذا أنعمت نضجه . أى الناس فى ذلك اليوم ثلاثة أصناف . صنف فضلهم الله تعالى وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ، وصنف جللهم الله أى غطاهم بعفوه فغفر لهم من المؤمنين ، وصنف تنضجهم النار وهم الكفار نسأل الله العافية . ثم قال :

والبِرُّ يَغْمُرُ كلَّ بَرٍّ مُخْبِتٍ   وَالحُزْنُ يَغْشَى كلَّ حَزْنٍ سُجْدُدِ

البر بكسر الباء الخير والغمر التغطية غمره الماء وغمره الغطاء والبر بفتح الباء المطيع والمخبت الخاشع الخاضع والحزن بالضم ضد الفرح والحزن بالفتح الصعب والسجدد كقنفذ الشديد المارد أى الخير فى ذلك اليوم يعم كل مطيع لله تعالى خاشع له والحزن يغشى كل عاص ممتنع عن الشريعة متمرد على الأمر والنهى . ثم قال :

وَلِحُفْرَةٍ يُدْلَى إِلَيْهَا عَارِياً   مِنْ كلِّ شَيْءٍ غَيْرَ سَعْيٍ مُعْتَدِ
وَمُقَاوِلاً مَنْ لا يُقَاوَمُ غِلْظَةً   وَمَهَابَةً وَأَذًى وَلَيْسَ بِمُعْتَدِ

الحفرة القبر وإدلاء الميت إليها إنزاله فيها كالدلو فى البئر والمعتد المعد يقال اعتد الشيء

اعتادا والمعتد فى القافية الثانية من الاعتداء والمجرور أول البيتين عطف على قوله ليوم هائل أى وأعد الزاد لحفرة سينزل إليها حال كونه عاريا من ماله وجاهه وعشيرته وأنصاره ومن كل شىء إلا من السعى والعمل الذى أعده صالحاً أو سيئاً وحال كونه عند نزوله فى القبر مقاولا أى مخاطبا للملك الفتان الذى لا يستطيع بشر أن يقاومه من غلظته ومهابته وإذايته مع أنه غير معتد ولا ظالم لأحد بل باذن ربه . ثم قال :

| | |
|---|---|
| وَلِيَوْمِ بَيْنٍ وانْتِبَاذٍ بالْعُرَى | وَفَجِىءٍ مُسْتَقْضٍ عليْهِ مُهَكَّدِ |
| وَتَمَلْمُلٍ وَتَضَاؤُلٍ وتَقَصُّفٍ | رَغْماً لهُ وَلِرَهْطِهِ والعُوَّدِ |
| عَنْ وَائِلٍ رَاثٍ ووَالٍ رَائِثٍ | وحَزِينَةٍ ثَكْلَى وَجذْلانٍ عَدِ |
| وَفِرَاقِ أَوْطَانٍ وإِخْوان الهوى | ونَفَائِسٍ وحُلولِ بَطْنِ الجَدْجَدِ |

يوم البين هو يوم الموت لأن الروح تبين من الجسد والانتباذ افتعال من النبذ وهو الرمى تقول نبذته فانتبذ والعراء فى الأصل الأرض العارية التى لا شجر فيها أو نبات، والمراد هنا المقابر لأنها تكون فى ذلك غالبا والفجىء الفاجىء وهو الآتى بغتة والمستقضى الطالب لقضاء الدين والمهكد المشدد فى التقاضى والتململ التقلب وتململ الرجل فى فراشه تقلب لمرض أوهم والتضاؤل التصاغر والشىء الضئيل الصغير الرقيق وتضاءل تصاغر أو أخفى شخصه والتقصف التكسر والقصف الكسر والوائل الراجع وآل اليه رجع والمراد هنا من يرجع إليك بصداقة أو خدمة ورثى له رحمه ورق له فهو له راث والوالى القريب والرائث المبطىء راث الشىء يريث أبطأ وأرث به أبطأ به والثكلى الفاقدة ولدا والجذلان الفرح والعدى المبغض يقال عدى له بالكسر أبغضه والنفائس جمع نفيسة ونفيس المتاع أجوده والجدجد الارض الصلبة. والمعنى: أنه يعد الزاد أيضا ليوم البين أى يوم الموت يوم يرتمى خارج البلد مدفونا فى المقابر وهو اليوم الذى يأتيه صاحب الدين المشدد فى التقاضى وهو ملك الموت فان الروح كأنه دين عند الإنسان يؤديه إذا حل الأجل ولا يأتى إلا فجأة وذلك اليوم أيضا يوم تململ أى تقلب فى الفراش وتضاؤل أى تصاغر من

عظيم ماحل وتكسرفانه عندنزع الروح تكون الأعضاء كلها كأنها تقصف ولاسيما الصدر عند الحشرجة وذلك كله يكون رغما لأنف الميت ورغما لرهطه ولمن يعوده فانه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا يستطيعون ويكون بينه على أصناف من الناس منهم الصديق الذي يؤول إليه بمخالة أو إحسان وهو يرثى له ويرق أو يرثيه أي يبكيه بالشعر وذكر محاسنه ومنهم الوالى أى القريب الوارث وهو يكون قد أبطأ أخذ الميراث بموته فهو يتربص به الموت، ومنهم الحزينة الثكلى كأمه ومنهم منافسه ومناوئه فهو فرح بموته لأنه مبغض له وقدما قيل :

يبكى الغريب عليه ليس يعرفه      وذو قرابته فى الحى مسرور

وهو أيضا يوم فراق وطنه وخليله ونفائسه المدخرة ونزول بطن الأرض . ثم قال :

يا غُمَّةً لِنُفُوسِنَا مِنْ فُرْقَةٍ      أَبَدِيَّةٍ لِلْمُألَفِ الْمُتَعَوَّدِ

إنَّ الْفِرَاقَ يَشُوقُنَا وَيَروعُنَا      فى هَذِهِ الدُّنْيَا فَكَيْفَ بِأَبْعَدِ

الغمة والغم الكرب والشوق نزوع النفس وحركة الهوى شاقه الشيء هاجه أى ما أشد الغم على نفوسنا من الفرقة الأبدية التي لا رجوع عنها وذلك بالموت إذ لا رجوع إلى الدنيا أبدا والدنيا هى المألف المتعود أى الشيء الذى ألفناه وتعودناه والآخرة لا تألفها النفوس ولم تعتدها فلذلك كانت مشقتها أعظم المشقات وكربتها أشد الكربات فان الفراق يشوقنا ويفزعنا فى هذه الدنيا مع قرب المسافة وانتظار الأوبة فكيف بفراق الروح وبينونتها عن الجسم بينونة من الدنيا والمألوفات لا آخر لها وإضافة ذلك كله إلى النفس لكونها هى الآلفة للدنيا وزهراتها وهى المتألمة بفراقها مع أن الروح أيضا يؤلمه فراق الجار وما يتوقع من هول المطلع فى تلك الدار فلذا عظم أمر الموت . ثم قال :

وَالنَّفْسُ آلِفَةٌ تَذُوبُ عَلَى النَّوَى      ذَوْبَ اللُّجَيْنِ عَلَى لَهِيبِ الْمَوْقِدِ

اللجين بضم اللام الفضة والموقد بفتح الميم موضع اشتعال النار وبضم الميم مشعلها أى النفس ألوف بالطبع فالفراق يذيبها كما يذيب الفضة لهيب النار فى الموقد واللهيب

الذى يوجه موقد النار وهذا تخلص لذكر الترحل والسفر . ثم قال :

وَلَقَدْ رَأَتْ هِنْدٌ وكانَتْ غِرَّةً     مِنْ قَبْلُ أَنْ نَوَى الأحِبَّةِ فى غَدِ
فَتَوَسَّدَتْ شَوْكَ القَتَادِ وَأَبْطَنَتْ     جَمْرَ الغَضَا وتَمَلْمَلَتْ فى المَرْقَدِ

الغرة بكسر الغين التى لا تجربة لها والقتاد شجر له شوك كالإبر يضرب به المثل فى الأمر الصعب والغضا شجر عظام جمره أشد الجمر وأبقاه أى ولقد رأت هند أى ظهر لها أن نوى الأحبة فى غد وكانت قبل ذلك غرة لم تر صروف الدهر ولا ذاقت مرارة الفراق فلما رأت ذلك جعلت تململ فى مرقدها أى تنقلب حزنا وغما واستبطنت الجمر فما يدعها أن تنام . ثم قال :

وَتَوَسَّنَ الوَجْدُ العَمِيدَ شَغَافَهَا     فَاسْتَعْلَنَتْ بِتَلَهُّفٍ وَتَوَجُّدِ

توسنه أتاه عند الوسن والوجد الحزن والعميد العامد أى المضنى يقال عمده إذا أضناه والشغاف داخل القلب فاذا خرقه الوجد فهو مشغوف واستعلنت أعلنت والتلهف هو التحسر والتوجد هو التشكى يقال توجد السهر إذا شكاه وفى نسخة وتنهد وأطلقه على تنفس الصعداء وأصله نهود الثدى أى ارتفاعه ونهود الرجل إلى الأمر أى نهوضه أى جاء الوجد إلى المذكورة مع اليأس فجعلت تتلهف من ألم الفراق وتعلن إذا غلبها ما تجد . ثم قال :

وَرَنَتْ بِمُقْلَةِ مُطْفِلٍ مَحْرُوبَةٍ     خَلْفَ القَنُوصِ لِمَا لَهَا مِنْ فَرْقَدِ

رنت نظرت فأدامت والمقلة شحمة العين وقيل هى السواد والبياض وقيل هى الحدقة وهى المراد والمطفل من البقر ما لها ولد والمحروبة المسلوبة ولدها والقنوص هو القانص والفرقد ولد البقرة أى نظرت المذكورة بمقلة كأنها مقلة البقرة الوحشية ذات الولد الناظرة إلى

القانص لولدها الذى ليس لها غيره وفى تلك الحالة تظهر سمة العين مع الكآبة والحزن . ثم قال :

وَتَصَوَّبَتْ عَبَرَاتُهَا وَتَصَعَّدَتْ زَفَرَاتُهَا تَشْدُوا بِقَوْلَةِ مُنْشِدِ :
لاَ مَرْحَباً بِغَدٍ وَلاَ أَهْــلاً بِهِ وَالدَّمْعُ يَــكْحَلُهَا مَــكَانَ الإِثْمِدِ

التصوب النزول من فوق إلى أسفل والعبرات الدموع والتصعد التعلى والزفرة إخراج النفس مرة بعد مرة فعل المغموم وشدا يشدو رفع صوته بالشعر ، أى جعلت دموع هذه المذكورة تنزل وزفراتها تعلو وهى تغنى بقول المنشد وهو النابغة :

لامرحبا بغــد ولا أهلا به إن كان تفريق الأحبة فى غد

والدمع فى ذلك يكحلها أى يملأ عينيها بدل الأثمد وهو الحجر الذى يكتحل به . ثم قال :

وَيَطُلُّ رَوْضَةَ وَجْنَتَيْهَا والحَــيَا فى الرَّوْضِ يُنْبِتُ كُلَّ زَهْرٍ أَغْيَدِ

طلت الأرض بالضم وطلها الندى فهى مطلولة والطل أضعف المطر والحيا بالقصر المطر وبالمد معروف والأغيد من النبات الناعم المتثنى أى جعل الدمع يقطر على وجنتيها كأنه الطل وكأن الوجنة الروضة من بهائها ونضرتها والحيا أى المطر متى نزل فى الروض أنبت فيه كل زهر ناعم وكذا وجنتها الآن تتلون كأن فيها أزهاراً حمراً وصفراً كاسنبينه بعد ويجوز أن يراد بالحيا الممدود وبالروض الوجنة المعهودة فهى تورية . ثم قال :

فَرِقَتْ فَأَنْبَتَتِ الْبَهَارَ مُنَوَّراً وعَذَلْتُهَا فَصَبَغْتُهُ بِتَوَرُّدِ

فرقت بكسر الراء فزعت والبهار نبت قال فى الصحاح هو العرار الذى يقال له عين البقرة هو بهار البر وهو نبت جعد له تفاحة صفراء ينبت أيام الربيع انتهى وذلك تورية ويقال نور النبت تنويراً أخرج نوره والعذل اللوم ووردت الشجرة توريدا ووردت المرأة احمر خدها فتورد الخد أى جزعت هذه المرأة وخافت من الفراق ،

فاصفار خدها فكأنها أنبتت فيه البهار عند ما انفتح نوره الأصفر وعذلتها على ذلك الجزع فخجلت من كلامي فاحمار خدها فكأن ذلك صبغ أحمر وكأن البهار صار ورداً . ثم قال :

وتبيتُ تَلْسَعُنِى المَلَامَ لَعَلَّهَا تَثْنِى عِنَانِي أوْ تَمَلَّكُ مِقْوَدِى

يقال لسن زيد عمرا إذا تسلط عليه بلسانه ولسنه أيضا غلبه فى الملاسنة ولسنته العقرب لدغته وثنى الدابة صرفها إلى ناحية أخرى والمقود ما تقاد به الدابة ، أى تبيت هذه المرأة تأخذنى بلسانها ملاما أو تلدغنى من لدغ العقرب على ما اروم من البين والرحلة لعلها بذلك تصرفنى عن رأيى إلى رأيها أو تجعل زمامى بيدها . ثم قال :

وَتَظُنُّ تَفْتِلُ بِاللِّحَاءِ ذُؤَابَتِى وتُلِينُ مِنِّى مَتْنَ رُمْحٍ عَصْلَدِ

اللحاء اللوم لحاه يلحاه والذؤابة أخرى الشعر ومتن الرمح عوده والعصلد الشديد الصلب أى تظن هذه المرأة أنها ستفتل ذؤابتى أى تستمكن منى كما يستمكن الرجل من الدابة إذا أخذ بناصيتها ومن الإنسان إذا أخذ بشعر رأسه ، أو تخدعنى كما يخدع الممسوح عليه من بعير أو دابة وفى المثل مازال يفتل منه فى الذروة والغارب حتى فعل وتظن أيضا أن تصرف رأيى أو توهن عزمتى وتعطف قناتى ولم تدر أنها صلبة لا تثنى : ثم قال :

وَتَخَالُ تَمْحَضُنِى النَّصِيحَةَ بَرَّةً والنُّصْحُ آوِنَةً مَقَالَةُ مُؤْتَدِ

تخال تظن ومحضته النصح إذا خلصته له والبرة ضد الفاجرة والآونة جمع أوان وهو الوقت من الزمان والمؤتد مفتعل من قولك أدوت له وأديت إذا ختلته أى تظن أنها بعذلها تمحضنى النصيحة محسنة أى صادقة والنصح أحيانا كلام ختال مخادع . ثم قال :

فَتُسِرُّ حَسْواً فى ارتِغَاءٍ تَارَةً وَتَقُولُ أُخْرَى خَامِرِى وَتَلَبَّدِى

الإسرار ضد الجهر والحسو حسو اللبن والماء مثلا وارتغى اللبن أخذ رغوته فكان الرجل إذا أراد أن يحسو اللبن ولا يفطن له أرى الناس أنه يرتغى أى يزيل الرغوة من فوقه فيضرب ذلك مثلا لمن يظهر الإحسان أو الإعانة أو الإصلاح وهو يريد الغائلة أو الحاجة فيقال يسر حسوا فى ارتغاء ويقال خامرى أم عمرو وهى الضبع ومعنى خامرى تسترى والتلبد الانكماش إلى الأرض والعرب تقول ذلك للضبع عند اصطيادها فضرب مثلا لمن يخادع أى أن هذه المرأة فى الظاهر تخب فى النصيحة وتضع وفى الحقيقة تمكر وتخدع . ثم قال :

كُفِّى خَبَالَكِ لاَ أَبَالَكِ إِنَّنِى عَوِصُ المَرَامِى عَنْ نِبَالِ المُفْنِدِ

الكف الصرف والمنع والخبال النقصان فى العقل وغيره ويقال لا أبالك وهو لفظ خبر ومعناه الدعاء وعوص الأمر بالكسر اشتد وعوص الكلام صعب وأفنده كذبه وخطأه ، أى قلت لها كفى عنى ما تأمرينى به مما هو ناشىء عن خبال عقلك ونقصان ميزك فانى عوص أى صعب المرمى فمن رام تخطئتى وتعجيزى وجدنى صعبا لا تصل إلى نبال قوله وعذله ثم قال :

لاَ أَرْأَمُ البَوَّ النَّفُوخَ ولاَ أُرَى وَأَبِيكِ قَعْقَعَةَ الشِّنَانِ مُهَيَّدِ

رئم فلان كذا بكسر الهمزة أحبه ورئمت الناقة ولدها مثلا عطفت عليه ولزمته والبو جلد الحوار يسلخ إذا مات فيحشى بشىء كالتبن أو الثمام فيقرب من أمه لتعطف عليه فتدر والنفوخ المنفوخ والشنان بالكسر جمع شن وهى القربة البالية والقعقعة حكاية صوتها والتهييد التحريك والافزاع وكان اللص من العرب إذا أاد أن يختلس من إبل أحد أتى بشنه فعلقها إلى واحد من الإبل بحيث تسقط فاذا سقطت نفرت الإبل من قعقعتها فيتبعها أو بعضها ويذهب بها قال النابغة :

كأنك من جمال بنى أقيس يقعقع بين رجليها بشن

فيقال فلان لا يقعقع له بالشنان أى لا يخضع لحوادث الدهر ولا يروعه ما لا حقيقة له .
ومعنى البيت : أنى لا أكون بترهاتك مغرورا كالناقة تخدع بالبو فتعطى لبنها ،
ولا أرجع بتهديدك مذعورا كالإبل برمى الشن بين أرجلها ولفظ مهيد إما اسم فاعل
خبراً عن قعقعة لأنه بمعنى تحرك أو صوت أو اسم مصدر أى التهييد مبالغة .
ثم قال :

وَاقْنِى حَيَاءَكِ إِنَّنِى أَنِفُ اللَّفَا أَمَماً وَأَرْمِى لِلْجَلِيلِ الأَقْمَدِ
وأَحُثُّ بَيْنَ مُهَجِّرٍ ومُعَرِّسٍ عَنْسِى وَبَيْنَ مُصَوِّبٍ وَمُصَعِّدِ
فَإِنِ انْثَنَتْ بِالْغُنْمِ فَهْىَ حَرِيَّةٌ أَوْ أَخْفَقَتْ يَوْماً فَلَسْتُ بِأَوْحَد

يقال قنى الحياء إذا لزمه وأنفت عن الشىء ترفعت عنه واللفا الشىء الخسيس الحقير اليسير
والأمم القرب والجليل العظيم والأقمد المتمنع والحث على الشىء التحضيض عليه والتهجير
المشى فى الهاجرة والتعريس النزول من آخر الليل للاستراحة والتصويب النزول
والتصعيد عكسه والانثناء الرجوع والغنم الغنيمة والظفر والحرى بالشىء الحقيق به
والاخفاق الرجوع بخيبة يقال غزوا فأخفقوا أى لم يغنموا ولست فى هذا الامر بأوحد
أى لا أخص به ، والمعنى : أنه يخاطب تلك المذكورة فيقول اقنى أى الزمى حياءك
واسكتى ولا تثبطينى عن طلب المعالى فانى لا أرضى بالدون والنصيب الخسيس ولو كان
ينال عن قرب بلا مشقة وأرمى بهمتى للعظيم ولو كان فى غاية التمنع والإباية عن الانقياد
ولا أزال أرتحل قلبا وقالبا حسا ومعنى مع المرتحلين بالليل والنهار نازلين أو طالعين وذلك
كناية عن الجد فى أى زمان وأى مكان فان رجعت نفسى ظافرة غانمة فهى حقيقة
بذلك لان الجد مع الصبر مظنة الظفر وإن خلت فلى أسوة بغيرى ومبلغ نفسى
عذرها مثل منجح . ثم قال :

وَلَقَدْ تَخِذْتُ وَدَاعَ إِخْوانِى أَخاً ... خِلصاً ولَيْتَ وفَاءهُ لَمْ يَلْكَدِ
ووَمِقتُ وَصْلَهُمُ فأَعْرَضَ جَافِياً ... أَبِداً عَلَىّ ولَيْتَهُ لَمْ يَأْبَدِ

تخذت الشيء واتخذته بمعنى والخلص بكسر الخاء الخالص واللكد اللزوم هنا وأصله قولهم لكد عليه الوسخ بكسر الكاف أى لصق وومقت الشيء بكسر الميم أمقه مقة أحببته وأبد بكسر الباء أبدا غضب أى جعلت وداع الإخوان أى فراقهم أخا خالصا وافيا لا يغدر ولا يفارق وليته فارقنى وغدر ، وأحببت وصلهم فلم يجبنى بل أعرض عنى وجفانى وغضب على واستوحش منى ولم يألفنى وهذا كله مجاز ، والمراد الاخبار بكثرة الترحال والانتقال وفى ذلك كثرة التوديع والفراق وقلة الوصل وعدم دوام التلاق وفى جعل الوداع لكدا إشارة إلى تكرهه كالوسخ . ثم قال :

كَمْ بَلْدَةٍ فَارَقْتُهَا وَأَحِبَّةٍ ... وَدَّعتُ عن وُدٍّ صَفَا وتَوَدُّدِ
وَأَلِيفِ صِدْقٍ لَمْ أُبَالِ فِرَاقَهُ ... ونَحِيبهُ خَلْفَ المطَايَا الوُخَّدِ
وَمَضَيتُ قُدْماً والأَسَى وقَدُ الجُذَى ... فَفَثَأْتُ فَوْرَتَهُ بِفَضْلِ تَجَلُّدِ
حَتَّى كَأَنِّى مَا وَجَدْتُ بِمَوْقِفِى ... أَلَمَ النَّوَى وَحُسَامُهَا فى الأَكْبُدِ
والبَيْنُ يَعْلَمُ والصَّبَابَةُ مَا أَرَى ... مِنْهُ وإِنْ تَسَلِ المَدامِعَ تَشْهَدِ

الود الحب وتوددت إلى فلان أظهرت له الود وتوددته اجتلبت وده والنحيب أشد البكاء والوخد جمع واخدة أى مسرعة تقول وخدت الناقة فهى واخدة ومضى فلان قدما بضم القاف والدال أى لم يعرج وسكنت فى البيت تخفيفا كعنق وعنق والاسى بفتح الهمزة الحزن والوقد المتوقد والجذى جمع جذوة من النار وفثأه بالمثناة وبالمثلثة كسره والفورة فعلة من فار الشيء يفور إذا هاج وفاض والتجلد تكلف الجلد أى القوة أى كم من بلدة

فارقتها طلبا للمعالى وارتحالا فيما يكسب المراتب العوالى والذخائر الغوالى وكم من أحباب • ودعتهم من ذلك لا عن بغض ولا قلى بل عن ودصاف وتودد كاف وكم من أليف صدق أى صحيح الالفة والمحبة لم يلهنى فراقه ولا بكاؤه خلف المطايا بل مضيت لوجهى فما لويت عليه ولا التفت اليه والحزن عليه مع ذلك متوقد الجمرات ولكن إذا فارت على نار الجذى كسرتها بتجلدى وأخمدتها بصبرى حتى كأنى ما وجدت فى ذلك الموقف موقف الوداع والفراق ألم النوى ولا ذقت مرارتها التى هى كرازة الحسام أى السيف القاطع فى الاكبد وكأن صورتى من قوة الصبر صورة خلى من الحب والجامد الطبع ولست كذلك فان البين والصبابة الواقعة لأجله يعلمان ما ألاقى منهما من الالم وأنت أيها الشاك لوسألت المدامع الجارية على خدى عند ذلك لشهدت لك شهادة بينة . ثم قال :

وَالصِّدْقُ مِنِّى وَالْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ ... لِأَخِى وَلَسْتُ بِذِى الوِدَادِ الْمُثْمِدِ
إِنْ رَاغَ ذُو وُدٍّ فَلَسْتُ بِرَائِغٍ ... أَوْ جَدَّ حَبْلُ إِخَائِهِ لَمْ أَجْدُدِ
وَإِذَا أُعَاقِدُ لَمْ تَكُنْ أُنْشُوطَةً ... عُقْدِى وَلَا عُشَرًا عَلَى مُسْتَوْقَدِ
وَحَفِظْتُ عَهْدَ الْوُدِّ حَيْثُ نَأَتْ بِهِ ... دَارٌ وَأَسْتَبْقِى الْوَرَى بِتَعَهُّدِ

السجية الطبيعة والخلق وأثمد الماء اتخذه ثمدا والثمد هو الماء القليل والذى لا بقاء له يظهر فى الشتاء ويذهب فى الصيف وراغ روغانا تقلب والجد القطع والانشوطة بضم الهمزة عقدة يسهل انحلالها كعقدة التكة مثلا والعشر بضم العين وفتح الشين شجر عندهم معروف له صمغ حلو يقال له سكر العشر وله حراق يقتدح فيه النار وهو أجود شىء فى ذلك والمستوقد موضع الإيقاد والوداد بكسر الواو الود ، والثرى فى الاصل ما يستخرج من باطن التراب يبقى فيه الندى ويطلق على الود كما قاله الاول :

فلا توبسوا بينى وبينكم الثرى ... فان الذى بينى وبينكم مثر

أى لا تقطعوا المودة كالتراب تحفره فيخرج إلى الشمس فييبس والتعهد التفقد ، والمعنى أن ماذكر من كثرة توديع الإخوان وفراقهم لم يكن عن سوء أخلاق وقلة وفاء وعدم ثبات فان الصدق فى القول وفى العقد والوفاء لإخوانى سجية فى لا تتحول وهذا أبلغ من مجرد الثبوت وودى لإخوانى ليس وذا ضعيفا ولا زائلا كالثمد من الماء بل قوى راسخ إن راغ ذو ودعنى وانحرف فلست برائغ عنه أنا وإن قطع حبل الإخاء لم أقطعه أنا ومتى عاقدت أحدا على صحبة أو إخوة كانت عقدتى محكمة ولم تكن أنشوطة بأدنى شىء تنحل وتفسد ولا كالحراق يطرح على النار فيحترق بسرعة ويضمحل فالمراد من العشر حراقها ومن شأنى أن أحفظ أخى بظهر الغيب حتى ولو بعدت داره وأستبق المحبة بينى وبينه بالتفقد بالاحسان والمواصلة . ثم قال :

وَلَرُبَّ مَذَّاقٍ أَبَانَ فِــرَارُهُ ... طُولَ اللَّيَالِى عَنْ ضِبَابٍ لُبَّدِ
فَطَرَدْتُ سَائِمَةَ الهَوَى عَنْ مَرْتَعٍ ... مِنْ وُدِّهِ مُسْتَوْبَلٍ مُسْتَوْبَدِ
وَطَوَيْتُهُ حِلْمًا وَإِغْضَاءً عَــلَى ... بَلَلَاتِهِ طَىَّ السِّقَاءِ المُنْفِـدِ
إِنَّ الزُّجَاجَ إِذَا تَنَاوَلَهُ الفَتَى ... عَنَفًا تَصَدَّعَ صَدْعَةً لَمْ تُـكْلَدِ
وَإِنْ ابْتَدَى أَغْضَيْتُ عَنْ عَوْرَاتِهِ ... مَا لِلْكَرِيمِ عَلَى البَذَاءَةِ مِنْ يَدِ

المذق شوب اللبن بالماء مثلا فاستعمل ذلك عند عدم صفاء المحبة فيقال مذق وده أى لم يخلصه فهو مذاق وفر الدابة يفرها فرا وفرارا مثلث الفاء كشف عن أسنانها لينظر ماسنها والضباب جمع ضب وهو الحقد والغيظ واللبد جمع لابد أى مقيم والسائمة الراعية من الماشية والارض الوبيلة الوخمة واستوبلها لم توافقه فهى مستوبلة والمستوبد السيىء الحال يقال رجل وبد مستوبد أى سيىء الحال والوبد فى الاصل مصدر معناه ضيق المعيشة وسوء الحال ويوصف به مبالغة كما يقول رجل عدل وطويت

السقاء على بلته وبلته وبلاته أى طويته حين نفد ماؤه على مابه من بقية البلل وكانوا يطوونه كذلك لئلا يتكسر والكلد جمع الشىء بعضه إلى بعض والابتذاء الافتعال من البذاءة وهى الفحش يقال بذو الرجل بالضم بذاء وبذاءة والعوراء الكلمة أو الفعلة القبيحة واليد القدرة والطاقة أى رب امرىء يدعى المحبة وهو مذاق غير مخلص فأظهرت منه التجربة بعد طول أنه ذو أحقاد وضغائن مستكنة فى قلبه لا تبرح ووصفها باللبود تخييل كأنها الضباب الحيوانية التى تلبد فى حجرتها فلما تبين ذلك من حاله رددت هواى ومحبتى عنه وصرفت قلبى عن محبته كما تصرف السائمة من المراشى عن المراعى الوخيم السىء لئلا يهلكها ومع ذلك لم أعامله معاملة اللئام الفجار فلم أفضحه ولا تكشفت عن سوء حاله بل قابلته بالحلم والاغضاء عن عيوبه وتركته على ماهو فيه وسايرته على ماظهر منه من الوداد المذوق حذرا أن يضمحل كما يطوى السقاء على بقية البلل لئلا يتكسر وما أسرع مثل هذا المذاق إلى العداوة والشنآن لو عومل بالانتفاء كالزجاج متى لم يمسك برفق كان أسرع شىء إلى الانصداع وإذا انصدع لم يجبر أبدا وإن وقع منه بذاء أغضيت عنه إذ لا طاقة لى بمقابلته ومكافأته فان البذاء إنما يقابل بالبذاء وليس ذلك من وصف الكريم وإنما هو شأن كل فاحش لئيم كما قيل :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره ... وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وأعلم أن ماوقع فى هذه الأبيات وما يقع بعدها من شبه الافتخار والتظاهر بمحاسن الأخلاق والأفعال هو شىء مستباح فى الشعر لا يعاب فيه على أحد ومجازه مجاز النسيب أصلا وثمرة وفيه لطف ليس هذا محل بسطه . ثم قال .

وَلَقَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ شَطْرَيْهِ وَقَدْ ... دَرَّتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ أَصْنَافِ النَّدى

فَعَرَفْتُ مَالَمْ تَعْرِفِى وَسَمِعْتُ مَا ... لَمْ تَسْمَعِى وَشَهِدْتُ مَالَمْ تَشْهَدِى

يقال حلب فلان الدهر أشطره أو شطريه أو نال خيره وشره وأصله فى الناقة لها خلفان

قادمان وخلفان آخران فكل خلفين شطر فلها شطرا وربما يحلب الشطر ويترك الشطر فاذا حلبهما معا فقد استوفى ، ودرت الناقة بتدرجات باللبن والثدى جمع ثدى ونسب الدرور إليها لأنها محل اللبن وفى نسخة مريت وأصله فى الضرع تقول مريت الناقة إذا مسحت ضرعها لتدر. فأمرت هى أى درت . والمعنى . إنى خبرت الزمان وعرفت ماشان وزان ونلت مطالبه وعرفت مصائبه فلا تعذليني ياهند فعندى من العلم ما ليس عندك . ثم قال :

وعَلِمْتُ نَظْمَ الشَّمْلِ عَزَّ مَنَالُهُ ۝ إلاَّ بِشَمْلٍ فى الْبِـــلاَدِ مُبَدَّدِ

وَالْجَفْنُ لَمْ يُـكْحَلْ بِنَوْمٍ هادِىءٍ ۝ إلاَّ بِنَوْمٍ قَبْلَهُ لَمْ يَهْتَـــدِ

المبدد المفرق والهادىء الساكن يقال هدأ هدوءا سكن والاهتداء الافتعال منه أى علمت أن انتظام شمل الإنسان عزيز المنال مالم يتسبب لذلك تفريق الشمل بأن يغترب فى الطلب وهذه الغربة التى يتشتت فيها شمله تحمل له من المكان مايكون به مستقيم الأمر الصالح الحال فينتظم شمله بسبب تفرقه وكذا جفنه لا يكتحل بالنوم ويحصل له الاهتداء إلا بعد أن يطير نومه فى الجد والمجاهدات ونسبة السكون إلى النوم مجاز ثم :

وَالبَيْنُ عِزٌّ لِلْفَتى وَمَكَانَةٌ ۝ يَوْمَ الْمَآبِ وَحَظْوَةٌ لَمْ تُعْهَدِ

المآب الإياب وهو الرجوع والحظوة المنزلة والحظ من الرزق ، أى علمت البين عزا ، أى يوجب الاعتزاز للفتى وينال به يوم المآب مكانة عند الناس لم تكن له قبل ذلك لما اتصف به من الكمال واجتلب من الخير الذى اقتضى تبجيله وتوقيره وهو مجرد ارتياح اليه لتوحشه كما هو العادة فى ملاقاة الغائب ، وعلى هذا فالكلام مما خرج مخرج التمليح ، أى لو لم للغائب يحصل إلا حظوته يوم القدوم لكان ذلك كافيا فى فضل السفر والرحلة وضرب لما ذكر من الاعتزاز بالبين والاحتظاظ بالغيبة مثلين :

أحدهما العيد فانه لو عم الليالى بأن كانت كلها عيدا لم تكن له منزلة فلما كان لا يأتى إلا مرة أو مرتين حظى . الثانى الغيم لو دام لم يطلب . ثم قال :

فى ضِمْنِ إرْقَالِ المطَايَا الحُفَّدِ ... والنُّجْحُ فى دَرَكِ المَعالِى والمنَى

وَجْنَاء نَاجِيَةٍ أمُونٍ مِأْخَذِ ... مِنْ كلِّ مُسْنَفَةِ اللَّبَانِ شِمِلَّةٍ

وتَزُفُّ لاغِيَةً نَجَاء خَفَيْدَدِ ... تَرْنُو بِنَاظِرَتَىْ طَرِيدٍ فَارِدٍ

فى الرَّوْضِ أَوْ مَهْزُوزُ غُصْنٍ أَخْضَرِ ... وَكأنَّ هَادِيَهَا حَبَابٌ سَاجِمٌ

مَسْمُوكَةٍ نَحْوَ السَّماء بِقَرْمَدِ ... وكأنَّ كلكلَهَا صُــدُورُ بَنِيَّــةٍ

نَائِى المَحلَةِ مَانِـحٍ مُتَجَرِّدِ ... تَخطُو بِسَاعِدِ مُخْمِسٍ ذِى هَجْمَةٍ

راحُ النَّوَائِـحِ أَوْ لوَائِحُ مُجْلَدِ ... وكأنَّمَا أخفَافُهَا فِى لاحِبٍ

الإرقال الاسراع والحفد جمع حافدة ويقال حفد حفدا وحفدانا إذا أسرع فى مشيه والمسنفة الضامرة المجعول لها السناف وهو حبل يشد فى الحزام ثم يقدم حتى فى الصدر وهو اللبان وإنما يفعلون ذلك إذا أخمص بطن البعير فاضطرب الحزام فيه فيشدونه ليثبت الحزام فى موضعه ويقال لذلك الحبل السناف بكسر السين وأسنفت الناقة فهى مسنفة وسنفتها أيضا شددت لها ووصفها بذلك كناية عن دؤوب السير عليها والشملة بكسرتين مشددة اللام السريعة والوجناء العظيمة الوجنتين والناجية السريعة والأمون الآمنة من العثار والمأخذ الكثيرة الوخد والرنو إدامة النظر إلى الشىء رنا يرنو والناظرة العين والطريد المطرود من الوحش مثلا والفارد المنفرد والوفيف الإسراع واللغوب الإعياء والنجا الاسراع والسبق تقول نجا ينجو نجاء أسرع وسبق والخفيدد الظليم والخفيدد أيضا السريع والهادى العنق والحباب بالفتح معظم الماء ونفخاته كما مر والساجم السائل تقول سجم الدمع سجوما إذا سال ومهزوز الغصن من إضافة

الصفة إلى موصوفه أى غصن مهزوز والأخضد المتثنى من الغصن مثلا والكلكل الصدر والصدور جمع صدر وهو مقدم الشيء والبنية المبنية كالصومعة والغرفة ونحو ذلك والمسموكة المرفوعة والقرمد معروف ويقال قرمود بضم القاف أيضا والمطوالد والساعد ساعد اليد وهو محل السوار والمخمس الذى أورد إبله الخمس والهجمة من الإبل الأربعون فما فوق وقيل من السبعين إلى نحو المائة والنائى البعيد ومحلة القوم منزلهم والمائح المستقى وهو النازع بالدلو من البئر ويتجرد من ثيابه لذلك والأخفاف للإبل كالحوافر للخيل واللاحب الطريق الواضح والراح جمع راحة وهى الكف والنوائح جمع نائحة واللوائح جمع لائح وهو ما يتراءى إليك والمجلد على مثال منبر قطعة من جلد تمسكها النائحة تلدم بها وجهها . ومعنى الأبيات السبعة أن النجح أى الظفر بالحاجة فى إدراك المعالى وإدراك جميع المنى أى ما يتمناه الإنسان إنما هو فى ضمن سير المطايا بمرقلة خافدة أى مسرعة والمراد أن المنى تدرك بالتحرك والاسفار والاغتراب وفى الحكمة الأولى ، الحركة بركة ، ثم بين المطايا ووصفها بأنها كل ضامرة جعل لها السناف وذلك لدؤوب السير عليها وذلكم دليل عتقها وجودتها موصوفة بما ذكر من الأوصاف ومنها أنها تنظر بعينى مطرود وذلك نظر الفزع بحدة وهو دليل النشاط وتسرع إسراع الظليم وذلك بعد لغوبها وهذه مبالغة وكأن عنقها فى خفته وسلامته الماء الجارى فى الروض وهو فيه أسلس أو غصن مهزوز وهو ناعم يتثنى وكأن صدرها فى عظمته وضخامته مقدم البيت المرفوع بالقرمد وفى الألفاظ كلها مبالغة أكثر مما شرحنا وهى أيضا تمطو أى تسرع فى سيرها وتمد بذراعين كأنهما فى خفتهما ساعدا رجل ينزع الدلو من البئر موصوفا بما ذكر من التجرد للعمل وكونه يسقى الكثير من الإبل وكونه نائى المحلة فهو يبادر بسرعة وقوة وكأن أخفافها فى سرعة انقلابها على الأرض فى الطريق أكف النساء النائحات اللادمات لوجوههن أو كأنها من المجالد التى يلدمن بها وهذه التشبيهات لائقة بأرباب الإبل حاضرة فى خيالاتهم يفهمونها . ثم قال :

فالماء يُكسى بالركود كدورةً ... ويزُوقُ رونقُه إذا لم يركُدِ

والبدرُ لو لم ينتقِل لم يستنِر ... والطفلُ لو لم ينمُ لم يسترشِدِ

والسُّوكُ لو لبِثت بنعمانٍ لما ... رشفت بأقصى الغربِ ثغرَ مُنَهَّدِ

ولوِ استقرَّ الدُّرُّ في أصدافِهِ ... ما حلَّ حلياً للغزالِ الأجيدِ

والليثُ لو وجدَ الفريسةَ رابضاً ... في الغيلِ لم يغتَل حظيرةَ موصِدِ

ولوِ الفتى يُلفِي بمأواهُ المُنَى ... ماجاوزَ الدَّربَ امرؤُ القيسِ الرَّدِي

حتّى استقَى من آلِ قيصرَ شربةً ... نقعت حشاهُ فبات غيرَ موسَّدِ

ولمّا تجشَّمَ في البحارِ شدائداً ... سيفٌ ليقطعَ هامةَ المُتمرِّدِ

حتّى قرَى الغربانَ غربَ مهنّدٍ ... وأناخَ في عرصاتِهم بالنُّهَّدِ

ولمّا خدت من كلِّ فجٍّ ضُمَّرٌ ... خُوصٌ لخيرِ العالمينَ محمّدِ

صلّى عليهِ اللهُ ما نمّ الصّبا ... بِبَهارِ مطلولِ الرِّياضِ مُوَرَّدِ

الركود الثبوت والإقامة والكدورة ضد الصفاء. وراقه الشيء أعجبه والرونق الحسن والاسترشاد الاهتداء. تقول أرشد واسترشد لأمره إذا اهتدى له والسوك جمع سواك وهو العود يستاك به والمنهد التي نهد ثديها من الجواري أي كعب والحلي ما يتحلى به والأجيد الطويل الجيد أي العنق والرابض مثله البارك والربوض في الكلاب وفي الغنم والبقر والبروك للإبل والجثوم في الطير والغيل كن الأسد والاغتيال الاقتحام والاهلاك والحظيرة ما يحتظر للغنم ونحوها والموصد المغلق يقال أوصد الباب إذا أطبقه وأغلقه والمأوى المنزل وامرؤ القيس هو ابن حجر الكندي الشاعر والردى الهالك حسا أو معنى والنقع إزالة العطش يقال نقع الماء عطش فلان أي سكنه وشرب حتى نقع

أى روى وسيف هو ابن ذى يزن الحميرى والهامة الرأس والقرى بالكسر ما يقدم للضيف وأقراه يقريه والغربان جمع غراب وأريد به هنا الحبشة لسوادهم فهو استعارة والغرب الحدو المهند وصف للسيف والإناخة إناخة الناقة مثلا وهى إبراكها ثم يقال أناخ أى نزل والنهد جمع ناهد وهو الناهض للحرب وطلب اللقاء والضمر جمع ضامر والخوص جمع خوصاء وهى الغائرة العينين من الضمر وكثرة السير ونم نقل الحديث واستعمل هنا فى نقل ريح الصبا رائحة البهار إذا كان فى مطلول الرياض أى الروض المطلول وهو الذى أصابه الطل والمورد الذى كان له ورد . ومعنى هذه الأبيات أنه احتج على ما ذكره من الحض على الحركة والترغيب فى النقلة بأمثال ضربها شوهد فيها أداء الحركة إلى الفائدة وأن الإقامة لا ينال معها الأرب ولذلك احتيج إلى الحركة وهى فى هذه الامثال . أما الحركة العرفية وهى الانتقال من حيز إلى حيز . وأما الحكمية وهى الخروج من القوة إلى سبيل التدريج كما فى نمو الطفل وزيادة الهلال فقال كالماء إذا ركد بأن أقام ولم يجر تعلوه الكدرة وإذا جرى صفا وظهر رونقه وكذا البدر لو لم ينتقل بالزيادة إذا كان هلالا لم يصر له النور التام بصيرورته بدرا والطفل لو بقى طفلا ولم يتحرك بالزيادة لم يصر رشيدا عارفا بالمصالح مالكا أمر نفسه وكذا المساويك لو بقيت فى وادى نعمان الاراك وهو واد حول الحرم ولم تنتقل فى أيدى الآخذين لها لم تصل إلى أرض الغرب ولا وصلت إلى أفواه العذارى النواهد ثديها وكذلك الدر لو بقى فى أصدافه وهى أوعيته التى يكون فيها فى البحر ولم ينتقل فى أيدى الآخذين له لما صار فى القلائد ولا حل فى رقاب الولائد وكذا الليث أى الأسد لو وجد ما يأكله فى غيله لم يحتج إلى تجشم الحظائر المغلقة الابواب وتعسف الغيطان والدواب ولو كان المرء يجد مآربه وما يتمناه فى منزله لما تكلف الناس مشاق الفراق واعتساف الآفاق وركوب الاخطار فى جوب الاقطار ، ولما تجاوز امرؤ القيس الدرب ذاهبا إلى قيصر والدرب كل مدخل إلى بلاد الروم من بلاد العرب

حتى آل أمره إلى أن سم ومات وجعل السم ناقعا لقلبه لانه تخيله ماء على طريق الاستعارة التهكمية نحو ( فبشرهم بعذاب أليم ) وقوله :

* تحية بينهم ضرب وجيع * ومبيته غير موسد كناية عن موته فى الفلوات أو عن ضجعته فى لحده إذ ليس هنالك الوساد المعتاد ولو كانت المنى تصاب بلا رحلة أيضا لما تجشم سيف بن ذى يزن الشدائد والاهوال فى البحار التى ركبها فى مقفله من عند كسرى طالبا أن يقطع رءوس الحبشة المتمردين فى بلاد اليمن وقطع الهام إما حقيقة أو كناية عن حسم الشوكة وفى ذلك القطع مع سيف مناسبة لطيفة حتى أطعم الاغربة حد السيف ونزل فى منازلهم بالقوم الناهدين من أبناء فارس وإطعام السيف أيضا استعارة تمليحية كما قال الآخر :

نقرىهم لهذميات نقد بها  ما كان خاط عليهم كل زراد

وسنذكر قصة هذين الرجلين ولو كانت أيضا المنى تكفى فى المنازل لما خدت أى أسرعت من كل ناحية ومن كل فج من فجاج الارض المطايا الضمر الخوص من كثرة التسيار إلى زيارة خير العالمين (محمد) النبى المصطفى ﷺ ماجملت ريح الصبا عرف النهار فى الرياض المطولة وهو مورد أى منور وذلك أطيب وأفوح وإنما كان مورد وهو نكرة وصفا لبهار وهو مضاف لان إضافته لا تفيده تعريفا يمنعه عن ذلك فان المضاف إليه إما الوصف نفسه ولا يتعرف باضافة وإما الموصوف اعتبار أل لكون الصفة فى نية التأخير وأل فيه جنسية وهو فى المعنى كالنكرة فيعامل معاملة المعارف نظرا إلى اللفظ كثيرا ويجوز أن يعامل معاملة النكرة نظرا إلى المعنى وكذا يوصف بالجملة كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * وجوز فى قول النابغة :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة  من الرقش فى أنيابها السم ناقع

أن يكون ناقع صفة للسم وهذا معلوم فى محله .

وخبر امرىء القيس أنه لما قتل أبوه قام فى أخذ الثأر وطلب الملك لجال فى بلاد العرب ثم بدا له أن يستمر إلى الروم فخرج إلى قيصر وفى ذلك يقول :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه    وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لاتبك عيناك إنما    نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وقال أيضاً :

وإنى زعيم إن رجعت مملكا    بسير ترى منه الفرانق أزورا

وقصته فى ذلك مشهورة فلا نطيل بها . وحاصلها أنه رجع من عند قيصر فأتبعه سما ويقال ثوب أو قميص مسموم فلما لبسه جعل لحمه يتقطع فمات وذلك بموضع من بلاد الروم يقال له أنقرة ويقال هى عمورية التى غزاها المعتصم . وسبب السم أنه وشى به رجل من أسد يقال له الطماح إلى قيصر وفى ذلك يقول امرؤ القيس :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه    ليلبسنى من دأبه ما تلبسا

( وأما خبر سيف ) وهو سيف بن ذى يزن الحميرى فانه كانت الحبشة تغلبت على بلاد اليمن من زمان ذى نواس الحميرى وذلك أن ذا نواس لما أوقع بأهل نجران أفلت منهم رجل فالتحق بقيصر يستنصره على ذى نواس وجنوده فكتب له قيصر إلى ملك الحبشة بنصره فجهز ملك الحبشة جيشا فى سبعين ألفا فساروا حتى نزلوا بساحل اليمن فخرج اليهم ذو نواس فهزموه وخلوا اليمن وتملكوها وكان صاحب أمرهم بها أرياط فقام أبرهة الاشرم صاحب الفيل على أرياط فقتله فملك اليمن فلما مات فى وقعة الفيل ملك ابنه يشرم بن أبرهة فلما مات ملك أخوه مسروق بن أبرهة فلما طال البلاء بأهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن إلى قيصر يستنصره عليهم فلم يساعده فخرج إلى كسرى فقال له غلبتنا الاغربة فجئتك لتنصرنى ويكون ملك بلادى لك فقال كسرى بلادك بعيدة ولا خير فيها وأجازه بعشرة آلاف درهم وكسوة حسنة فلما

قبض سيف ذلك أخذ يفرق ذلك على الناس هنالك فبلغ الخبر إلى كسرى فاستدعاه فقال ماحملك على مافعلت من إتلاف ما أعطيتك ؟ فقال سيف أي حاجة لي به جبال أرضي كلها ذهب وفضة وأراد بذلك ترغيبه ، فلما سمع كسرى ذلك خلا بمرازبته فقال ماترون في أمر هذا الرجل ؟ فقالوا أيها الملك إن في سجونك قوما فادفعهم معه فان ظفروا كان ذلك زيادة في ملكك وإن هلكوا فذلك ما تريد منهم ففعل ذلك وجهز معه من في السجون وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم رجلا يقال له وهرز في ثمان سفائن فهلكت سفينتان في البحر ووصل إلى ساحل اليمن ست سفائن ، فاستنصر سيف من وجد من العرب فخرج إليهم مسروق بن أبرهة في جنوده فكان حاصل الأمر في حديث طويل أن رماه وهرز الفارس بسهم فقتله وتفرقت الحبشة في كل وجه ودخلت فارس صنعاء ولم يزالوا بها إلى أن كان آخرهم باذان الذي أسلم حيث كتب إليه كسرى إن رجلا من قريش يزعم أنه نبي فاستتبه فان تاب وإلا فأتني برأسه فأعلم باذان النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله تعالى أعلمني أنه سيقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا فلما بلغ ذلك باذان توقف فقال إن كان نبيا فسيكون ماقال وقتل الله تعالى كسرى في الوقت الذي حدده الصادق المصدوق ﷺ على يد ابنه شيرويه فلما رأى باذان ذلك أرسل باسلامه وإسلام من معه إلى رسول الله ﷺ ، وفي قصة سيف يقول أبو الصلت الثقفي :

| | |
|---|---|
| ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن | ريم من البحر للأعداء أحوالا |
| حتى أتى ببني الأحرار يحملهم | إنك عمري لقد أسرعت قلقالا |
| لله درهم من عصبة خرجوا | ما إن أرى لهم في الناس أمثالا |
| بيضا مرازبة غلبا أساورة | أسد تربت في الغيضات أشبالا |
| أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد | أضحى شديدهم في الأرض فلالا |

فأشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا　　في رأس غمدان دارا منك محلالا

فاشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم　　وأسبل اليوم في برديك إسبالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن　　شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ثم قال :

فَدَعِ المُطِيَّ يَثِمْنَ ظِرَّانَ الصُّوَى　　وَيَسِمْنَ بِالْيَسَرَاتِ خَدَّ الأجْلَدِ

وَيَشِمْنَ بِاللَّحَظَاتِ كلَّ مُخَيِّلٍ　　وَيَشِمْنَ بِالثَّفِنَاتِ كلَّ مُبَلَّدِ

وَيَعِمْنَ بِالمَلَوَاتِ عَيْمَ ضِبَابِها　　ويَعُمْنَ في غَمَرَاتِ آلٍ صَيْهَدِ

ويَزِمْنَ مِنْ دَيْنِ السُّرَى مَاقَدْ لَوَا　　هُ كُلُّ وَخْمٍ لِلدَّعَاتِ مُخَلَّدِ

تَرْقُدْ بِالجَدَدِ ارْقِدادَ نَعَائِمٍ　　وَتَخَالُ في الوَعْثِ اخْتِيَالَ الخُرَّدِ

حَتَّى تَرَاهَا كَالقِسِيِّ مُجَالُهَا　　أَوْتَارُهَا أَوْ كَالحَنَايَا العُمَّدِ

وَتَرَى بَنَاتِ العِيدِ أَضْحَى نِقْضُهَا　　عِيداً لِوَحْشٍ بِالفَلَاةِ مُعَيِّدِ

دع بمعنى اترك والمطى جمع مطية والوأم الكسر وثمت المطايا الاحجار تثمها والظران جمع ظرن بالكسر وهو الحجر أو المدور منه المحدد والصوى جمع صوة بالضم وهى ما ارتفع من الارض والوشم فى البدن أن تغرز الإبرة فى اللحم ثم يذر عليها النيلج وهو معروف وفى الارض مجاز عن الآثار الواقعة بالوطء. واليسرات القوائم الخفاف والاجلد المكان الصلب يقال مكان أجلد ، قال جرير :

أجالت عليهن الدوامس بعدنا　　دقاق الحصا من كل سهل أجلد

والاجلد أيضا الاشد والاقوى من الجلادة وهى القوة والشدة وشام البرق يشيمه نظر أين ينحو أو أين يمطر واللحظات جمع لحظة وهى نظرة العين والمخيل من السحاب

ما يظن منه ماطرا والوسم وضع السمة وهي العلامة وسم يسم وثفنات البعير بكسر الفاء ركبته وما يمس الأرض منه والعيم شهوة اللبن والعيم أيضا العطش وهو المراد في البيت يقال عام يعيم عيما وعيمة فهو عيمان والملوات الفلوات والعوم السبح في الماء والغمرات جمع غمرة وهي معظم الماء والآل السراب والصيهد هو السراب الجاري والوزم قضاء الدين وزم يزم والسرى سير الليل والليّ المطل يقال لوى فلان غريمه أي مطله والوخم الثقيل والدعات جمع دعة الراحة والنعمة والتخليد الإخلاد يقال أخلد إلى شيء نزل اليه وتساقط عليه والارقداد الاسراع والجدد بفتحتين الموضع الصلب وضده الوعث وهو الذي تغمس فيه الأرجل والنعائم جمع نعامة وخال يخال واختال يختال في مشيته والخرد جمع خريدة وهي الحيية والقسي جمع قوس وأصله قووس ثم قلب والمجال محل الجولان من الأرض والوتر وتر القوس والحنايا جمع حنية وهي الخشبة يسقف بها أو المعوجة مطلقا بمعنى محنية تقول حنوت الشيء أحنوه إذا عطفته فهو محنى وحنى ومن ثم قيل للقوس حنية وجمعها حنايا وهو المعروف عند العرب لأنها محنية أي معطوفة غير أنه هنا لما ذكر القسي في صدر البيت لم يبق إلا أن يراد شيء آخر وهو السقائف ولذا وصفها بالعمد أي العامدة وهي مجاز لأنك تقول أعمدته إذا أقمته بالعماد فنسب ذلك إلى العماد نفسه مجازا والعرب تشبه المطايا في ضمورها بالسقائف كما تشبهها بالقسي قال الشاعر :

وروفعت راحلة كأن ضلوعها   من نص راكبها سقائف عرعر

غير أن هذا شبه الضلوع وما في البيت تشبيه الجملة والمراد من الجميع الحنو أو الضمر والعيد فحل منجب معروف تنسب اليه النوق النجائب فيقال بنات العيد وناقة عيدية والعيد في عجز البيت هو الموسم كالأضحى والعيد عند العرب كل يوم فيه جمع وعيد القوم شهدوا العيد والنقض بالكسر المهزول من السير جملا أو ناقة ، ومعنى الأبيات أنه لما احتج على الرحلة بما مر من الأمثال وأبان أنها مجلية لخصال المعالي ومعالي

الخصال استفتج من ذلك الأمر بها والاقبال على طلبها فقال فدع المطايا تسير بجد و نشاط وقوة فتهشم أحجار كل رابية و تنقر في وجه كل قاع شبه الوشم في خد الجارية و تشيم برق كل سحاب مطمع و تسم بثفناتها كل موضع بركت فيه وشيم البروق كناية عن العطاش ، وذلك كناية عن السير في المهامة المقفرة وذلك كناية عن بعد الشقة وهو شأن الهمة الرفيعة ووسم المكان هو بما يبقى فيه من أثر الركب والانخاذ وغير ذلك بعد النهوض و تعطش بالقفار عطش ضبابها فان الضب لا يشرب و تعوم في غمرات كل سراب كالماء وأنكر بعض أهل اللغة أن يكون الصهيد هو السراب الجاري وقال إن الصهيد هو شدة الحر وعلى هذا القول البيت صحيح أيضا على حذف مضاف أي آل ذي حر شديد أو مبالغة بلا تقدير و تقضي من دين السرى ما لواه ذوو الهمم الساقطة المخلدون إلى الراحات الراضون بالمأكولات والمشروبات أي أن السرى لطلب المعالي كأنها حق على الناس ودين على العقلاء. وهذا الدين يمطله اللئام ويفي به الكرام وإذا بلغت هذه المطايا الجدد من الأرض أرقلت إرقال النعام وإذا بلغت الوعث كالرمال والخبار جعلت تتقلع كأنها تختال اختيال الخرائد ولا تزال في دأب السرى حتى تراها أيها الناظر ضامرة كأنها القسي في ضمورها وانعطافها وكأن ما بين أخفافهـــا الأوائل والأواخر من الأرض هي أوتار تلك القسي ومن نظر اليها متأملا علم ذلك أو كأنها السقائف في نحولها وطولها وترى تلك النجائب العيدية قد بقي مهزولها في الفلوات فصار عيدا للوحش يعيد عليه . وفي الأبيات نوع من السجع غريب يقع في الصدور وهو صنيع أفراد من بلغاء الكتاب وسيأتي إن شاء الله تعالى .

ثم قال :

فَلَكَمْ لَبِذْتُ الدَّهْرَ مِنْ شُقَقِ المَلَا ... كَالْخِرْقِ يُبْلَى فِي المُلَاءِ وَيَرْتَدِي

وَسُرَادِقِي أُفُقُ السَّمَاءِ إِذَا سَجَى ... أَرْعَى كَوَاكِبَهَا بِجَفْنٍ مُسْهَدِ

فِي مَضْجَعٍ أَغْشَاهُ غَيْرَ مُدَمَّثٍ ... وَذِرَاعُ بِنْتِ القَفْرِ فِيهِ مُوَسَّدِ

وَكأنَّمَا جُفْنِي المُسَهَّدُ طَائِرٌ  حَذِرٌ مَتَى يَرُمِ الوُقُوعَ يُشَرَّدِ
وكأنَمَا حَسَبَ الدُّجى فَتْخَاءُ قَدْ  أرْخَتْ عَلَيْهِ مَخَالِبَ المُتَصَيِّدِ

الشقق جمع شقة وهى من الثياب معروف والشقة أيضا البعد والجهة التى يقصدها المسافر والملا بفتح الميم والقصر الصحراء ويقال أيضا الملا جمع ملاة وهى الفلاة ذات الحر والسراب والخرق بكسر الخاء السخى من الفتيان أو السخى الظريف وإبلاء الثوب معروف والملاء بضم الميم جمع ملاءة وهو نوع من ثيابهم ويقال لها الريطة والارتداء الالتحاف والسرادق بضم السين شىء يمد فى صحن الدار مثلا والبيت من الكرسف وسجى الشىء دام وسكن والمسهد بفتح الهاء الأرق يقال سهد وسهدته أنا تسهيدا فهو مسهد أى تركته بلا نوم والمضجع موضع الاضجاع والمدمث المسوى المسهل وبنت القفر هى الحجر والصخر والفتخاء المسترخية الجناحين وتطلق على العقاب والمخالب جمع مخلب وهو للسباع والمراد سباع الطير . ومعنى هذه الأبيات أنه لما ندب إلى الرحلة والاغتراب ذكر ما لقى فى هذا الباب وما قاسى من المشاق والمتاعب وتعاطى من المهالك والمعاطب فقال كم لبست الدهر أى فى دهرى من شقق الملا وفيه إيهام لأنه إما شقة البين والقرينة ذكر الملا وإما شقة اللبس والقرينة ذكر اللبس قبله وعلى الأول فالاستعارة فى اللبس بأن اعتبرت المسافات وجعل الدخول فى كل واحدة هو لبسها والخروج عنها هو ابلاؤها وطرحها بلبس الاخرى ولذا شبه بالخرق يلبس الملاءة ثم يطرحها ويرتدى أخرى وعلى الثانى فالاستعارة فى لفظ الملا أى الصحراء والفلوات بأن شبهت بالثياب أى بجنس منها وأضيفت شقق ذلك الجنس اليه تخييلا ويجوز أن يكون تشبيها بليغا واستعارة تصريحية فى لفظ الشقق والمعنى إنى كثيرا ما قطعت مسافة ودخلت أخرى من كثرة الترحال ودوام الانتقال وسرادق أى بيتى أو ظلى الذى آوى اليه إنما هو أفق السماء إذا سجى أى ظلامه . أو سجى ليله وذلك الوقت وقت انقلاب الناس إلى بيوتهم وليس لى أنا بيت إلا الجو

الواسع والسقف السماء أرعى كواكب السماء بجفن شخص مسهد وذلك فى مضجع من الارض أغشاه أى أفضى اليه إذ لافراش ولاوطاء وهوغير مدمث إذ لاقرار ولاخادم مع عدم الركون إلى الدعة والالتفات إلى الرفاهية وذراع الحجر هو الموسد أو هو مكان التوسيد فان ذلك الوقت وقت يتوسد فيه المقيم فى دعة وذراع ضجيعته وليس لى أنا ضجيع ولا وساد إلا الاحجار وكأنما جفنى المسهد من كثرة قلقلة وقلة سكونه وهدوئه طائر شديد الحذر كالغراب مثلامتى يحاول الوقوع أى النزول إلى الارض يشرد إلى الجو فيطير صاعدا وكأنه أيضا يحسب الدجى أى الظلم وهى جمع دجية يظنها حيث انسدلت عقابا فتخاء أى مرخية الجناحين تهتم بشىء تخطفه فهى قد أرخت أى أدلت مخالبها التى تتصيد بها فاذا توهم هذه الصورة لم يسكن ولم يغشه نوم . ثم قال :

وَكَمِ اشْتَكَيْتُ غَرِيبَ دَارٍ لَيْسَ لِى مِنْ عُوَّدٍ غَيْرِ الدَّخِيلِ الْمُلْسَدِ

الاشتكاء إظهار مابك من مكروه أو مرض ونحوه والاشتكاء أيضا من الشكو وهو المرض نفسه تقول منه شكا شكوا وشكا شكاية وتشكى واشتكى ومن الاول يقال اشتكى عضوا من أعضائه والذى فى البيت يصح أن يكون منه فيكون حذف المعمول اختصارا أواقتصارا وأن يكون من الثانى وهو ظاهر والعود جمع عائد وعائدة من عيادة المريض والدخيل الحزن والهم الداخل فى الفؤاد والملسد مفعل من اللسد وهو الرضاع أى كم مرضت وأنا غريب الدار وليس لى عائد يعودنى غير ما فى الحشا من الحزن المصاص للفؤاد الداخل كل حين ، وبئس العائد . ثم قال :

وَلَرُبَّ لَيْلٍ نَابِغِىٍّ رُضْتُهُ جَمَلاً لِرَحْلِى مَا اشْمَأَزَّ وَلاَ حُدِى
وسَقَتْ عَلَىَّ دُجَاهُ أَشْتَاتَ الْهَوَى وَسَقَتْ فُؤَادِى كَأْسَ وَجْدٍ مُأْدَدِ
واسْتَأْسَدَتْ فِيهِ الْهُمُومُ عَلَى الْحَشَا حَنَقاً فَبِتُّ لَهَا بِلَيْلَةِ أَنْقَدِ

الليل النابغى الطويل وهو منسوب إلى النابغة الذبيانى حيث يقول :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة  من الرقش فى أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها  لحلى النساء فى يديه الفقاقع

فقيل من ذلك ليلة نابغية وصار مثلا والاشمئزاز النفور والحدى والزجر والسوق وسقت جمعت وسقت فى المصراع الثانى من سق يسق والمآد مفعل من الآد يقال أدته الداهية تؤده إذا دهته واستاسد الرجل أو غيره صار كالأسد واستأسد على اجترأ والحنق أشد الغيظ وأنقد هو القنفذ وقد يقال بالألف واللام، وفى مثل د باب بلبل أنقد ، أى لم ينم لأن القنفذ لا ينام أى رب ليل طويل قطعته سيرا ، وفى البيت مثلان سائران . أحدهما قولهم ليلة نابغية كما قررنا ذلك . الثانى قولهم اتخذ الليل جملا إذا سار فيه غير أنه فى البيت زاده ترشيحا بقوله رضته فهو جمل مرتاض ذلول وقوله لرحلى هو من خواص الجمل الحقيقى كالارتياض وقوله ما اشماز ولا حدى يريد أنه جمل ما نفر قط من حمل ولا ركوب ولا احتاج إلى حاد وهذا لا يوجد فى الإبل وكأنه بتلك الرياضة اتصف بهذا ففى البيت من المحاسن ما يطول بنا شرحه ثم وصف الليل بأنه وسقت أى جمعت ظلمه أشتات الهوى فان الهوى والحزن والهم يروح إلى القلب مع الليل وذلك لأنه يتفرغ إذ ذاك بخلاف النهار فانه يشتغل فيه بالأشغال ويتسلى وإنها سقت الفؤاد كأسا من الوجد الداهى وإن الهموم استاسدت فيه أى صارت أسودا وتجاسرت على الحشا فذهب النوم بذلك وبات بليلة أنقد وهذا أيضا مثل سائر . ثم قال:

وَلَبِسْتُ مِنْ سَاجِيهِ سَاجاً رُصِّعَتْ  مِنْــهُ فَرَائِد لُؤْلُؤٍ بِزُمُرُّدِ
والبَــدْرُ فِى أُفُقِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ  مَلِكٌ مِنَ الزُّهْرِ الدَّرَارِى فِى نَدِ
وَتَرَى الثُّرَيَّا حَوْلَهُ وَكَأَنَّهَا  جَمْعٌ لِأَمْرٍ فِى الْعَشِيرَةِ مُنْعَقِدِ

وَكَأَنَّمَا الجَوْزَاءُ عِقْدٌ فُصِّلَت ... مِنْهُ فَرَائِدُ لُؤْلُؤٍ بِزَبَرْجَدِ

الساجى الدائم الساكن كما مر والساج الطيلسان الاسود أو الاخضر والمرصع المحلل وأصله قولك رصع به إذا لزق وارتصع التصق والفرائد جمع فريدة وهى الجوهرة النفيسة والزمرد بالضمات وتشديد الراء هو الزبرجد ويقال أيضاً بذال معجمة وهى اللغة المشهورة والدرارى جمع درى وهو الكوكب المضىء وهو الازهر أيضا والندى المجلس والثريا النجم المعروف وانتدى القوم ينتدون اتخذوا مجلسا . أى لبست من ظلام الليل الساجى ساجا مرصعا بالجوهر والزمرد أى الكواكب مع ما يتخللها من اللون الأزرق والبدر فى الآفق كانه والكواكب المحيطة به ملك من الملوك اجتمعت عنده أرباب دولته والثريا كأن نجومها المجتمعة جمع من الناس منتدون للتشاور فى أمر وقع فى عشيرتهم ، وأفرد منتد مراعاة للفظ جمع والجوزاء كأن نجومها فرائد وما يبدو بينهما من لون السماء كانه الزبرجد . ثم قال :

حَتَّى بَدَا ثَغْرُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ ... وخَطُ المَشِيبِ بِفَرْعِ خَوْدٍ مُنْتَدِ

أَوْ ثَغْرُ زِنْجِيٍّ تَبَسَّمَ شَائِصاً ... بِأَرَاكَةٍ عَنْ مِثْلِ صَافِى الجُفْرِدِ

وخطه الشيب خالطه وقيل هو أن يستوى البياض والسواد والفرع هنا الشعر فى الرأس والخود الحسنة الخلق الشابة والمنتد المفترق معا يقال ند الشىء يندو تفرق وهو وصف للشعر وشاص فاه بالسواك دلكه به فهو شائص والجفرد الجوهر أى لم أزل سائرو متخذا الليل جملا حتى ظهر الصباح كأنه الثغر الابيض وكأن بياضه فى سواد الليل شيب فى شعر الخود الكثيرة الشعر المسود وهو منتشر أو كأنه ثغر شخص زنجى أسود وقد شاصه بعود أراكة فيتبسم عن أسنان مثل الجوهر الصافى وقد اجتمع حينئذ بياض الاسنان مع خضرة السواك محوطا بسواد كثير وذلك صفة الفجر الواضح . ثم قال :

وَالقَوْمُ سَكْرَى بِالكَرَى فَكَأَنَّهُمْ ... مِيلاً عَلَى الأَكْوَارِ صَرْعَى صَرْخَدِ
يَتَيَمَّنُونَ مِنَ الصَّبَاحِ بِأَغْرُبٍ ... بُقْعٍ وَسَعْدُ الغُرْبِ أَغْرَبُ مُسْعَدِ

السكرى جمع سكران والكرى النعاس والميل جمع أميل وهو الذى لا يثبت على المركوب والأكوار جمع كور بالضم وهو الرحل والصرعى جمع صريع وهو المصروع والصرخد الخمر والتيمن من اليمن وهو ضد الشؤم والأغرب جمع غراب والبقع جمع أبقع وهو فى الطير بمنزلة الأبلق فى الدواب والغرب جمع غراب والأغرب من الغرابة وهى الندور والقلة . أى والقوم وهم الرفقاء فى ذلك السرى قد أسكرهم النعاس فهم لا يثبتون على الرواحل وكأنهم قد شربوا الخمر فصرعتهم وهم يتيمنون أى يعدون الصباح مخرجا لهم من مشقة السير وطول الليل فهو سعيد وهو كأنه غراب أبقع أى مختلط البياض بالسواد فقد تيمنوا بالغراب الأبقع وكون الغربان ميامين من أغرب ما يسمع فان العرب يستوحشون منها ويزعمون أنها تنذر بالفراق كما قال :
* وجرى بينهم الغراب الأبقع * وإنما ذلك لكونها تلم بالديار الخالية وتصيح بعد الافتراق . ثم قال :

وَالعِيسُ مِنْ دَأْبِ السُّرَى مَحْرُوكَةٌ ... تَشْكُو ذُرَاهَا كُلَّ جِبْسٍ حَلْفَدِ

العيس الإبل البيض مع شقرة والواحد أعيس والأنثى عيساء . والمحروكة التى أصيب حاركها والذرى جمع ذروة والجبس من الرجال الثقيل الجامد واللئيم والجبان والحلفد على مثال زبرج الثقيل السيء الخلق . أى الإبل من دوام السرى قد دبرت حواركها وذراها تشكو بلسان حالها ركوب كل ثقيل جاف غير راحم . ثم قال :

فِى مَهْمَهٍ يُشْجِى البَوَازِلَ ضَاحِياً ... وَيَرُوعُ عِيصَاناً فُؤَادَ الأَرْبَدِ
يَتَحَيَّرُ الكُدْرِيُّ فِى جَنَبَاتِهِ ... حَتَّى يَحِينَ صَدًى وَلَمْ يَتَوَرَّدِ

المهمه القفر والشجى الحزن شجاه وأشجاه ويكون أيضا بمعنى الطرب على الضد والبوازل جمع بازل وهو القوى من الإبل الذى بلغ تسعا والضاحى البارز للشمس والمراد هنا ما لا شجر فيه والروع الخوف راعه يروعه والعيصان جمع عيص وهو الملتف من الشجر والأربد الأسود والكدرى القطا والجنبات النواحى وحان يحين هلك والصدى العطش وتورد ورد الماء أى كان ذلك السرى فى مهمه هذه صفته وهو أن ما كان منه عاريا يحزن البوازل إذا توجهت لقطعه وذلك لطوله كما قال امرؤ القيس :

على لاحب لا يهتدى بمناره  إذا ساقه العود النباطى جرجرا

وما كان منه غابة فهو يهول الأسد أن تسلكه ثم وصفه أيضاً بكونه مجهلا مطموس المعالم فقال إن الكدرى يتحير فيه حتى يهلك عطشا ولم يصل إلى الماء مع أنه أهدى الطير فكيف بغيره ثم قال :

فَكَأنهُ بَحْرٌ عَلَونَاهُ وَمَا  حِيتَانهُ غَيْر الدَّبَا والجُدْجُدِ
بِسَفِينِ خُوصٍ كالحَنَايَا ضُمَّرٍ  نُجُبٍ بأشْرِعَةِ الهَوَادِى تَهْتَدِى
يَهْتاجُهُا رِيحُ الصَّبابَةِ لا الصَّبَا  وَغِنَاه كُلُّ مُطوَّقٍ مُتَغَرِّدِ
يَشْدُو فَيُذْكِرُ كُلَّ عَهْدٍ سَالِفٍ  ويُثِيرُ كُلَّ هَوًى مُحِيلٍ مُخْمِدِ

الدبا بفتح الدال والألف مقصورة كوزن الفتى الجراد الصغير والجدجد بضمتين كوزن هدهد دويبة كالجندب وطائر صغير كالجراد والسفين جمع سفينة والخوص جمع خوصاء وتقدم والحنايا القسى والضمر جمع ضامر وضامرة والنجب جمع نجيبة وهى الجيدة الكريمة والأشرعة جمع شراع بكسر الشين وهو المنصوب فوق السفينة لتتحرك به والهوادى جمع هاد وهو العنق والمطوق ماله طوق والتغريد رفع الصوت بالغناء أى فكأن ذلك المهمه المذكور بحر ركبناه ولكنه بحر حيتانه الجراد والجنادب

وإنما خصصناه بسفائن من الإبل الضمر كالحنايا الخوص النجب ولما كانت السفينة تحتاج إلى شراع وإلى ريح تحرك الشراع كانت شرع هذه السفن أعناقها فان البطء والخفة يظهران فيه وريحها ريح الصبابة والشوق إلى من توجهت إليه وغناء ذوات الأطواق المغردات فى حافات الطريق يشد وذلك المطوق أى برفع صوته بالغناء فيذكر العهود السالفة ويحرك الهوى المحيل الخامد ، ثم قال :

وَلَرُبَّ بَاكِيَةٍ شجتْنِي مَوْهِناً ... نَغَمَاتُهَا فوْقَ القَضِيبِ الأمْلَدِ
بَاتتْ تُطَارِحُنِى البُكَاءَ كَأَنَّمَا ... تَدْرِى الذى بِجَوانحِى مِنْ مَوْجِدِ
فَبكَيتُ غيْرَ بُكَائِهَا إِذْ لَمْ تُرِقْ ... دَمْعاً ويجرى بالمدامع قدْ نَدِى
بَكتِ الْهَدِيلَ عَلَى تقَادُم عَهْدِهِ ... أفلَا أحنُّ إلى حديثِ المعْهَدِ

الموهن الوقت من الليل نحو النصف أو بعده والأملد من النبات الأنعم اللين والتطارح والمطارحة فى الكلام والبكاء معروف والموجد مفعل من الوجد وهو الحزن وندى المكان ابتل والهديل بفتح الهاء صوت الحمام والهديل أيضا فرخ تزعم العرب أنه كان فى عهد نوح عليه السلام فصاده جارح أو مات عطشا قالوا فما من حمامة إلا وهى تبكى عليه وهذا موجود فى أشعارهم كثيرا فلهذا وقع فى البيت جريا على منهاجهم أى رب باكية شجتنى أى أحزنتنى بنغماتها وأصواتها الحسنة فوق القضبان النواعم نضارة وريا باتت بذلك تساجلنى فى البكاء كأنها قصدت ذلك كأنها تدرى أى تعلم ما فى قلبى من الأحزان وفى نسخة فكأنما تجد الذى أجد من الأحزان فبكيت بسبب بكائها غير أنى بكيت بكاء غير بكائها إذ هى لا تريق دمعاً ولذلك يسمى غناء ويسمى بكاء بحسب وجدان السامع ، وما أحسن قول ابن عبد ربه :

وشجى قلب الخلى فقال غنى ... وبرح بالشجى فقال ناحا

ودمعي أنا قد جرى حتى أن نحري قد ندى أي ابتل بالمدامع وفي نسخة . وحلق بالمدامع قد كدى أي غص بها يقال كدى بالعظم إذا غص به بكت هذه الحمامة الهديل مع تقادم عهده من زمن نوح عليه السلام أفلا أحن إلى ولد حديث العهد قد ودعته ثم قال :

وَبَكَتْ وَفَرْخَاهَا هُنَاكَ وَقَدْ عَدَا عَنِّي فِرَاخِي كُلُّ نَشْزٍ قَرْدَدِ
مَا رُمْتُ مِنْهُمْ رِحْلَةً إِلاَّ حَجَوْا أَنْ لاَ تَلاَقِيَ بَعْدَ ذَاكَ الْمَشْهَدِ
فَعَلاَ عَوِيلُهُمُ وَنَاحُوا نَوْحَةً سَلَكَتْ فُؤَادَ مُكَاشِحٍ فِي مِفْأَدِ
وَسَقَوْا تَرَاقِيَهُمْ وَقَالُوا لاَ تَرِمْ أَوْلاَ فَلاَ تَبْعُدْ وَلاَ تَتَبَعَّدِ
أَبْكِي عَلَيْهِمْ بَعْدَهُمْ أَسَفاً وَهُمْ يَبْكُونَ بَعْدِي كَالثَّكَالَى الْفُقَّدِ

عدوته عن الأمر عدوا وعدوانا صرفته عنه وشغلته والنشز ما ارتفع من الارض والقردد ما ارتفع وغلظ وحجا الأمر يحجوه ظنـــه والعويل رفع الصوت بالبكاء والسلك الادخال كما تقول سلكت الدرة في الخيط واللحم في السفود ونحو ذلك . والمكاشح المعادي والمفأد الآلة التي يشوى بها اللحم تقول فأدت اللحم فهو مفؤود إذا شويته ولا ترم لا تنتقل ولا تبرح وبعد يبعد كعلم يعلم هلك وتبعد ضد تقرب والثكالى جمع ثكلى والفقد جمع فاقدة وصف كاشف أي وبكت تلك الحمامة أيضا مع أن فرخيها معها وقد بعدت فراخي وصرفها عني كل نشز من الأرض حال بيني وبينهم فما يستطيعون الوصول إلى ما رمت عنهم ارتحالا قط إلا ظنوا أن لا تلاقي بعد ذلك المشهد وإني لا أرجع اليهم لبعد الشقة مع شدة المخاوف وكثرة المتالف فعلا أي ارتفع بسبب ذلك بكاؤهم وناحوا نوحة يرق لها العدو حتى يصير قلبه كأنه مشوى على النار في السفود وهذه مبالغة وسقوا بالدموع تراقيهم جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة

النحر والعاتق وقالوا عند ذلك لا ترم أي لا رمت وهو تلميح إلى قول ابنة جرير :

أبانا فلا رمت من عندنا فانا بخير إذا لم ترم

أو لم يكن ما تمنينا من الاجتماع فلا بعدت ولا تبعدت أبكي على أولئك الفراخ بعد فراقهم أسفا وحزنا عليهم وهم يبكون بعدي كذلك وكانوا كالثكالى في احتراق الاحشاء واشتداد البكاء . ثم قال :

لَو كانَ عَبْدُ اللهِ يَسْمَعُ نَوْحَتِي أَلْقَت عَصاهَا رِحْلَتِي وتَزَوُّدِي

عبد الله هو ابن طاهر المشهور وإلقاء العصا كناية عن الإقامة وانقطاع السفر لأن المسافر يأخذ العصا بيده فاذا أقام رمى بها وهذا تلميح إلى القصة الواقعة لعبد الله بن طاهر مع عوف بن محلم الشاعر المشهور . وذلك أن عبد الله خرج في بعض غزواته ومعه عوف فبينما هما يتسايران إذ ناحت حمامة فانشد عبد الله أبياتا لعوف وهي

ألا يا حمام الايك إلفك حاضر وغصنك مياد ففيم تنوح
أفق لا تنح من غير شيء فانني بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا وشطت غربة دار زينب فها أنا أبكي والفؤاد جريح

ثم قال لعوف أيحضرك شيء من هذا المعنى وفي هذا الروي ، فقال :

أفي كل عام غربة وتروح أما للنوى من رقية فتريح
لقد طلح البين الفروق ركائبي فهل أرين البين وهو طليح
وأرقني بالري نوح حمامة فنحت وذو الشوق القريب ينوح
على أنها ناحت ولم تذر عبرة ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ومن دون أفراخي مهامه فيح
عسى جود عبد الله أن يعكس النوى فتلقى عصا التسيار وهي طريح
فان الغنى يدني الفتى من صديقه وعدم الفتى بالمقترين نزوح

فلما سمع عبد الله هذا الشعر رق له ووصله بعطاء جزيل ورده إلى أهله وقال له يصلك عطاؤك كل عام فى أهلك ، ثم قال :

حِلاً لَقَدْ أَسْمَعْتَهَا أَنْدَى يَداً مِنْهُ وَأَجْوَدَ بِالنَّفِيسِ الْمُتْلَدِ
وَأَجَمَّ أفضَالاً وأفْسَحَ جَانِباً مِنْهُ وأكْفَى للعَوِيصِ الأمْرَدِ
وأجَلَّ مِقْدَاراً وأعْلَى هِمَّةً مِنْه وأرْأفُ بِالْغَرِيبِ الأَلْمَدِ
وَأعزَّ مِنْهُ ذَراً وَأوْشَكَ نُصْرَةً لِفَتى بأَيْدِى الحادِثَاتِ مُلَهَّدِ
وَأعَمَّ عَارِفَةً وأطْهَرَ سَاحَةً وَأعَفَّ عَنْ جَافٍ لهُ ومُنَدِّدِ
وأبَرَّ أفعَالا وَأزْكَى شِيمَةً وَأحَقَّ بِالمَجْدِ الرَّفِيعِ الأَمْجَدِ
غَيْثَ الوَرَى الشَّيْخَ ابْنَ نَاصِرِ الَّذِى نَصَرَ الإِلهُ بِهِ شَرِيعَةَ أَحْمَدِ

حلا كلمة تقال جوابا فى رد إذا وقع من أحد كلام تغالى فيه أو يمين فجر فيه أو وعيد من غير حقيقة تقول له حلا يافلان أى تحلل من كلامك أو من يمينك أو من وعيدك ، ومن ذلك قول عمرو بن معد يكرب لأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه حين ذكر عمرو خالدا فيما أتى من الضيافة يستقلها . فقال أمير المؤمنين إن هذا اشبعة فقال عمرو حلا يا أمير المؤمنين فيما تقول ، أى تحلل من كلامك فانه لا شبعة هنالك ، والقصة معروفة وهو منصوب على المصدرية بالعامل المقدر ، فلما كان قوله أولا * لو كان عبد الله يسمع نوحتى * إلى آخره يقتضى أن الجدوى والغنى والبر والجود والفضل قد فاتت بفوات عبد الله وأمثاله أو أن نوحة هؤلاء الأولاد ونوحتك لم يسمعها من يرق لهم ولك ويجزل عليك العطية ويكفيك النقلة ويكفيهم

الفرقة وهذا كله غير صحيح لأن هذه النوحة قد سمعت وسامعها أجود من ابن طاهر وأقعد بكل مكرمة وأثبت فى كل فضيلة فأنت أسعد من ابن محلم وأجدر بالظفر وأحق بالنجح وأولى بالربح فلذارد على نفسه مثبتا لهذا الغرض ومتخلصا به من باب النسيب وما التحق به إلى باب المديح الذى هو المقصود بالذات مع ما يلتحق به فقال حلا أى تحلل من كلامك واخرج عنه ولا تعتقده فوالله لقد أسمعتها أى هذه النوحة أندى يدا أى أسخى منه أى من عبدالله وأجود منه بالنفيس المتلد الموصل وأجم أى أكثر منه إفضالا على الناس وأفسح أى أوسع جانبا حسا وهو كناية عن الكرم والاطعام ومعنى وهو كناية عن حسن الخلق والتبحر فى العلم مع عموم الانتفاع وأكفى أى أعظم كفاية للأمر العويص أى الخطب الشديد الامرد من قولك مرد الشيء مرودا إذا عتا وتجاوز الحد وأجل أى أعظم مقدارا علما وعملا عند الله وعند الناس وأعلى همة لانبعاث رغبته إلى معالى الأمور من معرفة الله تعالى ومعرفة أحكامه وحكمته وطلب ما يبقى والزهد فيما يفنى وأرأف أى أرحم بالغريب الالد أى الذليل المتواضع وأعز منه أى من عبدالله ذرى أى ساحة لأن المعتز بالله تعالى أعز من المعتز بالفانى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » وأوشك أى أسرع منه نصرة لفتى ملهد أى مدفوع بأيدى الحادثات وأعم منه أى أشمل منه عارفة أى عطية وصلة لانتفاع الناس به علما وعملا ظاهرا وباطنا وأطهر منه ساحة لبعده عن كل ما يستقبح ويسترذل شرعا وعادة وكذا من يعاشره فلا يأمر إلا بخير ولا يدل إلا عليه وأدف منه أى أكثر عفافا عن مجازاة الجانى عن جفائه والمندد من تنديده والتنديد هو التصريح بالعيوب وإسماع القبيح وندد فلان بفلان أسمعه القبيح وعابه والكريم لايجزى السيئة بالسيئة بل يعفو ويصفح والعفاف ترك ما لا يحل شرعا أو طبعا وأبر منه أى أحسن منه أفعالا لجريانها على وفق الشرع وأزكى أى أصلح وأطهر شيمة وهى الطبيعة لتهذيبها بمحاسن الآداب الشرعية وتخليها من الأخلاق الذميمة وتحليها بالأوصاف الحميدة وأحق منه بالمجد أى الشرف الرفيع البالغ الأمجد أى الأثبت من قولهم مجد

بالمكان أقام ثم الموصوف بهذه الأوصاف كلها هو غيث الورى لانتفاعهم به كانتفاعهم بالغيث ذاك ابن ناصر وهو سيدنا وإمامنا وقدوتنا ووسيلتنا إلى الله تعالى الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن ناصر بن عمر الدرعي الذي نصر الله به شريعة نبينا ومولانا وشفيعنا أحمد المصطفى خير العالمين وسيد المرسلين ﷺ تسليما لأن الله تعالى أشهرها به وأظهرها وأخمد البدع وأذهب آثارها . ثم قال :

وعَادَ وجْهُ الدِّينِ أَبْيَضَ مُسْفِرًا ... بَهِجًا مُقِرًّا عَيْنَ كُلِّ مُوَحِّدِ
وَأَقَامَ سَمْكَ بِنَائِهِ حَتَّى سَمَا ... فَوْقَ السِّمَاكِ عَلَى الأَوَاسِي الوُطَّدِ
وَأَزَاحَ عَنْهُ كُلَّ حِنْدِسِ شُبْهَةٍ ... وضَلاَلَةٍ وغَوَايَةٍ وتَشَــدُّدِ

المسفر المنير والبهج الحسن وقرت عين فلان تقر بردت وانقطع بكاؤها واستعمل فى لازم هذا المعنى وهو السرور ووجدان المطلوب وأقر عينه فعل به ذلك وسمك البناء رفعه ويطلق فى العرف على مقدار طوله وارتفاعه وعلى السموك والسماك النجم المعروف وهو سماكان الأعزل والرامح والأواسي جمع آسية والوطد الثوابت جمع واطدة تقول وطد الشيء إذا ثبت وسار والإزاحة الإبعاد والحندس بالكسر الظلمة والليل المظلم أى وهذا الشيخ هو الذى أعاد وجه الدين أبيض مشرقا لاستقامته واستقامة أهله وتنوره بتنوير بصائر أهله وإلا فهو فى ذاته لايزال مستقيما فصار مبهجا بجد فيه كل موحد ماتقر به عينه ، وفى لفظ موحد مع ماقبله توجيه لاحتمال أن يراد به العام والخاص ولاشك أن الشيخ رضى الله عنه قد نصبه الله تعالى قدوة للعام والخاص وإماما فى الظاهر والباطن وأقام أيضا سمك بناء الدين عاليا به حتى علا على السماك وإنما أقامه على القواعد الثابتة بالعلم والسنة وتحقيق الإنابة والالتجاء إلى الله تعالى فى كل حال والتفويض والتسليم وغير ذلك وماذكره من الوطد والبناء والأواسي

كله استعارة لا تخفى وأزاح عن الدين أيضاً كل ظلمة أو مظلم شبهة وضلالة وخلاعة وتشدد واعلم أن هذه الأربعة المذكورة فى البيت هى مجمع الشر ومنبع الزيغ والغى نسأل الله العافية : الأولى اتباع الشهوات أو إلقاؤها فى الأصول والفروع وهذا أصل لكل ما بعده فى الجملة . والثانية الضلالة وهى الخروج عن الحق إما مع استناد إلى شبهة وهو الجهل المركب أو بلا شىء وهو الجهل البسيط ويكون ذلك إما كفراً وإما معصية وإما سوء أدب وهذا كله فى الباطن والظاهر تبع إما بمحرم أو مكروه من فعل أو ترك . والثالثة الخلاعة وهى عدم المبالاة بالحق وإن كان معروفا . والرابعة التشدد وهو الزيادة والغلو فوق القدر المحتاج والجميع ضلالة وبالسلامة منها كلها تحصل الاستقامة ويضمحل الهوى . ثم قال :

كَمْ سُنَّةٍ أَحْيَيْتَ بَعْدَ إِمَاتَةٍ وَضَلاَلَةٍ أَخْمَدْتَ بَعْدَ تَوَقُّدِ

أى كم من سنة أحييتها بعد ما أماتها ذوو الجهالات وتغلبت عليها العادات وكم من ضلالة أخمدتها وأذهبتها بعد ما توقدت نارها وظهرت آثارها وهذا التفات من الغيبة إلى الخطاب . ثم قال :

وافَيتَ وَالْبِدَعُ الْحَوَادِثُ قَدْ دَجَتْ ظُلُمَاتُهَا وَالْجَهْلُ وارِى الاَزْنُدِ
والدِّينُ مَطْمُوسُ الْمَعَالِمِ وَالْهُدَى بَيْضُ الأَنُوقِ وَنُقْطَةٌ لَمْ تُنْشَدِ
وَالسُّنَّةُ الغَرَّاءُ إِقْفَرٌ مُوحِشٌ مَا فِيهِ مِنْ هَادٍ وَلاَ مِنْ مُهْتَدِ

وافى أتى وحضر وورى الزند يرى فهو وار أخرج ناره والمطموس الممحو والمعالم الآثار التى يهتدى بها والأنوق الرخمة وبيضها يكون فى الشواهق فلا يوصل اليه

فيضرب مثلا فى الشىء العزيز المنال واللقطة المال الضائع وإنشادها ذكرها والتعريف بها ونشدها طلبها والسؤال عنها أى وافيت أيها الشيخ بأن ظهرت لهداية الخلق وإقامة الدين وتعليم الطالبين وتربية المريدين والحال أن البدع التى هى الحوادث فالوصف كاشف أو المحدثة التى لم يستحسنها السلف ومن تبعهم من الخلف وهى البدع المذمومة ولشرح البدعة وتفصيلها محل غير هذا قد دجت أى اشتدت ظلماتها وما زالت البدعة والجهل تشبه بالظلمة لعدم الاهتداء معها إلى الخير وعدم السلامة من الضير كمن يمشى فى الظلمة ، والعلم والسنة يشبهان بالنور ، والجهل وارى الأزند أى ظاهر قوى والدين مطموس المعالم لعدم أهله القائمين به المقتدى بهم فصار كالجهل الذى لا طريق فيه والهدى وهو الرشاد ظاهراً وباطنا بالانتفاء عن الجهل والغفلة والبدعة وغير ذلك أعز من بيض الأنوق فلا يكاد يوجد وهو أيضا كلقطة ليس لها معرف تؤخذ منه ولا طالب ترفع اليه والسنة التى كانت غراء فى زمن السلف الصالح مشهورة كشهرة الأغر بغرته هى اليوم قفر موحش خال مافيه هاد يدل على الحق ولا مهتد يدين به أو يطلبه وكذا شأن الموضع الخالى . ثم قال :

نَشِبتْ بِضَبْعَيْهَا مَخَالِبُ ضَيْغَمٍ  مِنْ مأْلَفِ الْعَادَاتِ عَادٍ مِحْرَدِ
وَمَحَا المِحَاقُ بُدُورَهَا فَتَـكَنَّفَتْ  مُقَلَ النُّهَى ظَلْمَاءُ لَيْلٍ سَرْمَدِ

نشب الشىء بالشىء علق به والضبع العضد وقيل الإبط ومخالب السبع معروفة والضيغم الأسد والعادى من العدوان والمحرد الكثير الحرد وهو الغضب والمحاق أن يستتر القمر فلا يطلع وذلك آخر الشهر لأنه يجتمع بالشمس فتمحق نوره أى تمحوه وتذهبه وتكنفك الشىء أحاط بك والمقل جمع مقلة والسرمد الدائم والليل الطويل وهو المراد هنا أى نشب بضبعى السنة مخالب ضيغم من مألوف العادات فتغلب عليها فاضمحلت السنة وظهرت العادات وضيغم العادات كثير العدوان شديد الغضب لموافقته هوى

النفس ودعوى شيطان الجن والإنس وإثبات الضيغم المفترس للعادات مجاز وكذا إثبات الضبع للسنة ومحا أيضا المحاق وهو انقراض العلم وأهله بآخر الزمان بدور السنة فيه تورية لأنه إما تخييل لبدور السنة ، أو المراد بالبدور أهلها الماضون . ثم قال :

وَعَفَتْ أَعَاصِيرُ الْهَوَى آثارَهَا فَاسْتَبْهَمَتْ عَنْ نَاشِدٍ أَوْ مُنْشِدِ

العفو المحو تقول عفت الرياح الاثر اذا محته والاعاصير جمع إعصار وهو أقوى الريح والهوى الحب والعشق وارادة النفس والمراد في نحو هذا ميل القلب الى ما هو حظ للنفس من غير مراعاة الشرع والناشد الطالب والمنشد المعرف أي رياح الهوى محت آثار السنة فلم تظهر لمن يتعلمها . ثم قال :

وَاسْتَوْثَقَتْ يَدِى الغَوَايَةِ وَالهَوَى بِأَزِمَّةِ الأَلْبَابِ شُلَّتْ مِنْ يُدِى

الغواية بفتح الغين الضلالة يقال غوى بالفتح غيا وغوى بالكسر غواية والأزمة جمع زمام وهو ما تقاد به الدابة والألباب العقول والشلل اليبس في اليـــد أو ذهابها رأسا تقول شلت يده تشل بالفتح شلا وشللا وشلت بالضم وأشلت واليدى بضم الياء وكسرها جمع يد كعصا وعصى وفلس وفلوس أي تمكنت أيدي الغواية والهوى بأزمة الألباب تقودها حيث شاءت واليد والزمام استعارة وشلت من يدى دعاء . ثم قال :

وَالعِلْمُ ضَاحٍ ظِلُّهُ وَصَدَى التُّقَى قَدْ صُمَّ وَالغَيُّ اعْتَلَى بِمُجَنَّدِ

الضاحي البارز للشمس وظله ضاح كناية عن ذهابه وعدمه لأن المعدوم لا ظل له فليس إلا الشمس والصدى ما يسمع من الشواهق ونحوه يحكى صوتك ويقال صم صدى فلان إذا مات لأن الميت لا كلام له فلا يكون له صدى واعتلى استطال عليه وتطاول أي العلم قد عدم فلم يبق له ظل والتقى كذلك والغي أي الضلال قد ثار بجنوده . ثم قال :

فَكَشَفْتَ جِلْبَابَ الجَهالةِ عَنْ سَنَا ... بَدْرٍ لِسَائِمَةِ الضَّلَالِ مُنَدَّدِ

الجلباب الذى تلبسه المرأة معروف ويستعار لما يغطى من جهل ونحوه والسنا بالقصر الضوء والسائمة الراعية وهو هنا استعارة للضلالات الفاشية فى الناس والمندد المفرق وهذا البيت مرتب على قوله وافيت الخ أى جئت والبدعة طالحة والعقول إلى الغى جانحة فكشفت غطاء الجهالة فظهر منك بدر شتت الظلام . ثم قال :

بَلْ ضَوْءِ صُبْحٍ بلْ نَهارٍ ناسِخٍ ... آياتُهُ لَيْلُ الشُّكُوكِ الزُّرَّدِ

الزرد الخنق وهذا زارد وهم زرد : أى بل كشفت عن ضوء الصباح بل عن النهار المحض ، وهذا ترتيب حسن لأن ضوء البدر دون ضوء الفجر وضوء الفجر دون ضوء النهار أعنى عند طلوع الشمس والنهار ناسخ لليل والليل هنا الشكوك التى تخنق العقل وتضيق الصدر . ثم قال :

وطَلَعْتَ فى فَلَكِ الهِدايَةِ وَالتُّقى ... بِجَلاَءِ مَحْلٍ مِ الكَوَاكِبِ أَسْعَدِ

بِجَدًى عَمِيمٍ غائِثٍ بُقَعَ النُّهَى ... وَالْعِلْمِ لاَ بُقَعَ السَّحَى وَالغَرْقَدِ

بِمُغَرِّبٍ وَمُشَرِّقٍ مُتَيَمِّنٍ ... مُتَشَائِمٍ مُتَكَوِّفٍ مُتَبَغْدِدِ

الجلاء بالكسر الصقل والمحل الجدب والجدى المطر العام فوصفه بعميم للمبالغة والتوكيد والغيث المطر وغاث الأرض أصابها والبقع جمع بقعة والنهى جمع نهية وهى العقل والسحى والغرقد نوعان من الشجر وتيمن الرجل أتى اليمن وتشاءم أتى الشام وتكوف انتسب إلى الكوفة أو تشبه بهم وتبغدد انتسب إلى بغداد أو تشبه بهم ودال بغداد تعجم وتهمل كما فى البيت وفيه لغات : أى طلعت أيها الشيخ فى الهداية والتقى وذلك فلكك الذى تكون فيه حركتك ويظهر سعدك وأثرك بجلاء محل : أى

بكوكب هو جلاء للمحل أى كاشف له والنعت بالمصدر مبالغة وهذا تجريد كما تقول لقيت بفلان بحراً وأسداً وقوله بجدي بدل اشتمال من جلاء لأن كون الكوكب جلاء للمحل أسعد إنما هو بما يصحبه من المطر فهو مفهوم عند ذكره ثم وصف هذا المطر بأنه عام وأنه يصيب بقع العقول فيهديها وبقع العلوم فيحييها وليس هو المطر الحسى الذى يصيب السحى والغرقد فان هذا أشرف وأعلى ثم أبدل منه أيضا قوله بمغرب : يريد أن هذا المطر قد عم حتى وصل إلى المغرب والمشرق ثم وصل منه إلى اليمن وإلى الشام وإلى الكوفة وإلى بغداد وهذا كله عبارة عن كون مدد الشيخ ونفعه عم الناس وسار فى الاقطار ولا شك أنه كذلك فقد انتفع به أهل المغرب وأهل المشرق وانتشرت أتباعه فى تلك الآفاق وذلك من فوائد ما حركه الله إليه من الحج كما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى . ثم قال :

حَتَّى غَدَتْ سُنَنُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ... صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مِنْ هَادٍ هُدِى

عَذْباً مَشَارِبُهَا زَوَاهِرَ نُضَّراً ... تُزْرِى بِرَوْضٍ فى الرُّبَى مُسْتَغْرِدِ

رَوْضٍ زِهَا نِسْرِينُهُ وَبَهَارُهُ ... لَمَّا غَدَاهُ كُلُّ جَوْنٍ مِجْوَدِ

وَجَرَتْ مَذَانِبُهُ فَأَصْبَحَ مُنْيَةً ... لِلْوُرَّدِ الْعَذْبَ الرَّوِىَّ وَالرُّوَّدِ

الهادى الذى يهدى غيره إلى الخير والمهدى الذى هداه الله تعالى بأن جعل الهدى فى قلبه والنبي صلى الله عليه وسلم هاد مهدى وذلك هو الكمال والمستغرد من الرياض الناعم كأنه يدعو بنغمته الطير إلى أن تغرد فيه والنسرين والبهار نبتان معروفان وغدته السحابة جاءته غدوة ويقال غاداه أيضا وفى نسخة لماسقاه وهو ظاهر والجون السحاب الاسود من كثرة الماء ويكون الجون أيضا بمعنى الابيض والمجود بكسر الميم فعل من جاده الغيث يجوده والمذانب مسايل الماء إلى الارض وجداول تجرى إلى الحوض ونحوه جمع مذنب بكسر الميم كمنبر والمنية ما يتمنى الإنسان والورد جمع وارد

والروى بكسر الراء أى المروى يقال ماء روى أى مرو والورود جمع رائد وهو طالب الـكلأ : أى طلعت بالنجم السعيد والنفع العام للقريب والبعيد حتى غدت سنة النبي صلى الله عليه وسلم من نبي هداه الله وهدى به عذبة المشارب زاهرة ناضرة تشرق وتفضـــل على روض الربى الناعم روض صفته ما ذكر من الابتهاج والحسن وكثرة النعمة وجريان الماء حتى أصبح منية لطالب الماء العذب ولطالب الـكلأ الرطب فان قلت كان الاولى بالترتيب تقديم المهـدى على الهادى . قلت ذلك بحسب الوجود الخارجي والمراد فى هذا شيء آخر وهو النظر إلى كون المتصدى للهداية مهديا لادجالا ولذا قال ﷺ لجرير « اللهم ثبتـه واجعله هاديا مهـديا » لأن الـكلام فى الهادى وأنه إما مهدى أو غير مهـدى لافى المهدى وأنه إما هاد أو غير هاد فافهم مع أن الهادى محتاج إلى الاهتـداء فى هدايته أيضا . ثم قال :

وَمَنَحْتَ إِحْياءَ الهِدايَةِ مُوضِحاً ... مِنْهَاجَهَا لِلسَّالِكِ المُتَعَبِّدِ
وفَتَحْتَ مُغْلَقَ سُبْلِها وسدَدْتَ عَنْ ... هَا ثَغْرَ لَبْسٍ مِ الهوَى لمْ يُسْدَدِ
وحَمَيْتَهَا منْ كُلِّ سَارٍ سَارِقٍ ... وفككْتَ عَنْهَا الغُلَّ عَنْ هادِ الهدِى
حَتى وضَعْتَ بِهَا عَلَى مُحْتَاجِهَا ... تَاجَ السَّنَا وزَفَفْتَهَا زَفَّ الهَدِى

أى ومنحت الناس إحياء الهداية بأن أجرى الله تعالى إحياءها على يديك حالة كونك موضحا منهاجها أى طريقها الواضح لـكل سالك طريق الدين أو طريق الآخرة أو طريق الخصوصية وهو المراد عند العرف متعبد لله تعالى وفتحت المغلق على الناس من سبلها وسددت عنها أى عن الهداية كل ثغر وهو فى الاصل موضع المخافة بيننا وبين العدو والمراد مداخل اللبس والوسواس والابتداع مما لم يكن مسدودا قبل وجودك وحميتها أى حفظتها ومنعتها من كل سار بالليل سارق وهو هنا شيطان الجن

والإنس والهوى والنفس والليل ليل الجهل والغرة والغفلة والشهوات ففى هذه الظلم يجد الشيطان والنفس مجالا إلى العقل وفككت منها الغل وهو ما يجعل فى العنق عن هادى الهدى أى عنق الاسير حتى وضعت بها أى بالهداية على محتاجها من المريدين وأهل الدين تاج السنا أى تاجا من النور وزففتها إلى أربابها زف الهدى أى العروس محلاة مزينة محفوفة بالبر والاحتفال بارعة البهاء والجمال وهذه كلها مجازات والمراد القيام بالسنة وإخماد البدعة وذلك شأنه . ثم قال :

فَهَزَزْتَ عِطْفَىْ كُلِّ بِرٍّ سَالِكٍ وَمَدَدْتَ مِنْ ضَبْعَيْهِ مَالَمْ يُمْدَدِ
حَتَّى أَقَمْتَ بِالِاسْتِقَامَةِ قَامَةَ الـ ـتَّقْوَى مُثَقِّفَ مَا بِهَا مِنْ أَوَدِ
وَجَلَوْتَ عَنْ حُجُبِ السِّرَارِ هِلَالَهَا أَعْدَدْتَهُ بَدْراً يَلُوحُ لِمُقْتَدِ

العطف بكسر العين الجانب وعطفا كل شيء جانباه وعطفا الرجل جانباه من رأسه إلى قدمه واستهزاز العطف مثل فى النشاط أو السرور أو الارتياح أو نحوه ، قال تأبط شرا :

أهز به فى ندوة الحر عطفه كما هز عطفى بالهجان الاوارك

والضبع تقدم ومد الضبع مثل أيضا فى الإعانة والإنجاد وتثقيف العود والرمح ونحوه تسويته والآود بمد الهمزة المعوج يقال أود بالكسر أودا فهو آود وجلا الشيء يجلوه كشفه وصقله والسرار بكسر السين وفتحها آخر ليلة من الشهر . أى فهززت عطف كل برأى مطيع لله تعالى سالك طريقه بما أثبت من الحق ونشرت من العلم وأقمت من الدين منجدا له ومعينا بما أفدت وما علمت وما ربيت حتى أقمت باستقامتك واستقامة من اقتفى أثرك قامة التقوى مسويا لما فيها من معوج على غيرك عالم يوفق لمجاهدة نفسه وعلمه حاله واثبات القامة والاعوجاج استعارة تخييلية بعد الاستعارة فى التقوى

بالكناية عن الشخص وكشفت عن حجب السرار هلالها فرددته بدراً كاملا لانها كانت اضمحلت وخفيت كالهلال فى آخر الشهر فجردتها وأظهرتها . ثم قال :

أنتَ الذِى جارَيتَ أرْبابَ النُّهى فَسبقْتَهُمْ سبقَ الجوادِ المُجْودِ
أنتَ الّذِى قَرْطَستَ لمّا أخصَلُوا وفلَجتَ عنهُمْ بالمُعلَّى الأسْوَدِ

الجواد من الخيل البارع يقال جاد الفرس جودة بالضم فهو جواد وجاد فى عدوه وأجود وجود وقرطس الرامى أصاب القرطاس وهو كل ما ينصب للرمى والاخصال قيل هو الإصابة أيضا وقيل أن يلزق فقط ولذلك تعد خصلان بقرطسة عند أهل النضال وعلى هذا جرى فى البيت وفلج الرجل يفلج ظفر وفاز فلجا والاسم الفلج بالضم والمعلى السهم السابع من سهام الميسر وهو أعظمها نصيبا والاسود السهم المبارك يتيمن به وكأنه أسود من كثرة ما مسته الايدى أى أنت الذى جاريت أهل النهى إلى الفضائل والكمالات فسبقتهم كما يسبق الجواد المعلى فى الحلبة غيره وأنت أصبت فى الاغراض مالم يصيبوا وفزت من الحظ الاوفر بما لم يفوزوا . ثم قال :

وَعبَرْتَ منْ لجَجِ المَعارِفِ لُجَّةً وَقفتْ بِساحِلِها فُحُولُ الوُرَّدِ
وَكرَعتَ غيْرَ مُزاحَمٍ بحِياضِهَا فوَرَدْتَ مِنْهَا كلَّ عذْبِ المَوْرِدِ
وقطفْتَ مِنهَا كلَّ نَوْرٍ زاهِرٍ وهصَرْتَ مِنهَا كلَّ غُصْنٍ مؤْتدِ
وحلَلتَ مِنها كلَّ رَبْعٍ مُرْحِبٍ وأسَمْتَ سَرْحَكَ كلَّ رَوْضٍ أغْيَدِ
وَركِبتَ مِنهَا كلَّ وجْنَا عِرْمِسٍ وَحلَبتَ منهَا كلَّ مُشكرٍ صِمْرِدِ
وَحلَيتَ مِنهَا بِالثّمِينِ المُنْتقَى وَلبِستَ منهَا كلَّ فضفَاضٍ بدِى

اى قطعت وتجاوزت من لجج المعارف لجة وهى معظم الماء ووقفت بساحل هذه اللجة لحول الواردين من السالكين والمتعلمين فلم يدخلوها عجزا فضلا عن أن يعبروها وكرعت فى حياضها والكرع هو الشرب بالفم وهو أنفع غير مزاحم لانفرادك بهذه المرتبة فوردت من حياضها كل عذب المورد وقطفت من المعارف أيضا كل نور بفتح النون وهو الزهر زاهر أى ناضر حسن وهصرت منها أيضا كل غصن مؤتد أى ناعم الثمرة يقال أدت الثمرة تأدوا أدوا على فعول إذا أينعت ونضجت وحللت من المعارف أيضا كل ربع مرحب اى واسع يقال رحب المكان وأرحب إذا اتسع واسمع سرحك أى رعيت سارحتك فى كل روض أغيد أى ناعم وركبت من المعارف أيضا كل ناقة وجنا بالقصر للوزن وهى العظيمة الوجنتين كا مر عرمس أى شديدة وحليت من المعارف أيضا كل مشكر صمرد بالإضافة أى كل ضرع شكر أى ملآن باللبن من ناقة صمرد بكسرتين أى غزيرة اللبن يقال أشكر الضرع إذا امتلأ والصمرد الغزير وتستعمل أيضا بمعنى القليلة اللبن على الضد وإشكار الضرع فى البيت يدل على المعنى الاول مع سياق المديح ولو أريد الثانى أيضا لصح على معنى أنه نال الرغائب من حيث لا يحتسب وذلك أغرب وأعجب وحليت أيضا من المعارف وهو بكسر اللام يقال حلى بكذا وتحلى به بالثمين أى المعظم الثمن المنتقى أى المختار ولبست من المعارف كل ثوب فضفاض أى واسع يدى أى واسع وهو توكيد ومبالغة يقال ثوب أدى ويدى على مثال غنى أى واسع . ثم قال :

وَفَتَحْتَ أَصْدَافَ الْمَكَارِمِ لِلْوَرَى  وجمعْتَ أصنافَ السُّلوكِ الأقْصَدِ
وَرَكِبتَ أَكْتافَ المَعالى لِلْعُلَى  ومُنِحتَ أعرَافَ العُلُومِ الشُّرَّدِ
ونَجَمْتَ أَكْنافَ المَعالى مُخْصِباً  ومرَيتَ أخْلَافَ الرَّغابِ الجُدَّدِ

الاصداف جمع صدف بفتحتين وهو غشاء الدر والاقصد الاعدل من القصد وهو

العدل والاعراف جمع عرف بضم العين وهو شعر عنق الفرس والشرد جمع شارد وهو الهارب ونجعت بلد كذا قصدته لطلب الغيث والكلأ والاكناف جمع كنف بفتحتين وهو الجهة وأخصب الرجل وقع فى الخصب ومرى الضرع يمريه مسحه ليدر والاخلاف جمع خلف وهو حلمة ضرع الناقة وقيل هو للناقة بمنزلة الضرع للشاة والرغاب جمع رغيبة وهى الامر المرغوب فيه والرغيبة أيضا العطاء الكثير والمجد جمع ماجدة وهو من قولك مجدت الإبل مجدا إذا وقعت فى المرعى الكثير فلما نسب الاخلاق إلى الرغاب جعلها ماجدة وبذلك تكون أغزر درا وهذه كلها مبالغات واستعارات بالكناية بجعل المكارم درا إذا فتحت أصدافه غنم والمجادة شخصا إذا ركب كتفه استوى عليه والعلوم خيلا إذا ملكت أعرافها قبضت والمعالى جهات من الارض من انتجع أكنافها وجد الخصب والرغاب نوقا تستدر أخلافها ، وفى الابيات السجع الذى ذكرته قبل ولو شئت أن تستخلصه لقلت فلان فتح الاصداف وجمع الاصناف وركب الاكتاف ومنح الاعراف ونجع الاكناف ومرى الاخلاف ثم قال :

مَازِلتَ تَمْتَحِنُ اللَّيالِىَ خَارِقاً جِلْبَابَهَا المَسْدُولَ فَوْقَ الهُجَّدِ
وَمُسَهَّداً مِنْهَا عُيُــوناً طَالَمَا كَرَيَتْ وَمَا مُنِيتْ بِرَيْبِ مُسَهِّدِ
حَتَّى حَبَتْكَ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ فِى عِزِّ الجَنَابِ وَكِيمِيَاءِ السُّودَدِ

الامتحان الاختبار والهجد جمع هاجد وهو النائم وكرى بالكسر يكرى نعس ومنى بكذا كعنى ابتلى به والريب صرف الدهر والكيمياء بكسر الكاف والمد معروف أى مازلت تمتحن الليالى بالذكر والفكر وأنواع العبادات حالة كونك خارقا جلباب الظلام بقيامك وهو مسدول فوق النائمين لانه يغطيهم وحالة كونك مسهدا عيون الليالى التى طالما نعست وما ابتليت بمسهد يسهدها وهذا مجاز كقولهم أظمأت نهارى

وأسهرت ليلى أى أظمأت نفسى وأسهرت نفسو فى النهار وفى الليل ونهاره صائم وليله قائم حتى حبتك الليالى أى أعطتك سعادة الدنيا والآخرة بالمعرفة والاستقامة وفيها النجاة دنيا وأخرى وبذلك يحصل السودد عند الله تعالى قال تعالى : ( إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) وإسناد ذلك إلى الليالى مجاز أيضاً وفيه توهم لطيف وأنه كن يمتحن شخصا ليدفع مالا أو يخرج كنزا فنال ذلك . ثم قال :

فَلْيَهْنِكَ المَجْدُ الّذِى مَا فَوْقَهُ ... فى الدَّهْرِ مِنْ مَرْقًى يُرَامُ وَمَصْعَدِ
وليَهْنِكَ الكَنْزُ الذى ظَفِرَتْ بِهِ ... قِدْماً فُحُولُ العارِفِينَ الزُّهَّدِ
كَنْزٌ مَتَى ظَفِرَتْ بِهِ كَفُّ الْفَتَى ... لَمْ يَفْتَقِرْ لِمَزَادَةٍ أَوْ مِزْوَدِ

يهنك مضارع هنأ يقال هنأنى الطعام يهنؤنى ويهنانى والهنىء كل مالا تعب معه ولا مشقة والمزادة الراوية التى يكون فيها الماء وألفها منقلبة عن ياء مزاد يزيد والمزود وعاء الزاد أى لتهنأ بالمجد الذى ليس فوقه مرقى يرام ولا مصعد وهذا مبالغة أو تحقيق بإرادة جنس ذلك الكمال لا القدر الحاصل منه وبالكنز الذى ظفرت قدما أى فيما مضى فحول العارفين الزاهدين كنز متى ظفر به العبد أنفق من الكون حسا ومعنى ولم يفتقر لمزادة ولا مزود فيغترف العلوم من بحار المواهب وتأتيه الأرزاق من حيث لا يحتسب . ثم قال :

قُلْ لِلْمُحَاوِلِ شأْوَهُ أَقْصِرْ فَقَدْ ... حاوَلْتَ إِمْسَاكَ الثُّرَيَّا بِالْيَدِ
وَتَجَشَّمْتَ مَيْدَانَ الرِّهَانِ مُجَارِياً ... بِخَرِيعٍ أَتْنٍ كُلَّ نَهْدٍ أَجْرَدِ

حاول الشىء رامه حوالا ومحاولة والاسم الحويل والشأو السبق والغاية وشاواه سابقه وأقصر عن الشىء تركه أو عجز عنه والثريا فعيلا من الثروة وهى الكثرة سمى به النجم لكثرة كواكبه وجشم الشىء بالكسر وتجشمه تكلفه بمشقة والميدان بفتح

الميم وقد تكسر مجرى الخيل وزنه فعلان لافيعال والرهان جمع رهن ويكون أيضاً مصدر راهنه رهانا ومراهنة والمجاراة المغالبة فى الجرى والآتن جمع أتان للأنثى من الحمر والخريع الضعيفة والنهد من الخيل الحسن الجسم المشرق والأجرد القصير الشعر أى قل أيها المخاطب لمن يروم أن يسابق هذا الممدوح فى الفضائل أو من يروم أن يبلغ الغاية التى بلغها فى الفضل أقصر عن ذلك فانك لا تستطيعه وإنما أنت فى تعاطى ذلك بمثابة من يمد يده إلى السماء ليمسك الثريا بيده أو يركب أتاناً ضعيفة مسترخية ليسابق بها جياد الخيل وناهيك بذلك سخفا وحمقا :

إن سالموك فدعهمو من هذه ... وارقد كفى لك بالرقاد نعيما

ثم قال :

لاَ تَغْرُرَنْكَ أَنَاتُهُ فَقَنَاتُهُ ... فى اللهِ لَيْسَتْ تُسْتَلاَنُ بِمَلْبَدِ
وَتَواضُعٌ مِنْـــهُ فإنَّ كَمَالَهُ ... عَنْقَاء وَهِىَ مَتَى تُرَمْ لَمْ تُصْطَدِ
ولِيَانُهُ فَمَنَالُهُ فَوْتُ المُنى ... وَمَنِ اقْتَضَى مالَيْسَ يُدْرَكُ يُفْنَدِ
وَاحْسُدْهُ فَهْوَ عَلَى عُلاَهُ شَاهِدٌ ... إنَّ الْكِرَامَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ

الإناءة الحلم والوقار أصله أنية كقصبة فقلبت الياء ألفا والقناة الرمح واستلان الشىء عده لينا أو وجده كذلك والملهد مفعل اللهد وهو الدفع والغمز والعنقاء تقدم ما فيه واللِيان الملاينة يقال لاينه ملاينة وليانا إذا لان يقول لا يغررنك ما ترى من هذا الشيخ من الحلم لجليسه فتظن به ضعفا فانه شديد فى ذات الله وفى غاية من الصلابة فى دينه لا يوجد فيه مغمز كالقناة الصلبة التى لا تلين لغامز والكلام تمثيل ولا يغررك أيضا ما ترى من تواضعه فتظن به نقصا فان كماله لا تدركه كما أن العنقاء لا تدرك باصطياد ولا يغررنك أيضا لينه ورفقه فتظن أنك تدركه وتنال درجته فان ذلك يفيت

تمنيك وطمعك ، ومن طلب مالا يدركه يخطأ فى رأيه ويستحمق فى عقله واحسده إن شئت على ذلك فانك لاتزيده إلا كمالا ولا يكون ذلك إلا شاهدا على عظيم فضل الله عليه وأى كريم لم يحسد كما قال الشاعر :

إن يحسدونى فانى غير لائمهم     قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

وقال أبو الطيب :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص     فهى الشهادة لى بأنى كامل

ثم قال :

بِسَنَاهُ عَيْنُكَ أُعْشِيَتْ وسَنَائِهِ     وَالشَّمْسُ بَاهِرَةٌ لِعَيْنِ الأَرْمَدِ
وَالمَاء يُنْكِرُهُ السَّقِيمُ وَقَدْ حَلاَ     وَيَمَرُّ فى فِيهِ الطَّعَامَ وقَدْ قَدِى

السنا بالقصر الضوء وبالمد الرفعة والعشا والعشاوة سوء البصر يقال عشى بالكسر عشى فهو أعشى وبهره الشيء غلبه ومر الشيء يمر بالفتح مرارة وقدى الطعام بالكسر طاب طعمه وريحه . يقول : بأنوار هذا الممدوح وجلالة قدره غطى على بصر بصيرتك فلم تر فضله ، كما أن من أصابه الرمد يغلبه ضوء الشمس ولا يقدر أن يراها وكذا من به المرض لايدرك حلاوة الماء ولا حلاوة الطعام وإن كانا طيبين . ثم قال :

فَهُوَ الوَحِيدُ ومَنْ يَكُنْ فى دَهْرِهِ     لَمْ يَلْقَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُوجَدِ
فَرْدٌ ولَيْسَ لهُ نَظِيرٌ فانْتَفَى     جَمْعٌ وتَثْنِيَةٌ لِهَذَا المُفْرَدِ

يقال رجل وحيد ووحد ووحده بالفتح واحد ومتوحد منفرد . يقول : إن الممدوح هو واحد وقته المنفرد فيه بفضله فمن لم يلقه ويأخذ عنه وينتفع به من أهل زمانه فكأنه لم يوجد فان من لاخير عنده ولا غناء له كالمعدوم ، ومن م العركلاب فى هذا : مررت

برجل سواء والعدم ، أى مستو هو والعـــدم لا للناس ولا لنفسه ، وهو أيضاً فرد لا يوجد له نظـير فى فضله ومثل هـذا لا يثنى ولا يجمع لأن شرط ذلك وجود النظير كما علم فى العربية . واعلم أن هـذا المعنى كان افتتحه جرير حين قال

إذا غضبت عليك بنو تميم    وجدت الناس كلهم غضابا

فتجاذبه الناس بعد ذلك فقال أبو نواس وأبلغ :

وليس على الله بمستنكر    أن يجمع العالم فى واحد

وقال السلامى :

فبشرت آمالى بملك هو الورى    ودارهى الدنيا ويوم هو الدهر

وقال الآخر :

لو زرته لوجدت الناس فى رجل    والدهر فى ساعة والأرض فى دار

وقال البوصيرى رحمه الله تعالى : * فجوهر الحسن فيه غير منقسم . وقد حسنه بما فيه من الاقتباس من علم الكلام كما أن فى البيت أيضا محسنا بالاقتباس من علم النحو . ثم قال :

فإن اشْرَأَبَّ إلى الهِدَايَةِ غَـيْرُهُ    فالمِسْكُ الاذْفَرُ لَيْسَ كالمِسْكِ الـكَدِ
وَالْعَذْبُ يَغْزُرُ بِالْحِيَاضِ ولَمْ يَرِدْ    مَاءٌ كَصَدًّا خلتَ مِنْ مُتَوَرِّدِ
والخِصْبُ يَكْثُرُ بالعِرَاضِ ولَمْ يَرُدْ    كالثَّغْرِ وَالسَّعْدَانِ مِنْ مُتَرَوِّدِ
وعُبَابُ دَجْلَةَ لَيْسَ كالْبَرَدِ الذى    تَمِدُ صَرَاهُ وَلاَ البَوَاسِقُ كالوُدِ
وبَنَاتُ أعْوَجَ لا تُجَارِيها الغزلى    وكَذَا الْبُزَاةُ خِلافُ عِقْدٍ عِقْدِ
والنَّارُ فى الأشْجَارِ لَـكِنْ مَا بِها    كَعَفَارِهَا والمَرْخِ مِنْ مُسْتَمْجِدِ

وَشَبَا الرُّدَيْنِيَّاتِ غَـيْرُ زِجَاجِهَا ‏ ‏ وَذَوَائِبُ الْهَضَبَاتِ غَـيْرُ الأَوْهُدِ
وذَوُو الغِنَاءِ لَهُمْ مَحَاسِنُ جَمَّـةٌ ‏ ‏ لَـٰكِنَّهَا قَصَبُ السِّبَاقِ لِمَعْبَدِ
وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ سَمَا بِهَا ‏ ‏ بَادِي السَّنَاءِ فُوَيْقَ كُلِّ مُـكَبِّدِ

يقـال اشرأب إلى الأمر إذا مد اليه عنقه لينظر أو ارتفع والأذفر من المسك القوى الرائحة والـكدى الذى لارائحة له وغزر الماء بالضم كثر والحياض جمع حوض وصدآء كخلخال ويقال صداء كـكتاب عين أو ركية فى بلاد العرب ماعندهم أعذب منها ومنه المثل « ماء ولا كصداء » والعراض جمع عرض بالـكسر وهو الوادى والثغر بالفتح والسعدان نبتان من أفضل مايرعى ومنه المثل « مرعى ولا كالسعدان والمرخ والعفار شجرتان يقتدح منهما النار ومنه المثل « فى كل شجرة نار » واستمجد المرخ والعفار أى فاقا فى ذلك غيرهما وشباة الرمح طرفه الذى يطعن به والزج الطرف الآخر والرديفيات نسبة إلى ردينة وهى امرأة سمهر وكلاهما يصنع الرماح ويثقفها فيقال سمهرية وردينية وتجلب من الخط بلد بالساحل فيقال خطية والهضبة الـكدية وذوائبها أعلاها والأوهد جمع وهد المنخفض من الأرض ومعبد المغنى المشهور وبادى السناء الارتفاع الظاهر ويقال كبد النجم تـكبيدا حل كبد السماء أى وسطها فى مرأى العين . يقول : إن تصدى أحد من أهل وقته لان يـكون قدوة ومربيا للسالـكين فليس يبلغ مبلغه ولا يقاربه ثم ضرب سبعة أمثال وهى أن المسك المنقطع الرائحة وإن سمى مسكا لا يقوم مقام الفائح ، والمياه ، وإن غزرت وحلت لايرد واردٌ منها مثل ماء صداء والخصب وإن كثر لايرود رائد منه مثل السعدان والثغر ، ولا يخفى مافى صدرى البيتين من الترصيع . والأشجار وإن صلحت لايقتدح منها الناس كالعفار والمرخ وشباة الرمح ليست عالية كزجه كما قال الصلتان :

وما يستوى صدر القناة وزجها ‏ ‏ ولاتستوى فى الـكف منك الأصابع

وكذا الوهاد لا تبلغ مبلغ القنن والمغنون لا يبلغون مبلغ معبد والنجوم ولو توسطت السماء لا تبلغ مبلغ الشمس . ثم قال :

| | |
|---|---|
| ورثَ الإمَامَ الشَّاذِلِيَّ طَرِيقَهُ | واللَّيْثُ يَسْرِى سِرُّهُ لِلْفُرْهُدِ |
| سَنَنٌ تَهادَتْهُ مَشَايِخُ قَادَةٌ | لِطَوَالِعِ الزُّهْرِ الدَّرَارِى الوُقَّدِ |
| أَعْظِمْ بِأَعْلَامِ الْهُدَى الطَّلاعِ فى | سُبُلِ المَفَاز المُرْشِدِينَ الرُّشَّدِ |
| التَّائِبِـــينَ العابِدِينَ لِرَبِّهِمْ | والقَانِتِينَ الرَّاكِعِينَ السُّجَّدِ |
| وَالسَّائِحِينَ الحَافِظِينَ حُدُودَهُ | وَالآمِرِين بِهَا النُّهَاةِ الْعُبَّــدِ |
| كلٌّ لَهُ ضَرْبٌ بِقَــــدْحٍ فَالِجٍ | فيهَا وَحَمْلٌ بِالحَدِيثِ المُسْنَدِ |
| شَرَفٌ يُطَرِّزُ بِالنُّجُومِ ويَسْتَمِى | فَوْقَ السِّمَاكِ عَلَى مُرُورِ المُسْنَدِ |
| يَهْدِى بِهَا هادٍ رَشِيدٌ بَعْدَ مَا | هَادٍ ويَحْمِلُ سَيِّدٌ عَنْ سَيِّدِ |
| حَتَّى تَنَاهَى لِابْنِ نَاصِرٍ الرِّضَا | بَيْتِ القَصِيدِ وَوَاسِطِ المُتَقَلِّدِ |

الإمام الشاذلى هو الشيخ أبو الحسن على بن عبد الجبار الشريف الزرويلى ونسب إلى شاذلة لأنه كان يتعبد فيها وليس منها كما توهم صاحب القاموس والفرهد ولد الأسد والسنن الطريق . ومعنى تهادته يهديه بعضهم إلى بعض من الهدية . ومنها « تهادوا تحابوا » أو يهدى بعضهم اليه من الهدى يقال هديته الطريق والقادة جمع قائد وهو القدوة والزهر جمع أزهر وهو المشرق المنير والدرارى جمع درى النجوم والوقد جمع واقد وهو الشديد الإضاءة كأنما يشعل والمفاز جمع مفازة وهى الفلاة

المهلكة سميت بذلك على التفاؤل كما سمى اللديغ سليما ويجوز أن يكون بمعنى الفوز فيكون موجها لمعنيين والنهاة جمع ناه وجمع فى البيتين الأوصاف المذكورة فى قوله تعالى : « التائبون العابدون » الخ والقدح بالكسر السهم والفالج الظافر والمسند فى الأصل المذكور سنده وهو عدد رواته إلى أصله والطراز علم الثوب وطرزه تطريزا أعلمه به والاستماء والسمو العلو والسماك نجمان وهما الأعزل والرامح والمسند الدهر وبينه وبين الاول جناس تام وبيت القصيد وهو البيت المختار من القصيدة يستعار للرجل يكون كذلك والواسط المتوسط من الجوهر فى القلادة وهو خياره ويقال للجوهرة منه واسطة القلادة ثم يستعار للمختار من الناس يقول : إن هذا الشيخ قد ورث الإمام الشاذلى طريقه المحموذ وانتصب طريقه على المفعول الثانى إن عدى ورث إلى مفعولين وإلا فبدل اشتمال من الإمام أو على إسقاط الخافض فى الإمام أى ورث عنه طريقه وسرى اليه سره كما يسرى سر الليث من الشهامة والجراءة إلى ولده ، ثم بين طريقه وقال هو سنن أى طريق تهادته المشايخ أهل الطريقة بعده كلهم يهدى به ويقتدى كما يهتدى بالنجوم الزاهرة وفيه الإشارة إلى تكافئهم فى الفضل كما قيل : .

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم  مثل النجوم التى يسرى بها السارى

ثم استأنف أيضا فقال أعظم بأعلام الهدى أى ما أعظمهم علما ودينا وشبههم بالاعلام أى الجبال العالية الطالعة فى أفق المفاوز البعيدة الصعبة التى لا يسلكها إلا الخريت الماهر وهو العارف الطريق جدا ، وما ذلك إلا أن طريق الحق والتحقيق صعبة أو الطالعة طرق الفوز والفلاح وجعلهم مرشدين راشدين ، وقدم الرشد لأن الحديث فى كونهم مشايخ فالواجب وصفهم بالإرشاد ثم ليس كل مرشد رشيدا فوصفهم بالراشدين ولو كان الحديث فى الراشدين لقدم وهذا كقوله ﷺ فى جرير « واجعله هاديا مهديا » فقدم الهادى لأن الحديث فيه فافهم ، ثم وصفهم بالاوصاف المذكورة لانهم القائمون بتلك المقامات على وجهها ، ثم قال إن كلا منهم يضرب بقدح فالج أى

فى الطريق المذكورة أى كل له حظ وافر منها ذوقا وتحقيقا ، والحمل بالحديث المسند
إما أن يكون صريحا نظرا إلى ما يسمع بعضهم من بعض من وظائفها وآدابها وغير
ذلك من العلوم أو تمثيلا نظرا إلى ما يسرى من بعضهم إلى بعض من الاسرار والانوار
ثم قال شرف أى ذلك أى ما اختصوا به واتصلوا وقاموا به شرف يطرز بالنجوم ويعلو
فوقها على مرور الزمان وفى الدنيا والآخرة ولم يزل أولئك المشايخ يهدون الخلق هاديا
بعد هاد ويجعل منهم سيد يلجأ اليه فى الطريقة عن سيد مثله منشدا بلسان حاله :

أهيم بسعدى ما حييت وان أمت  أوكل بسعدى من يهيم بها بعدى

وقال الاعرابى :

وإذا فلان مات عن أكرومة  رقعوا معاوز فقده بفلان

إلى أن انتهى ذلك الإمام ابن ناصر الرضا أى المرضى وجعله بيت القصيد وواسطة
القلادة اعتبارا بنظر المادح وقياما بما يقتضيه المدح من المبالغة ولانه المقصود بالذكر
وقد أشار فى الابيات إلى سند الطريقة فلنذكره باختصار فان فى اتباعه طولا فنقول
أخذ الشيخ ابن ناصر عن الشيخ عبد الله بن حسين الرومى عن الشيخ أحمد بن على
الحاجى عن شيخ المشايخ أبى القاسم الغازى عن الشيخ على بن عبد الله السجلمى
عن الشيخ أحمد بن يوسف الراشدى الملياني دارا عن الشيخ أحمد زروق البرنسى
عن الشيخ أحمد بن عقبة اليمانى الحضرمى عن الشيخ الشريف القادرى عن الشيخ
على بن وفا عن الشيخ محمد وفا والده عن الشيخ داود الباخلى عن الشيخ أحمد
ابن عطاء الله عن الشيخ أبى العباس المرسى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى عن الشيخ
عبد السلام بن مشيش عن الشيخ عبد الرحمن المدنى عن الشيخ أبى مدين عن
الشيخ على بن حرزهم عن الشيخ أبى يعزى يلنور عن الإمام أبى بكر بن العربى
المعافرى عن الإمام أبى حامد الغزالى عن الإمام أبى محمد الجوينى عن الشيخ أبى
طالب المكى عن الشيخ الجريرى عن الشيخ أبى القاسم الجنيد عن الشيخ السرى
السقطى عن الشيخ معروف بن فيروز الكرخى عن الشيخ داود الطائى عن الشيخ

حبيب العجمى عن الإمام الحسن بن أبى الحسن البصرى عن أمير المؤمنين باب مدينة العلم أبى الحسن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فهذه سلسلة مشهورة وهى سلسلة العلماء ولهم سلسلة أخرى تعرف بسلسلة الأقطاب معروفة فى كتبنا لا حاجة إلى التطويل بها هنا وفى الأبيات أيضاً الإشارة إلى صفة القدوة من كونه راشداً مرشدا محرزاً لتلك المقامات وشرح ذلك يطول . ثم قال :

فأضاءَ مِنْ مِصْبَاحِهِمْ مِصْبَاحُهُ ... والفَرْعُ يَزْكُو عِنْدَ طِيبِ المَحْتِدِ

وَكأنّما ذَاكَ العُبابُ قَدِ انْتَهَى ... لِأَجلِّ تَنْهِيَةٍ وَأطْيَبِ مقْلَدِ

فَكسَا الحَقيقَةَ بِالشَّرِيعَةِ فاجْتَلِى ... حَسْناءَ تَرْفُلُ فى شُفُوفِ الأبْرُدِ

المحتد الأصل ويقال حتد بالمكان أقام به والعباب معظم السيل والتنهية حيث ينتهى السيل من الحوض مثلا والمقلد مجمع الماء ، والشريعة ما يرجع إلى التكليف من الأمر والنهى والإباحة ، والحقيقة ما يرجع إلى الاعتقاد وما ثبت فى نفس الأمر وهذا كلام إجمالى وتفصيله يطول ، واختصاره أن تعلم أن الله تعالى هو الذى له الاقتدار كله والاختيار كله والملك كله والعبد لا فعل له ولا اختيار ولا حق غير أن الله تعالى من لطيف حكمته جعل له اكتسابا فى أفعاله بأن يخلق له قدرة تقارن فعله لا تأثير لها فيه ولكن يحصل التيسير عندها وجعل له مشيئة فى الفعل تابعة لمشيئته تعالى قال تعالى : ( وما تشاءون إلا أن يشاء الله ) فيحس العبد بسبب ذلك التيسير وتلك المشيئة المخلوقين ظاهراً من نفسه كأنه يفعل ويترك باختياره وهو فى التحقيق لا فعل له ولا اختيار بل ذلك كله للواحد القهار ومتى لم تخلق له تلك القدرة فلم يقع التيسير شاهد العجز كحال من سقط من علو ويسمى فعله فى الحالة الأولى اختياريا نظراً إلى ظاهر حاله وعليها نصب التكليف وتوجه الأمر والنهى وهو الشرع المقتضى من العباد ويسمى فعله فى الحالة الثانية اضطراريا وجبريا ولا تكليف عليه فضلا من الله تعالى

هذا كله نظرا إلى ظاهر حاله ومتى نظر إلى الباطن علم أنه فى كل حال مجبور مضطر معزول عن الفعل ثم العبد مطلوب بملاحظة الجانبين الاختيار والاضطرار فمتى ورد عليه حكم من الله تعالى بأن يفعل ويترك ووجد اختياراً للقيام به فهو مطلوب بالقيام به وذلك هو الشريعة ومطلوب بنسبة التأثير فيه إلى الله تعالى وحده لاشريك له وذلك هو الحقيقة فان أهمل الأمر واعتل بأنه لاقدرة له فقد ضيع الشريعة وإن ادعى لنفسه حولا فى ذلك أو قوة فقد ضيع الحقيقة وإن قام بالامتثال وتبرأ من الحول والقوة فقد كمل وهذا الذى كسا الحقيقة بالشريعة وهذا فرض مثال ويجرى هذا المعنى فيما ذكرنا من التكليف ويجرى أيضا فى الثواب والعقاب فان الله تفضل بالثواب مثلا على الأعمال فمن لم يعتبر ذلك وأسقطه رأسا فقد ضيع الشريعة لأنها جاءت به ومن أوجبه على الله تعالى علوا كبيرا فقد ضيع الحقيقة . وما قررنا من أن العبد لاملك له ولاحق غير ماجعل له مولاه فضلا واختيارا يجرى أيضا فى الاسباب مثلا فمن لم يجعل لها اعتبارا أصلا وأبطلها رأسا فقد ضيع الشريعة لان الشرع أذن فيها ومن نسب اليها أثراً فيما يقع من المنافع عندها فقد ضيع الحقيقة لأن التأثير كله لله تعالى والاسباب العادية يوجد الشيء عندها لا بها فافهم فقد كشفنا لك عن الامر فصار نهارا . وبذلك تعلم أنه لم يكمل فى حاله إلا أهل السنة والجماعة من كل من يقول إن العبد مجبور فى قالب مختار ، أما أهل القدر فقد ضيعوا الحقيقة وأما أهل الجبر المحض فيلزمهم تضييع الشريعة والله هو الموفق والناس يطلقون الجمع بين الشريعة والحقيقة على الجمع بين الظاهر والباطن وهو صحيح إجمالا وتفصيله فى كل جزئية هو ماقررنا ، والابرد جمع برد والشفوف من الثياب الرقاق الجيدة . يقول إن هذا الشيخ لما التمس من المشايخ قبله واقتبس من أنوارهم وأسرارهم أضاء مصباحه أى قلبه وهو المصباح على التجريد أو الكلام تمثيل والحاصل واحد ، وفيه الإشارة إلى أن الله تعالى أجرى عادته بالاقتداء وانتفاع البعض من البعض كما يشعل مصباح عن مصباح فكما لايشعل المصباح من ذات نفسه اللهم إلا أن يخرق الله عادته أحيانا كذلك لاينتفع الإنسان بلا قدوة ولهذا قال أئمة الطريق من لم يأخذ أدبه

عن المتأدبين أفسد نفسه ومن اتبعه ، وفيه أيضا أن الشخص الواحد يمكن أن ينتفع منه كثير لطفاً من الله تعالى كما أن المصباح تشعل منه المصابيح الكثيرة ولا ينتقص وقال إن الفرع فى الشجرة مثلا يزكو أى يعظم ويعلو عند طيب أصله وكذلك المريد يصلح ويفلح بصلاح وفلاح قدوته وقال إن ذلك العباب وهو السر والمدد الجارى من قلب إلى قلب قد انتهى إلى أفضل موضع وأطيب مجمع وهو الشيخ أو قلبه وقال إنه كسا الحقيقة بالشريعة أى جمع بينهما قائما بالجانبين وإنما جعل الشريعة هى اللباس لانها هى الظاهرة فاجتلى أى أظهر حسناء وهى الطريقة رافلة فى أحسن البرود وذلك أتم فى جمالها وبهائها والكلام تمثيل وأراد بالحسناء الحقيقة والبرود عليها الشريعة على الاستعارة .
ثم قال :

وَتَبَجَّسَتْ لِلدِّينِ مِنْ نَفَحَاتِهِ ... قُلُبٌ يَقُول فُرَاتُهَا هلْ مِنْ صَدِ
مَاءٌ يُزِيلُ الحَلَّتَيْنِ فَيَغْتَنِى ... بِوُجُودِهِ الغَرِثُ الضَّرِيمُ وَمَنْ صَدِى
مُتَصَدِّيًا لِلْهَدْىِ مِنهُ بِصَارِمٍ ... مِلْهِنْدِ مَشْحُوذِ الغِرَارِ وَمَا صَدِى
وَبِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ بَحْرِ حَقِيقَةٍ ... عَمِقٍ وَبَحْرِ الشَّرِيعَةِ مُزْبِدِ
كَمُهَنَّدٍ عَضْبٍ عَتَادٍ لِلْفَتَى ... يَوْمَ المَصَاعِ مُجَرَّدًا أَوْ مُغْمَدِ
يَكْسُو مِنَ الشَّفِّ الأنِيقِ طِرَازَهُ ... وَمِنَ الصَّفِيقِ بِشَمْلٍ وَبِمَجْسَدِ
وَيَقُوتُ مِنْ خَيْرِ الجَنِيبِ وَفَائِقِ الـ ... صَرْفَانِ وَالآرِى المَشُوبِ بِرِغْبَدِ

تبجس الماء وانبجس تفجر والقلب جمع قليب وهى البئر وقيل العادية القديمة منها والفرات من الماء العذب جدا فرت الماء بالضم عذب والصدى العطشان والخلة بالفتح

الحاجة والغرث الجائع يقال غرث بالكسر فهو غرث وغرثان والضريم المحترق الاحشاء بذلك وصدى يصدى صدى عطش وتصدى للشيء انتصب له والصارم من السيوف القاطع وقوله ملهند أى من الهند وأسقط نون من وذلك جائز كثيرا إذا لقيت الالف واللام كقوله :

وما أنس ملاشياء لاأنس قولها      وقد قربت نضوى أمصر تريد

أى من الاشياء والمشحوذ المسنون والغرار حد السيف وصدأ السيف ونحوه بالهمز طلع عليه الوسخ وأزبد البحر طلع عليه الزبد والسيف المهند معروف والعضب القاطع والعتاد العدة والمصاع والمماصعة المضاربة بالسيوف والشف الثوب الرقيق جمعه شفوف كأمر والصفيق القوى النسج والمشمل ثوب يشتمل به والمجسد كمنبر ثوب يلى الجسد والجنيب تمر جيد مختار وفى الحديث « أكل تمر خيبر هكذا » أى الجنيب والصرفان تمر رزين صلب يصلح لذوى الحاجه وأهل الكد والآرى العسل والرغيد الزبد . يقول : إن هذا الشيخ تفجرت من نفحاته الصادرة عنه أومن النفحات التى تردعليه وفى الخبر «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألافتعرضوا لنفحاته» قلت: وإنما لم يجعلها أنهاراً أوعيوناً إيذاناً بأنها مصونة عن أن يخوض فيها العجيز وكل من ليس من أهلها وأنها إنما تنال بالخدمة والمجاهدة مع العناية السابقة ووصف هذه القلب بأن ماءها الفرات ينادى بلسان حاله لكثرته وجودته هل من عطشان فيروى وإن ماءها يزيل الضرورتين أى العطش والجوع فيغتنى به الجائع والعطشان إشارة إلى مافيه من الظاهر والباطن وأنه لاحاجة مع حصوله حالة كون هذا الشيخ منتهضا للهداية بصارم منه أى عقل كالصارم مشحوذ أودين كذلك أو حزم أو نحو ذلك أو بنفسه وهو الصارم على التجريد ومجمع أى قلب جامع لهما وهو نفسه على التجريد وفى ذكر مجمع البحرين التلويح إلى العوائد والفوائد كما فى قصة موسى والخضر عليهما السلام ووصف بحر الحقيقة بالعمق لخفائه وبحر الشريعة بالإزباد لظهوره وجعله فى ذلك كالسيف مغمدا ومجردا وهو فى الحالين عتاد وقال إنه يكسو الناس أى المريدين من الشف ومن الصفيق ويقوتهم من الصرفان إشارة إلى أنه يربى الناس

كلا بما يليق به من ظاهر وباطن وكلا بما يبلغه حاله من مبتدى ومتوسط وقدم فى الإسلام وقدم فى الإيمان وقدم فى الإحسان واستعار المشمل للظاهر والمجسد للباطن والآرى للحقيقة والرغبد للشريعة وهذا مشهور فى الاستعمال كأنه لمزيد الحلاوة فى العسل وقلته بالنسبة إلى الزبد والزبد لكثرته وكونه غذاء جمهور الناس ناسب الشريعة فان الشريعة بها تقوم العامة والخاصة وهذا بملاحظة ما اشتهر من إطلاق الحقيقة على الباطن الذى لامشرب فيه للعامة وإلا فالتحقيق أنهما متلازمان لاينفك أحدهما عن الآخر إلا أن الغفلة تعمى عن الحقيقة حتى كأنها لم تكن فافهم . ثم قال :

قُلْ لِلْمُقِلِّ مِنَ الدِّرايَةِ وَالتُّقَى ... أَلْمِمْ بِدَرْعَةَ لا أَبَالَكَ تُرْفَدِ
فَالْغَيْثُ يَنْجَعُهُ الْمُسِيمُ وَلَوْ نَأَى ... وَالفَضْلُ أَخْلَقُ بِاجْتِدَاءِ الْمُجْتَدِى
وَالدَّاءِ يُسْتَشْفَى لهُ وَأَضَرُّهُ ... أَدْوَاءِ قَلْبٍ عَنْ هُدَاهُ مُعَبَّدِ

ألم بالمكان زاره أومر به ورفده يرفده أعطاه وأعانه ونجع الغيث وانتجعه ذهب اليه والمسيم من يرعى ماشيته والجدى العطية واجتدى طلب ذلك وعبد البعير تعبيداً ذهب شاردا . يقول : قل لمن قل علمه وتقواه ادخل درعة يغنيك هذا الشيخ أو يغنيك الله على يده بالعلم والدين ولا يبعدن عنك فان من جاعت ماشيته يطلب الغيث وإن بعد والفضل أحق وأولى أن يطلبه الطالب وان بعد مكانه وكل من به داء فليس من الحزم أن يقعد عن الطبيب ويعرض عن أسباب الشفاء وأعظم الادواء وأقبحها داء قلب شارد عن هداه نفور عن مولاه فهو أحق أن يستشفى له بملاقاة أهل الله . ثم قال :

فَإِذَا خَلَصْتَ إِلَى ابْنِ نَاصِرٍ انْثَنَى ... حَدُّ النَّوائِبِ عَنْكَ غَيْرَ مُحَدَّدِ

وَنَظَرْنَ بالطَّرْفِ الحسيرِ خَواسِئاً … ورَمَيْنَ بالسَّهْمِ الكَسِيرِ المُصْرِدِ
وغَضَضْنَ غضَّةَ مُوجَلٍ أوْ مُخْجَلٍ … وعضَضْنَ عَضَّةَ مازِحٍ أوْ أدْرَدِ
ومَدَدْنَ كَفَّ مُسالِمٍ ولطالَمَا … أنْشَبْنَ مِخْلَبَ ثائِرٍ مُتَحَقِّدِ

خلص اليه بالفتح خلوصا وصل والحسير الكسير الكليل والكسير المكسور والمصرد المخطىء وغض بصره يغضه بالضم والموجل من الوجل وهو الخوف والمخجل من الخجل وهو الحياء وعض على يده أو أصبعه يعض بالفتح كمس يمس والمازح الذى لا يريد الإيلام فهو لاينشب أسنانه فى المعضوض والادرد الذى سقطت أسنانه وهو لايؤثر شيئا بالعض ولا يؤلم والثائر القائم بطلب الدم والمتحقد ذو الحقد . يقول : انك اذا وصلت الى هذا الشيخ نعمت وأمنت ريب الزمان وصولة الحدثان وذلك فيما يرجع الى غمرة الجهل وزيغ القلب وطغيان النفس والشيطان والشهوات والرعونات وهذا هو الخوف المرهوب المتشكى منه عندالمؤمن وحينئذ ينثنى عنك حدالنوائب كليلا لا يقطع فيك ونظرت اليك النوائب بالطرف الحسير الخاسىء لعلمها أنك وصلت الى معقل ورمتك بالسهم الكسير المخطىء فلم تصبك وغضت عنك أبصارها غض الخائف منك أو المستحى فلم ترعك وعضت عليك عض من لاينال منك اذاية لكونه لا يريدها أو لكونه لا أسنان له فلم تضرك بشىء ومدت اليك كف مسالم اذ لايبقى لها طاعية فيك وطالما أنشبت فيك قبل أن تصل الى هذا المحل مخالبها وهذه تمثيلات حاصلها استراحتك من كيد الشيطان والنفس بمشاهدة أنوارهذا الولى والاقتداء بأقواله وأفعاله . ثم قال :

وحَظِيتَ بالذُّخْرِ النَّفِيسِ المُنتَقَى … ورَتَعتَ فى أثرِ السَّوَارِى الجُوَّدِ
وعَلِقْتَ بالعِقْدِ الذى لمْ ينْفَصِمْ … وأخَذتَ بالطَّوْلِ المَتِينِ المُحْصَدِ

وأَوَيتَ لِلْكَهفِ المَنيعِ المُؤْتَوى      وسَنَدْتَ فى الجَبَلِ العَزيزِ المَسنَدِ
وَوكَلتَ سَرْحَ النَّفْسِ منكَ لِسائِسٍ      كافٍ إزاءٍ للسُّرُوحِ حَفَنْدَدِ
وشَكَوْتَ لِلْحَكمِ الذى يَشكيكَ مِنْ      إمْضاضِ خَصْمٍ مِنْ هواكَ يَلَندَدِ

حظى بكذا ظفر به والنفيس الرفيع والمنتقى المختار والسوارى جمع سارية وهى السحابة تمطر بالليل والجود جمع جائد وجائدة يقال جادهم الغيث اذا مطرهم وعلق بالشىء تعلق به والانفصام الانقطاع والطول كعنب الحبل يطال به للدابة فى المرعى والمتين القوى والمحصد المحكم الفتل وأوى اليه وائتوى فهو مؤتوى وسند فى الجبل وأسند صعد ووكل الامر اليه أسنده والسرح الماشية السارحة والسائس القائم بها وهو الكافى وهو الحفندد ويقال هو ازاء مال أى قائم به وشكوت فلانا الى الوالى فأشكانى منه أى آزال شكايتى وأنصفنى والممض المؤلم والخصم اليلندد الذى لايرجع الى الحق . يقول : انك متى بلغت الى هذا الشيخ ظفرت بالذخائر النفيسة من العلم والعمل والحال ورتعت الخصب من كثرة ما تنال وتعلقت بالعقدة الربانية التى لا تنحل وأخذت بالسبب والعهد الصحيح حتى انك بفضل الله لو انجر بك الهوى الى ما هو مذموم فسترجع الى الله وتنيب ببركته وأويت الى كهف العلم والدين الممتنع كل من يأوى اليه وصعدت فى جبل من جبال العلم عزيز كل من صعد اليه وجعلت نفسك فى يد من يؤدبها ويربها ويرعاها كما يرعى الحفندد دوابه وشكوت أمراض النفس وغلبة الهوى الى حكم فى النفوس باذن الله تعالى ينصفك ويعينك بتوفيق الله ومنته وهذه أيضا تمثيلات . ثم قال :

وغدَتْ رِكابُكَ ذاتَ عِرْقٍ مُصْحِراً      فَليَمَّنْ نَعْمانُ الهَوىٰ وَلْيَبْعُدِ
ونَزَلْتَ فى آلِ المُهَلَّبِ شاتِياً      ووَرَدْتَ وِرْدَ الجُودِ غيرِ مُذَوَّدِ

وَوَرَدْتَ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ زُلالَهُ     إذ كانَ غيرُكَ وَارِداً أَجْنَ الْمَدِي
وَأَتَيْتَ بَيْتَ الْعِلْمِ والعَمَلِ الرِّضَى     مِنْ بَابِهِ مُسْتَصْحِباً لِلْمِقْلَدِ
وَوَفَتْ لكَ الأيَّامُ بَعْـــدَ مِطَالِهَا     بِلِقَاءِ مِصْبَاحِ الزَّمانِ الأَوْحَدِ

عدا الشيء يعدوه جاوزه وذات عرق موضع معروف والمصحر الداخل فى الصحراء ورعد وبرق تهدد والمهلب هو ابن أبى صفرة الازدى والشاتى الداخل فى الشتاء ، وذاده وذوده طرده والماء الآجن المتغير الطعم والريح والمدى كغنى ماسال من الحوض من الماء لخبث والمقلد المفتاح والمطال والمماطلة ظاهر .
يقول : انك متى لقيت هذا الشيخ خرجت عن المخاوف كلها وصرت الى المأمن ولمح الى قول الشاعر :

اذا جاوزت من ذات عرق ثنية     فقل لأبى قابوس ماشئت فارعد

أى أنه كان يتخوف شر أبى قابوس وهو النعمان بن المنذر فأخبر أنه اذا جاوز ذات عرق وأوغل فى بلاد العرب أمن من شره فليرعد وليبرق ماشاء فلا يدله وكذا المريد متى لقى هذا الشيخ فقد أمن من نعمان الهوى ونزلت أيضا بمن لاتخاف فى جواره ضياعا ولا فقراً لان الزمان أو اشتد . ولمح أيضا الى قول الآخر :

نزلت على آل المهلب شاتيا     غريبا عن الاوطان فى زمن المحل
فما زال بى اكرامهم وافتقادهم     وبرهم حتى حسبتهم أهلى

ووردت أيضا ورد الجود والإحسان غير مطرود عنه وأتيت أيضا باب العلم والعمل المرضى شرعا من بابه الذى ينال منه والمفتاح فى يدك فلا مانع منه والكلام تمثيل ووفت لك الايام أيضا بلقاء الاوحد فى بابه ونسبة الوفاء أيضا الى الايام مجاز مشهور مستعمل عند العرب فاقتفى أثرهم المولدون توسعا وتفصحا من غير أن يعتقد أن اشىء حكما ولا أثرا دون الله تعالى الفاعل المختار ، ووجه التجوز الملابسة . ثم قال :

وإذَا اللَّيَالى أرْهَقَتْكَ مَعَاذَةً ... بِذَوى السِّيَادَةِ فَلْتَعُذْ بِالأَسْوَدِ
وإِذَا تُرِيدُ وَلاَءَ قَوْمٍ فَانْتَسِبْ ... مِنْهُمْ لِأَشْمَخِ ذُرْوَةٍ وَصَمَخْدَدِ

أرهقت فلانا أمرا ألزمته إياه والمعاذة التحصن يقال عاذه عوذا وعياذا ومعاذا ومعاذة وساد يسود سوددا وسيادة وهو أسود منه أشرف والولاء يكون بالعتق ويكون بالحلف وغير ذلك من المعانى وذروة الجبل معروفة والذروة من كل شيء أعلاه والشامخ العالى والصمخدد فى القوم الصميم منهم ، يقول : إذا احتجت الى الالتجاء إلى السـادات فالحزم أن تلتجيء إلى الأسود فيهم أى الأعلى سوددا وإذا احتجت إلى قوم فعليك بصميمهم وأرفعهم ، والمراد من البيتين أنك تختار الاتصال بهذا الشيخ عن كل شيخ ظهر فى وقته لأنه أكمل وأدخل فى القوم . ثم قال :

فَانْعَمْ بِعَيْشٍ لا يُطَارُ غُرَابُهُ ... وانْقَعْ بِهِ غُلَلَ الفُؤَادِ وَأَمْغِدِ
بِمَعَارِفٍ مِنْـهُ غِزَارٍ لَوْ غَدَتْ ... مَاءً لَكَانَ النِّيلُ مِنْهَا كَالمَدِى
وَلَوِ انْتَشَى مِنْهَـا رَذَاذٌ صَيِّفٌ ... فى الشَّأْزِ أَبْرَضَ يَوْمَ ذَاكَ بِلاَ كَدِ

يقال فى الموضع الخصيب أنه لايطير غرابه لظفره بما يريده ولا يطار غرابه أى لاتساع المكان وكثرة خيره ثم صار مثلا فى كل خير والغلل جمع غلة وهى العطش أوشدته وأمغد أكثر من الشراب ويقال مغد الفصيل أمه إذا رضعها وأمغدته والنيل بالكسر نيل مصر المعروف والمدى جدول صغير يسيل بالماء المهراق من البئر أوحوض لم تنصب حوله الحجارة والرذاذ ضعيف المطر والصيف النازل فى الصيف والشأز المكان الخشن وأبرضت الأرض اخضرت بالنبات وكدت الأرض كديا وكدوا أبطأ نباتها وقد وقع الفعل فى البيت مكسورا ولم يحضرنى الآن نصه فى اللغة فان

كان كذلك وإلا فليقرأ بلا كدى مصدرا أى بلا بطء ويجوز أن يكون من قولك كدى الرجل إذا بخل ذكره ابن القطاع . يقول : إن اتصلت بهذا الشيخ فانعم بعيش عجيب واسع واشف غلة فؤادك وأكثر من الشرب أو أروى نفسك كما تروى المرضعة ولدها وذلك بمعارف وعلوم غزار أى كثيرة من كثرتها أنها لو صارت ماء لكان بحر النيل إذا نسب اليها كالجدول الصغير ومن وفرة الانتفاع بها أنها لو كانت مطرا فنزلت منها مطرة ضعيفة زمان الصيف فى المكان الصلب الذى ليس من شـــأنه أن ينبت لأنبت من يومه ولم يتراخ وهـذا فى باب الحقيقة وفى المجاز وهو اعتبار القلوب يفهم مثل ذلك أيضا . ثم قال :

وَبِهِمَّةٍ تَذَرُ الحَضِيضَ وراءَهَا شَمَماً وتَسْمُو الاشَمَّ الأقْوَدِ
جرَّتْ على الفَلَكِ الذُّيُولَ وخيَّمَتْ فوْقَ النُّجُومِ الزُّهْرِ أعْلَى مَقْعَدِ

الهمة بالكسر فعلة من الهم بالشىء وهى قوة إرادة وتوجه بالقلب إلى مطلوب ما فان كانت عليا فهى همة عالية وإلا فسافلة . قال الشاعر :

إذا أعطشتك أكف اللئام كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى وهامة همتـــه فى الثريا
فان إراقة ماء الحيا ة دون إراقة ماء المحيا

وتذر تترك والحضيض أصله السافل فى الأرض ثم يطلق على كل سافل والشمم الارتفاع والسمو العلو والأقود الجبل الطويل وخيم بالمكان أقام فيه ، يقول : إنك تنتفع منه أيضا بهمة علية تركت كل سفساف من الأمور وساقط وراءها وتعالت إلى المعالى . وفى الحديث « إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفاسفها » ووصف هذه الهمة بأنها جرت ذيلها على الفلك فهو تحتها ونزلت فوق النجوم أعلى منزلة فهذا كله تمثيل والمراد ارتفاع الهمة عن الدنيا والآخرة . ويقال : الزهاد صيد الحق من الدنيا والعارفون صيد الحق من الآخرة . ثم قال :

وَخَلائِقٍ سُجُحٍ أَرَقَّ مِنَ النَّدَى وَأَلَذَّ مِنْ جِدَةِ الْمُعِيلِ الْمُرْمِدِ
وَسِعَتْ دِمَاثَتُهَا الأَنَامَ وَأَلْبَسَتْ ثَوْبَ التَّفَضُّلِ كُلَّ جَافٍ حَقْلَدِ
وَسَقَتْ قُلُوبَ الْخَلْقِ كَاسَاتِ الرِّضَى بِتَجَاوُزٍ وَتَعَطُّفٍ وَتَغَمُّدِ
حَتَّى أَعَادَتْ كُلَّ خِبٍّ كَاشِحٍ حِبًّا وَبَرًّا كُلَّ أَلْوَى أَلْوَدِ

الخلائق السجايا جمع خلقة والسجح بضمتين جمع سجيح والسجح السهل اللين والأولى أن يكون ما فى البيت جمع سجيح والندى معروف والجدة والوجد بالضم الغنى والمعيل ذو العيال والمرمد المفتقر والدماثة السهولة والحقلد السيء الخلق كزبرج والخب بالفتح والكسر الخداع والكاشح المضمر العداوة والحب المحب والبر المحسن المطيع والألوى الشديد الخصومة والألود الصعب لا يقبل الحق ولا ينقاد لأمر . يقول : إنك تنتفع منه أيضا بخلق حسن سهل أرق من الندى بلا جفاء ولا غلظ وألذ فى القلوب من إصابة المحتاج ذى العيال الكفاية ، وسعت هذه الأخلاق الناس تجملا وتفضلا حتى غطت على الجافى السيء الخلق فكيف بغيره وأرضت الناس بتجاوز عن إساءتهم وجفائهم وتعطف عليهم وتغمد لهم حتى أعادت باذن الله تعالى البغيض حبيبا والفاجر مطيعا وفى التنزيل ( ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ) وهذه أخلاق النبى ﷺ على الصفاء والكمال ويأخذ منها الوارث من أمته كهذا الشيخ ما قسم له . ثم قال :

أَخْلاَقِ هَشٍّ لِلْوُفُودِ حُلاَحِلٍ مُتَوَاطِيءِ الأَكْنَافِ لَيْسَ بِمِسْمَدِ
لَوْ رِئْتَه نَاجَتْكَ عَنْهُ لَوَائِحٌ صَادَفْتَ مَا تَهْوَى فَلاَ تَتَأَلَّدِ

عَيْنَ الْجَوادِ فُرَاره فَمَتَى رَأَى عَيْنَيْهِ مُعْرِبُهُ يُهِلُّ وَيَسْجُدِ
أَوْ رُعْتَه فَبَشِير بِشْرٍ قَائِلٌ لاَ بَأْسَ فَابْسِطْ مِنْ رَجَائِكَ وامْدد
أَوْ جِئْتَه وَافَتْكَ ضَمَّةُ وَالِدٍ حَانٍ رَفِيقٍ بِالْوَلِيدِ مُمَهِّدِ
وَيَظَلُّ يَرْعُدُ مِنْهُ هَيْبَةَ مَنْظَرٍ وَجَلاَلَةٍ قَلْبُ الْمَلِيكِ الأَصْيَدِ

الأخلاق جمع خلق وهو الخليقة المذكورة والهشاشة الارتياح والنشاط وهش فهو هش والجلاحل يقال للسيد الشجاع والقوى المروءة والمتواطىء المتسهل والمسمد المتكبر يقال سمد سمودا إذا رفع رأسه كبرا ويقال رآه وراءه مقلوباً والفعل مع التاء من الأول رأيته ومن الثانى رئته كبعته وهو الواقع فى البيت واللوائح ما يظهر من الدين والخير وحسن الخلق وتألد تحير والفرار بالضم فتح فم الفرس ليعلم ما سنه يقال فرفرا وفرارا وهو أيضا البحث عن الأمر والمعرب العارف بالخيل العراب وأهل صاح وراعه الشىء أفزعه ورعت منهم بضم التاء وكسرها أى راعنى ويجوز حذف الجار فتقول رعته والصيد ميل فى العنق كبرا ونحوه وصيد بالكسر فهو أصيد ويقال للملوك الصيد لأن شأنهم ذلك . يقول : هذه الأخلاق التى وصفنا فى هذا الشيخ هى أخلاق رجل هش أى مرتاح إلى الوفود وكل من يأتيه عظيم المروءة سهل الجانب متواضع متى رأيته عرفته وكأن لوائح وجهه وسمته وهديه الصالح تناجيك وتقول لك صادفت ما تريد فأقبل ولا تتحير ولا تشك وهذا كما أن الجواد من الخيل عينه فراره وهذا مثل سائر أى أنك متى رأيته عرفت عتقه ولم تحتج إلى تقليبه إن كنت عارفا بالخيل ولذا قال متى رآه المعرب يهل ويسجد أى يصيح من الفرح والتعجب ويسجد شكرا وتعظيما ومتى رأيته أيضا فداخلك روع من الهيبة التى ألقى الله عليه فان بشره يؤنسك ويبشرك حتى كأنه يناديك لا بأس عليك فابسط رجاءك وأمدده أى انو ماشئت

ففضل الله أوسع ومتى جئته لقيتك منه ضمة الوالد الحانى على ولده الرفيق به الممهد له حجره وهذا مع عظم ما عليه من الهيبة والوقار حتى أنه لو لقيه الملك الأصيد لظل يرعد منه من أجل هيبة منظره وجلالته وذلك سنة الله فى أوليائه إذا أظهرهم يكسوهم ملابس من جماله فيحبهم العباد ويألفونهم وملابس من جلاله فيهابونهم ويحترمونهم والله حكيم عليم . ثم قال :

وَعِظَاتِ ذِكْرٍ لَوْ غَدَتْ مَاءً غَدَتْ ... مَاءً بِعَارِضِهِنَّ صُمُّ الجَلْمَدِ
سُحُبٌ تُرَوِّي مِنْ بِحَارِ مَعَارِفٍ ... فَتَجُودُ أَقْطَارَ القُلُوبِ الجُهَّدِ
مِنْهَا عَلَى الجَفَلَى غَمَامٌ مُسْبِلٌ ... رَدِمٌ وَلِلنَّقَرَى حِظَاءُ مُعَوَّدِ
صَهْبَاءُ مَا مُزِجَتْ بِمَاءِ غَمَامَةٍ ... لَكِنْ بِمَاءِ مَحَاجِرٍ لَمْ تَجْمُدِ
إِيهٍ وَمَا طُبِخَتْ بِنَارٍ غَيْرِ مَا ... نَارِ الأَسَى وَحَرَارَةٍ لَمْ تَبْرُدِ

العظات الموعظة يقال وعظه وعظا وعظة وموعظة والجلمد والجلمود الأصم وجاده المطر يجوده كما مر والجهد جمع جاهد وهو من الجهد وهو المشقة ويقال جهد عيشه إذا ضاق والجفلى الدعوة العامة والنقرى الخاصة . قال طرفة :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى ... لاترى الآدب منا ينتقر

والردم السائل والحظاء جمع حظوة وهى المنزلة والمكانة من الرزق والتعويد أكل العوادة بضم العين وهى طعام يعاد على الرجل من طعام يخص به بعد ما يفرغ القوم والأسى الحزن . يقول : إنك أيضا تنتفع من هذا الشيخ بمواعظ تخشع بها النفوس وتلين القلوب حتى إنها لو صارت ماء ونزلت الصخور الصم لصارت ماء به وضرب مثلا لهذه أو لما يحصل منها من الذكرى بأنها سحائب تمتلىء من بحار المعارف

التى فى قلبه وهـذا كما يزعم العرب أن الغمائم ترتوى من البحر فتجود أقطار القلوب المجدبة المطشى من هذه المعارف وهذه السحائب على عامة المتوجهين النفع العام اللائق بهم وعلى الخواص زوائد وأسرار يختصون بهم تـكون عليهم بذلك حظوة ومكانة لاتـكون لغيرهم وهذا شأن التربية ثم وصف هذه المعارف أو مايحصل من المراد عن الموعظة بأنها صهباء أى خمر تنبسط لها أرواح أرباب القلوب مامزجت بماء الغمام وهذا ما تستحسن العرب مزجها به حتى قال الاعشى وقد قيل له ما ألذ الاشياء ، فقال : صهباء صافية تمزجها ساقية من ماء غادية ، ولـكن مزاجها ماء البكاء ودموع محاجر لم تجمد بل هى سخية بالدموع ويستعمل جمود العين فى بخلها بالدموع عند ما تراد وقد يستعمل فى عدم البـكاء مطلقا كقول الاعرابى .

ستبكى المخاض الجرب إن مات هيثم وكل البواكى غيرهن جمود

وهذه الصهباء أيضا ماطبخت بنار الانار الحزن والخوف من الله تعالى وحرارة ذلك فى القلب لاتبرد وقوله إيه بكسر الهمزة والهاء وتنون كما فى البيت كلمة استزادة الحديث . ثم قال :

كَرَمُ الخَلاَئِقِ عِيصُهَا والْعِلْمُ لاَ كَرْمُ الحَدَائِقِ وَانْتِبَاذُ الْعُنْجُدِ
وِدِنَانُهَا الْفِـكْرُ الصَّفِيُّ هُوَاؤُهَا لَمْ يُـكْسَ مِنْ صِرِّ الْهَوَى أَوْ يُصْخَدِ
والْـكَأْسُ قَوْلٌ فَيْصَلٌ فى رَاحَةٍ مِنْ مِقْوَلٍ صَوْبَ الصَّوَابِ مُعَوَّدِ
قَدْ صَانَهَا صَوْنَ النُّفُوسِ وَبَثَّهَا بَثَّ النَّفِيسِ لِأَهْلِهِ لاَ السُّمَّدِ
فإِذَا أَرَادَ كُؤُوسَهَا طَرِبَتْ لَهَا أَهْلُ النُّهَى طَرِبَ القَضِيبِ الأَمْلَدِ
وَأَصَاخَتِ الأَسْمَاعُ نُصْـتَةَ مُمْحِلٍ لِلرَّعْدِ وَالقِرْدِ العُـكَا لِمُقَرِّدِ

وتَمَنَّتِ الآذانُ لوْ كانَتْ مَعًا قَلْبًا فَتَسْمَعُ مِثْلَهُ بالمُسْعِدِ
وتَمَنَّتِ الأعضاء لَوْ كانَتْ مَعًا أُذُنًا ولَوْلاَ فَوْزُها لَمْ تَحْسُدِ

الكرم بفتح الراء الشرف والعيص الأصل والكرم بسكون الراء شجر العنب والحدائق جمع حديقة وهى المحوطة والعنجد العنقود والدنان جمع دن بالفتح وهو الوعاء يجعل فيه والصر البرد والصخد الحرارة والمقول اللسان وصوب الصواب جهته والمعود بفتح الواو المشددة المؤلف تقول عودته الشيء فاعتاده والسمد جمع سامد وهو المتكبر كامر وأصاخ اليه استمع وانصت سكت ويقال ايضا نصت والاسم النصتة بالضم والمحل المجدب والقرد بالكسر البعير يلصق به القراد والعكاجمع عكوة وهى هنا أصل الذنب وقرد البعير تقريدا أزال ما عليه من القراد . يقول : إن هذه الخمرة الموصوفة إنما تعتصر من الأخلاق الكريمة والعلم فلذلك عيصها أى أصلها لا من الكروم وانتباذ العناقيد والدنان التى تجتمع فيها هى الأفكار الصافية التى لم يفسد هواؤها بصر البلادة والجمود ولا بحرارة الطيش والجحود والكأس التى تدار فيها هذه الخمرة على الشاربين هى القول الفيصل أى المفصول الذى يتبينه منه من يخاطب به أو الفاصل بين الحقائق وبين الحق والباطل الصادر من لسان عوده صاحبه الصواب قد صان هذه الخمرة صاحبها فلم يبتذلها لمن ليس من أهلها كما يصون نفسه التى هى أعز الأشياء عليه وبثها بث الشيء النفيس أى الرفيع لأهله أى للمستحقين له وهم الصادقون فى توجههم المذعنون للحق المتأدبون بين يدى أهله لا السمد أى المتكبرون قال تعالى ( سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ) فاذا أدار كؤسها على السامعين وقت التعليم والوعظ والتذكير طرب لها أهل النهى أى العقول واهتزوا اهتزازا القضيب الأملد أى الناعم وقت هبوب الريح وأصاخت لها أسماعهم اصاخة المستبشر العطشان أو كالذى اجدبت مراعيه إذا سمع صوت الرعد فلا شيء ألذ منه عنده وفى هذا تلميح الى قول الشاعر :

وحديثها كالرعد يسمعه راعى سنين تتابعت جدبا

فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويقول من فرح أيا ربا

وتسكون أيضا فى سكونها وهدوها كالبعير الذى تمتلىء عكاه بالقراد لمن يزيل عنه ذلك وفيه يقول العرب فى وصف القوم بالهدو والسكون وكأن على رؤوسهم الطير ، وذلك أن الغراب ينزل على البعير فيلتقط ما عليه من القراد فيسكن لذلك ولا يتحرك منه عضو أصلا وحينئذ أديرت تلك الصهباء تتمنى الآذان لوكانت قلوبا لتكون أوعية لها فتسعد بها وذلك أن الآذان إنما هى واسطة والقلب هو الشارب ولكن للأذن مع ذلك فضيلة التوسط لاسيما على مذهبنا من أن الحواس مدركة فتتمنى باقى الأعضاء أن لوكانت أذنا فتفوز بهذه الفضيلة ولولا فوز الأذن ماغبطتها الاعضاء وقد استوفى ماللشيخ من معرفة وهمة وخلق وحسن تلقين و تعليم و تذكير وماله من المدد والنور والفتح . ثم قال :

وَاسْمَعْ أُخَيَّ هُدِيتَ قَوْلَةَ نَاصِحٍ إِنَّ العُـــلاَ لاَ تَنْبَغِى لِمُسَخَّدِ

وَهَيُوبَةٍ لَصِبٍ هِـــدَاءٍ مَائِقٍ تَعْيَا مَذَاهِبُهُ عَلَيْهِ بِخَضْدِ

وَجَلَنْدَدٍ زَمِرِ الْمُرُوءَةِ لاَمِحٍ عِطْفَيْهِ أَلْوَذَ خَائِلٍ مُتَفَيِّـــدِ

أخى مصغر اخ للتقريب وهو منادى أى ياأخى والمسخد الثقيل الروح من كثرة الأكل والهيوبة الجبان والصب كفرح البخيل العسر الأخلاق والهداء بالكسر الضعيف البليد والمائق الأحمق وأعييت على فلان مذاهبه أى طرقه فلم يهتد بحيله ولاسبب والخضد الاكول والجلندد الفاجر وزمر المروءة أى غافلها واللامح عطفية المعجب بنفسه ينظر فى عطفيه أى جانبيه والالوذ تقدم والخائل المختال عجبا وتيها والمتفيد المتحير . يقول . ألمم بدرعة ولازم الشيخ إن كانت لك همة فى المعالى واسمع

يا أخى هداك الله الى الحق قولة ناصح لك . وبين ذلك بقوله إن العلا لا تنبغى لمن اتصف بشيء من هذه الأوصاف وهى دائرة بين كون الإنسان ساقط الهمة منهمكا فى شهوة بطنه كالمخضد والمسخد وكونه عسر النفس سيء الخلق كاللصب والزمر المروءة والجلند وكونه قليل العقل ضعيف المز كالهداء والمائق ومن تعيا عليه مذاهبه وكونه معجبا بنفسه وذلك ايضا من ضعف المز كالخائل والمتفيد واللامح عطفيه وكونه ضعيف النفس هيوبا وهى كلها علل فى الانسان تعوقه عن الخيرات غير أنها قابلة للعلاج بالرياضات والنفحات الربانيه أما ضعف المز الخلق فصعب الزوال وقلة التجريب تداوى فليس المراد من الابيات أن كل من آنس من نفسه هذه الاوصاف أو شيئا منها ييأس من الخير فلا يطلبه بل المراد أنه مادام متصفا بها فلا ينال ، فان كانت له همة أو خلقت له إرادة فى الخير فليجاهد نفسه حتى يتخلى عنها (وما ذلك على الله بعزيز) وإنما على العبد تعاطى الاسباب وعلى الرب فضلا منه فتح الباب . ثم قال :

قَمِنٌ بِهَا ابنُ سُرًى أَرِيبٌ حُوَّلٌ     خَمِصُ الحَشَا حرَّانُ مطْلَع أَنْجُدِ

نَهِضٌ عَلَى العِلاّتِ بالـبَزْلاء فِى     سُودِ الخُطُوبِ وفَارِجُ المُتَجَلِّدِ

لاَ يَسْتَرِيحُ إلى الدَّعَاةِ ولا يَرَى     نَحْبُ الفَتَى اليَوْمِىُّ يقضيهِ الغَدِ

القمن بالشيء الخليق به وابن السرى الذى لا يؤوده سرى الليل فى مأربه فيألفه حتى كأنه ابنه كما قيل ابن السبيل والأريب العاقل والحول بضم الحاء وتشديد الواو الفطن القادر على التحول فى الامور من وجه الى وجه والخمص الحشا الجائع والحران من الحرارة وهى العطش ويستعمل حقيقة ومجازا كما هنا والمطلع الكثير الطلوع والأنجد جمع نجد وهو ما ارتفع من الارض يقال فلان طلاع أنجد وطلاع ثنايا إذا كان يتعاطى الامور العظام ويدركها والنهض الكثير النهوض والعلات بالكسر الحاجات والضرورات . قال زهير :

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ ـكن الجواد على علاته هرم

أي يجود على حال الشدة والضعف ولا يمنعه ذلك من الجود والبزلاء الداهية العظيمة ويقال أيضا الرأى الجيد ويقال فلان نهاض ببزلاء أى قائم بالامور العظام وسود الخطوب الشدائد التى لا يهتدى فيها لحيلة وتعجلد الامر عظم واشتد والدعة الخفض واتساع العيش والنحب الحاجة والنذر أيضا والغدى البيت أصله الغدى بياء النسب يقال فى النسب الى الغد غدوى وغدى كما فى البيت. يقول : إن العلى من اتصف بهذه الاوصاف هو الخليق بها مع العناية السابقة فقوله قمن خبر مقدم وابن سرى وما بعده المبتدا وهى أيضا دائرة بين ارتفاع الهمة والقوة والفطنة وترك الراحات والشهوات وذلك من ارتفاع الهمة مع الحزم فقوله لا يرى نحب الفتى اليومى وفى نسخة الامسى يقضيه الغد أى لا يسوف أموره فيرى أن الحاجه تطلب اليوم ستقضى فى الغد بل يبادر بها اليوم فان آفة العمل التسويف وهذا مما أجمع عليه الناس كافة أهل الدنيا وأهل الحقائق ومن ثم يقولون الفقير ابن وقته أى كل وقت حضره يجتهد فى ان يقيم فيه ما وجب فيه ولا يلتفت الى وقت ثان وهذا فى كل وقت معروف يليه والتعبير بالايام فى البيت توسع والنسختان بمعنى لأن الامر اذا اعتبر فى الوقت الحاضر فاليوم الذى بعده غد وإذا اعتبر فى الغد فاليوم الذى قبله أمس له . ثم قال :

وَالمَجْد لَيْسَ بِقَرْقَرٍ بلْ فى ذُرَى ... نِيفٍ يَفُوتُ مَدَى الصُّقُورِ الصُّيَّدِ
وَالمُلْكَ خلْتَ وَرَاءَ غِشْيَانِ الظُّبا ... وقَنًى بأَيْمَانِ الْكُمَاةِ مُقَصَّدِ
وصَوَاهِلٍ وهَوَاجِلٍ وَجَحَافِلٍ ... وَمَحَافِلٍ وتَهَدُّدٍ وتَوَعُّدِ

المجد الشرف والعلو ، والقرقر المطمئن من الارض والنيف أرفع موضع فى الجبل والصقور جمع صقر من الطير معروف والظبا جمع ظبة وهى حد السيف والمقصد

المكسر من القنا والصواهل الخيل والهواجل الإبل والجحافل الجيوش والمحافل جموع الناس . يقول : المجد ليس مطروحا فى قرقر من أراده أخذه كلا وإنما هو فوق أعالى الجبال التى لا تبلغ اليها الصقور إذا خفقت مع أنها تبعد فى الجو كثيرا والملك أيضا فى العادة تراه أيها العاقل إنما يحصل بعد غشيان السيوف والرماح وإعمال الخيل والإبل والاحتياج إلى العساكر والمجامع ووقوع التهدد على الأعداء وعلى كل من عصى والتوعد بالعقوبة أو غشيان خيل الأعداء وركابهم وجحافلهم ومقاساة تهددهم وتوعدهم فكذلك الملك الذى أنت فى طلبه أيها المريد لابد لك فيه من مقاساة مثل ذلك أو أكثر فان ملكه أعز وأقوى وأبق ، والله الموفق للصواب . ثم قال :

وَالْحَزْمُ سَيْفٌ لَيْسَ يَنْبُو مَضْرِباً ... وَمَطِيَّةٌ أَبَداً بِرَحْلِكَ تَخْتَدِ

وَالْفِعْلُ مِصْدَاقُ اللِّسَانِ وَإِنَّمَا ... قَوْلٌ بِلاَ عَمَلٍ هُذَاءُ مُزَنَّدِ

وَلَرُبَّ خَالِقِ جِنْبَةٍ لَمْ يَفْرِهَا ... وَمُهَدِّرٍ فِى عُنَّةٍ لَمْ يَهْدِ

الحزم ضبط الأمر والأخذ فيه بالقوة ونبا السيف عن الضربة لم يقطع وخدت الناقة تخد أسرعت فى مشيها ومصداق الشىء ما يصدقه والهذاء بالضم والذال المعجمة الكلام لاحاصل له يصدر من مريض أو مجنون يقال هذا يهذى هذيا وهذيانا ويهذو إذا تكلم وزند تزنيدا كذب والجنبة جلد البعير إذا أريد قطعه قدر قبل القطع على أى وجه يقطع فذلك التقدير هو الخلق ثم يفريه أى يقطعه فان قدره ثم لم يقطعه قيل خلق ولم يفر وضرب مثلا فيمن يهم بالأمر ولا يمضيه . قال زهير :

ولأنت تفرى ما خلقت وبعض الـ ... ـقوم يخلق ثم لا يفرى

والعنة الحظيرة من خشب وقد يكون فيها الجمل فيهدر ولا يجد مخرجا فضرب أيضا مثلا لمن يهدد ولا يبطش فيقال : كالمهدر فى العنة . قال الوليد بن عقبة .

قطعت الدهر بالجمل المعنى     تهدر فى دمشق فلا يريح

ونهد إلى الشيء نهض إليه : يقول إن الحزم سيف لا ينبو ومطية لا تكبو والفعل مصداق القول فمن يقول ولا يفعل إنما هو كالمجنون أو الكذاب ينطق بما لا حاصل له وربما هم الإنسان بالأمر ولم يأته والشأن فى الفعل ويكفى فى هذا قوله تعالى (لم تقولون مالا تفعلون ؟) . ثم قال :

وَأَضَرُّ شَيْءٍ لِلْفَتَى جِدَةُ الْغِنَى     وَفَرَاغُ أَيْدٍ فِى الشَّبَابِ السَّخْوَدِ

وَنَسِيئَةُ السَّعْيِ السَّدِيدِ إِلَى مَدًى     أَوْ لِلْفَرَاغِ أَوِ الْبَنَانِ الْكَوْهَدِ

مَنْ يُعْيِهِ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَيَهْتَدِي     جَلْدًا فَقَدْ عَزَّا عَلَيْهِ إِذَا هَدِ

الجدة الغنى كما مر والإضافة للبيان والشباب السخود الناعم والنسيئة التأخير والبنان الأصابع والكوهد المرتعش من الكبر وهدىء بالكسر والهمز ويخفف هنى من الكبر . يقول . أضر شيء الانسان فى دينه بل وفى دنياه أيضا اجتماع الغنى والشباب والفراغ وهو قول الراجز

علمت يامساعد بن مسعده     أن الشباب والفراغ والجده

مفسدة للمرء أى مفسده

ومن الضرر تسويف العمل الصالح والسعى النافع إما إلى زمان مستقبل وإما إلى التفرغ وإما إلى الكبر فان عجز عن السعى الصالح وهو جلد أى قوى فكيف يقدر عليه حين يضعف وينحنى كما قيل .

إذا المرء أعيته السيادة ناشئا     فادراكها كهلا عليه عسير

ولذا قيل . سيروا إلى الله عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة ، والإنسان فى بلاء حين تقوى عليه النفس وحين يضعف تضعف والأمر كله بيد الله من كان له راحما يفوز . ثم قال .

وَشَبَا الهَوَى مَسْنُونَةٌ مَسْمُومَةٌ ... مَنْ تَعْتَلِقْهُ يضْنَ إنْ لمْ يُقْصَدِ

دَاءٌ دَوِىٌّ مَا أَبَلَّ سَـــقِيمَهُ ... إنْ لَمْ يُسَاعَدْ بالطَّبِيبِ المُسْعِدِ

يَاوَيْحَ ذِى بَالٍ وبِيلٍ مُعْرِضٍ ... لِسِهامِهِ مِنْ كلِّ سَهْمٍ مُقْصِدِ

تُدْوِى الفُؤَادَ فَلاَ تُداوى ماجَنَتْ ... فيهِ وتُصْمِى ذَا الفُؤَادِ فلا تَدِى

الشبا جمع شباة كامر والمسنونة المحدودة والمسمومة المسقية بالسم واعتلقته أصابته وضنى بالكسر ضنا مرض مرضا ملازما كلما ظن البرء انتكس ورماه فأقصده قتله مكانه والداء الدوى مبالغة كما يقال ليلة ليلاء ويوم أيوم وأبل المريض ابلالا أفاق من مرضه والوبيل الوخيم والمعرض الممكن يقال أعرض الصيد إذا أمكن الرمى ومن ثم يحبون السانح الذى يأتى من جهة اليسار فيتمكن منه الرامى وأقصد السهم أصاب فقتل مكانه ودوى بالكسر دوى مرض وأدواه أمرضه وأدواه عالجه وأصماه رماه فقتله مكانه ووداه يديه أعطى ديته . يقول . إن شهوات الهوى المسددة إلى قلوب العباد مسنونة لا تنبو ومسمومة مع ذلك لا يكاد يسلم من إصابتها إلا أن يعافيه الله تعالى ولذا قال من تعتلقه فان لم تقتله مكانه بوقوع الزيغ إما من الإسلام إلى الكفر أو من الطاعة إلى المعصية أو من الحضور إلى الغفلة عياذا بالله تعالى فلا بد أن تمرضه حتى يبقى مذبذبا كلما قام سقط وكلما أقبل أدبر وذلك داء دوى ما ينقذ المريض به ان لم يساعد بالطبيب المسعد وهو الشيخ الكامل والطبيب بالحقيقة هو الفاعل المختار فاذا أراد أن يشفى عبده شفاه إما كفاحا وهو نادر وإما على يد ولى من أوليائه والله على كل شىء قدير ، ياويح ذى بال أى خاطر وبيل أى وخيم من الهوى والشهوة معرض أى منتصب لسهامه المقصدة القتالة تدوى أى تمرض هذه السهام فؤاد من ابتلى بها فلا تداوى ماجنت فيه من المرض وتصمى صاحبه بالزيغ والضلال فلا تعطى فيه دية . ثم قال

وَالعَقْلُ تَكْنُفُهُ الجَهَالَةُ والعَمَى ... أَبَدًا لَقِيطٌ ظَلَّ غَيْرَ مُسَرْهَدِ
وَحَوَالِكُ الأَوْهَامِ لَيْسَ بِقَائِدٍ ... فِيهَا سِوَى قَبَسِ النُّهَى المُتَوَقِّدِ
والمَرْءُ يَجْهَلُ ثُمَّ يَجْهَـــلُ أَنَّهُ ... ذُو الجَهْلِ فِي أَسْرِ الضَّلَالِ وَمَا فُدِى
وَإِذَا تَظَنَّى فِى الوِهَادِ بِأَنَّهُ ... فَوْقَ المَصَادِ فَذَاكَ جِدُّ مُرَهَّدِ
ذَاكَ الدَّوَا عَزَّ الدوَاءُ لَهُ وَمَا ... كُلُّ المُدَاوِينَ الدَّوَى بِالمِعْضَدِ

اللقيط صبى يوجد بمضيعة وسرهد الصبى أحسن غذاءه وظن الشيء وتظننه ثم تقلب النون الاخيرة ياء فيقال تظناه كما يقال رباه ودساه واصله ربيه ودسسه والوهاد جمع وهدة كما مر والمصاد بالفتح أعلى الجبل ورهد ترهيدا أتى بالحماقة العظيمة ويقال هو كريم جد كريم بالكسر وعالم جد عالم أى بالغ النهاية فى وصفه . قال قطرى :

لعمرك إنى يوم الطم وجهها ... على نائبات الدهر جد لئيم

والدوى بالقصر الاحمق كما مر والدواء ما يعالج وعضد المرض وغيره قطعه يقول. إن العقل إذا أحاطت به الجهالة والعمى أبدا ولم يكن من يربيه بالعلم والتجارب يكون بمثابة الطفل اللقيط لا يجد من يغذوه ويحسن غذاءه وإنما قال ذلك لأن غذاء العقل إنما هو العلم كما أن غذاء الجسم الطعام وكما يضيع هذا أو يفسد بعدم الغذاء فساده كذلك الآخر والاوهام الحوالك أى السود الشديدة السواد لا يقود الإنسان فيها إلا قبس العقل المتوقد من قوة الذكاء والفطنة وإذا ظن الإنسان وهو فى الحضيض من الجهل والتقليد والقصور أنه فوق الجبال العالية فهما وعلما وكمالا فذلك الأحمق البالغ النهاية فى الحمق واذا جهل وجهل أنه جاهل فهو فى ضلال لا مخلص له منه لأن صاحب الجهل البسيط قابل للتعليم طالب له لإحساسه بالحاجة وهذا لا يطلبه إذ لم يحس به فلا مخرج له منه إلا أن يأتيه وهب من الله تعالى والذى يظن بنفسه مالم تبلغه هو

الدو الأحمق لادواء لحمقه كما قلت وما كل المداوين الدواء أى المرض بالعضد أى الحاسمين له من البدن فما كل داء يعالجه الطبيب . ثم قال :

وَالطَّبْعُ أَمْلَكُ وَالصَّنَائِعُ فِى الفَتَى ۝ خُلُقٌ وَنُوَّرٌ عَنْهُ إِنْ لَمْ تَتْلُدِ
وَالحَقْلُ مَأْوَى البَقْلِ وَالحَبُّ الذِى ۝ يُمْتَارُ لَيْسَ بِفَدْفَدٍ مُعْلَنْدِدِ
وَالأَرْىُ لَيسَ مُجَاجَ كُلِّ أَذِبَّةٍ ۝ وَالزُّبْدُ لَيسَ خَلَاصَ كُلِّ مُزَبَّدِ

الصنائع جمع صنيعة وهى الإحسان وما يفعله الإنسان من الخير والخلق ماجبل عليه الإنسان والنور جمع نوار يقال امرأة نوار أى نفور عن الريبة وتلد المال يتلد تلودا إذا كان أصيلا بولادة أو إرث والحقلة الأرض الطيبة للنبات . وفى أمثال العرب : لا ينبت البقلة إلا الحقلة ، يضرب لكون الشىء لايوجد إلا فى محله كما قيل .

لا يوجد الخير إلا فى معادنه ۝ والشرحيث طلبت الشر موجود

وقال زهير :

وهل ينبت الخطى إلا وشيجة ۝ وتغرس إلا فى منابتها النخل

والفدفد المكان الصلب الغليظ والمعلندد الذى لاماء فيه ولا كلأ والمجاج بالضم الريق ترميه من فيك والعسل ويقال مجاج النحل والأذبة جمع ذباب وجمعه فى الكثرة ذبان كما قيل :

عصافير وذبان ودود ۝ وأجراس مجلجلة الذئاب

والزبد معروف والخلاص من الشىء بالكسر ما يستصفى منه وزبد السقاء مخضه ليخرج زبده ويضعف كما قيل فى البيت . يقول . إن طبع الإنسان أملك له وأغلب عليه وهو أجرى اليه بأدنى سبب وما يحمل عليه نفسه من الأوصاف التى لم يطبع عليها شاق عليه وبأدنى شىء يزول عنه ويرجع إلى طبعه كما قيل ، ويغلبه على النفس خيمها وصنائع الإحسان فى الإنسان إنما يمتد بها وتثبت له إذا

كانت خلقا أى مطبوعا عليه تالدة وإلا فهى عنه نور أى توافر وهذا كما أن البقل إنما ينبت فى الحقل ولا ينبت فى الجرز والحب الذى يمتار أى يجلب للقوت لا ينبت فى الفدفد وإنما ينبت فى مزارعة والعسل ليس مجاج كل ذباب وإنما هو مجاج النحل خاصة والزبد ليس خارجا من كل سقاء إلا سقاء اللبن فقط فهذه أمثال حاصلها أن الناس معادن كما فى الحديث وأشجار لكل شجر ثمر لا يكون للآخر. قال الشاعر :

أرى كل عود نابت فى أرومة     أبى منبت العيدان أن يتغيرا

وهذا هو الصفو الغنى عن الكلفة وأما استحداث طبع فلا بد فيه من معاناة شاقة ومع ذلك لابد من ذلك فى الأغلب لأن الإنسان يجبل على أخلاق حسنة ضعيفة فتفتقر إلى تربية وتنمية حتى تقوى ولذا كان فى الحديث « إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم » وعلى أخلاق سيئة فيفتقر إلى رياضة تكسر بها فورتها فالتربية والرياضة لها أثر فى تغيير الخلق تقوية وتضعيفا لا إنشاء أو إعداما رأسا إلا أن يشاء الله . ثم قال :

فَالمَشْرِفِيُّ الهُنْدُوانِي إنْ صَدِى     يُجْلَى وَيُشْحَذُ مَتْنُهُ بِمُحَدِّدِ
وَلَرُبَّمَا سُنَّ الكَهَامُ بِمَوْطِنٍ     إنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مَتْنِهِ مِنْ عُنْدُدِ
يُلْجِى إلى مُخِّ العَرَاقِيبِ الطَّوى     وَيُجِيء فَقَدُ العِدِّ لِلْمُتَثَمِّدِ

المشرفى السيف ينسب إلى مشارف اليمن والهندوانى نسبة إلى الهند وصدى السيف تقدم وجلاه يجلوه صقله وشحذه حدده والكهام السيف غير الصارم ويقال مالى عنه عندد أى بد وألجاه إلى كذا أجاءه اليه واضطره والطوى الجوع والماء العد بالكسر الثابت الذى له مادة والثمد القليل واستثمده اتخذه . يقول : إن السيف الهندوانى وهو الجيد هو الذى يتخذ وان عرض لمتنه صدى صقل أو كاول شحذ ولا مشقة فى ذلك لأن الجودة فيه أصلية والعارض سهل الزوال وكذلك الرجل الكريم الطبع

تأديبه سهل وربما سن السيف الكهام إن لم يكن عنه بد فيقضى حاجة وإن لم يبلغ مبلغ الصارم وهذا كما يضطر الإنسان أحيانا إلى انتقاء العراقيب طلبا لمخها وإن كان قليل الجدوى والعرب يقولون فى هذا : شر أجاءه إلى مخة عرقوب ، أى ما أجاءه إلى مخ العرقوب إلا الشر وهو الضرورة وكذا يضطر إلى ورود الثماد مع قلة غنائه لفقد العد فكذا الإنسان إذا لم يكرم طبعه فليتكلف الخلق المحمود ومن لم يجد كريما فليقتن بمتكرم . ثم قال .

فَابْغِ العُـــلاَ بِتَعَمُّلٍ وتَخَلُّقٍ   إنْ لَمْ تَفُزْ مِنْ نَيْلِها بِمُتَلَّدِ
وإذَا تَبِينُ لكَ المَعَالِمُ فاخْتَدِمْ   وَاذَا تَحَارُ فإِثْرَ عَالِمِها اخْتَدِ

التعمل تكلف العمل والتخلق تعاطى الخلق كما مر والمتلد القديم المؤصل كما مر ومعالم الشىء آثاره وما يعلم به وخدم واختدم بمعنى وحار يحار حيرة لم يهتد وخدا يخدى واختدى أسرع . يقول ابغ العلا أى اطلبها بتكلف ومجاهدة نفس متعاصية أمارة بالسوء وخلق كريه خسيس إن لم ترزق نفسا مطمئنة وخلقا محمودا ولا تترك نفسك ضائعا إن لم تكن إبل فمعزى ( فان لم يصبها وابل فطل ) واذا ظهرت لك معالم الحق فاختدم أى اجتهد فى اكتسابه عملا وعلما وحالا أو اخدم من يدلك عليه ويقودك اليه وإذا حرت ولم تكن لك بصيرة فقلد أهل الحق واتبعهم مسرعا . ثم قال

وَذَوُ البَصَائِرِ فى الحَيَاةِ وإنْ فَنَوْا   والغُمْرُ مَفْقُودٌ وإنْ لمْ يُفْقَدِ

البصيرة ناظر العقل كما أن البصر ناظر العين وذو والبصائر فى الدين هم العلماء العارفون وفى الدنيا هم الفطناء أهل التجاريب والغمر هو من لا تجربة له . يقول ان أهل العلم باقون وان ماتوا ببقاء ذكرهم وكلامهم وأتباعهم ومآثرهم وأهل الجهل وان لم يزالوا

فى قيد الحياة فى حكم الموتى اذ لاغناء لهم ولا ذكر ولا مأثرة . ومثل هذا قول القائل :

أخو العلم حى خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يعد من الأحياء وهو عديم

وهذا المعنى كثير والقصد به مدح العلم والاكباب اليه . ثم قال

وَالعِلْمُ بَدْءًا لَيْسَ أَرْياً سَيِّغاً ... لَـكِنْ جُنَاةُ الْحَنْظَلِ الْمُتَهَبِّدِ
عِلْقٌ نَفِيسٌ لا يُعَارُ وَنَائِرٌ ... مُتَـأَبِّدٌ عَنْ كُلِّ فَدْمٍ أَوْغَدِ
لَمْ يُصْمِهِ سَهْمٌ وَلَمْ يَبْـتَزَّهُ ... بَازٌ وَلَمْ يُصْرَعْ بِرَمْيَةِ مِقْلَدِ
لَـكِنْ بِأَشْرَاكِ الْحُـلُومِ وَهِمَّةٍ ... نَفَّاذَةِ الأغْرَاضِ فَلْيُتَصَيَّدِ
وَجَوَادِ فِـكْرٍ تَمْتَطِيهِ مُؤَوِّبٍ ... أَبَداً بِأَقْطَارِ الْمَدَارِكِ مُسْئِدِ
قَيْدِ الأوَابِدِ لا يَزَالُ على الْوَنَى ... فى كُلِّ مُعْوِصَةٍ يَرُوحُ وَيَغْتَدِى
مِنْ بَعْدِ نَزْعِ الرُّوحِ فى استِعطَائِهِ ... وَمَذَاقِ صَبْرٍ لِلْحَوَايَا مُصْخِدِ
وَتَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ وَتَصَـبُّرٍ ... وَتَضَرُّرٍ وَتَقَشُّفٍ وَتَمَعْدُدِ
وَتَوَسُّلٍ وَتَوَصُّـلٍ وَتَحَوُّلٍ ... وَتَغَرُّبٍ وَتَفَرُّدٍ وَتَهَجُّـدِ
فَوَرَاءَ وَخْزِ النَّحْلِ شَوْرُ شِهَادِهِ ... وَوَرَاءَ شَوْكِ النَّحْلِ نَيْلُ العُرْجُدِ
وَأَمَامَ أَصْدَافِ الَّـلآلِى غَوْصَةٌ ... فى اللُّجِّ وَالتِّرْيَاقُ سُمُّ الأسْوَدِ
وَالصَّقْرُ يَقْتَطِمُ الطَّرِيدَةَ لاَ الأَلَى ... وَاللَّيْثُ يَغْشَى السَّرْحَ دُونَ الصَّفْرَدِ

الآرى العسل كما مر والسيغ السائغ فى الحلق والجناة والجنى ما يجنى من الثمرة والحنظل معروف هو الهبد وقيل الهبد حبته وهبده كسره وطبخه فهو متهبد والعلق بالكسر النفيس من كل شىء فوصفه بالنفيس تركيدا وكشفا ، قال الحماسى :

أبيت اللعن إن سكاب علق　　نفيس لايعار ولا يباع

ونارت الظبية تنور نفرت وتأبد الوحش نفر والفدم البعيد الفهم والوغد الأحمق الضعيف يقال وغد بالضم وغادة فهو وغد وفلان أوغد من فلان وكثيرا مايراد بأفعل معنى فاعل كما عرف وبزه وابتزه سلبه والبازى جمعه بزاة وقد يقال باز غير منقوص وجمعه ابواز فيجوز كسر الزاى وضمها وصرعه صرعا ألقاه على الأرض والمقلد عصا فى رأسها اعوجاج والغرض القرطاس ينصب ليرمى ونفذه السهم خرج منه والتأويب سير النهار كله والإسناد قيل هو الاسراع فى السير وقيل سير الليل جميعا وقيل الجمع بينهما وفرس قيد الأوابد وهى الوحش أى دراك للوحش فكأنه قيدله الونى بالقصر التعب يقال ونى ينى ونيا وونا والمعوص الامر الشديد والمشكل لايدرك والاستعطاء الطلب والمذاق الذوق والصبر تخفيف للصبر ككبد وهو المر المعروف والحوايا الأمعاء والمصخد المحرق يقال صخدته الشمس إذا أحرقته والتمعدد التشبه بمعد وهى العرب فى طعامها ولباسها الخشن والتهجد ترك الهجود وهو النوم ووخز النحلة الطعن بابرتها وشار العسل شورا واشتاره استخرجه والشهاد جمع شهد والعرجد العرجون والصدف مايستكن فيه الجوهر فى البحر والترياق بالكسر دواء معروف مركب يدخل فيه لحوم الأفاعى والأسود الحية العظيمة والطريدة الوحشية يطردها الصيادون أو الجوارح وانتظمها الصقر أنشب فيها مخالبه كالانتظام بالرمح والألى كالفتى الثور الوحشى أو البقرة والليث الأسد وغشى السرح هجم عليه والسرح الماشية والصفرد طائر جبان ينفى بأدنى صوت يقال له أبو المليح . يقول ان العلم بدءا أى عند ابتداء طلبه ليس أمرا هينا حلوا كالعسل تأكله وإنما هو بمنزلة الحنظل تطبخه وتأكله لعـوبته على الفم ومرارة العكوف عليه على النفس ثم وصف العلم بانه

علق نفيس لا يباع أى لا يسخى به أصلا ولا يباع بشيء أى لا يوجد ما يقاومه وما يماثله وهو نفور متوحش من الحمق ومن لا فهم له وهو صيد لأهل العقول ولكن لا يطعن فيه بأن يرمى بسهم فيقتله أو يرسل عليه باز فيأخذه وينتف ريشه أو تلق اليه عصا فتصرعه وإنما يقتنص بأشراك العقول والهمم الرفيعة ولذلك يصطاد. وعبر فى البيت بالأمر عن المضارع للتأكيد كقوله تعالى (فليمدد له الرحمن مدا) وبالجياد جياد الأفكار يمتطيها طالبه وتكون تلك الأفكار جوالة دائما فى المعقولات ليلا ونهارا لا تمل ولا تضعف لاشتغال القرائح وتكون من ذكائها قيدا للمسائل العويصة شديدة بالأنظار الرقيقة رائحة فيها غادية ولو أصابها التعب من طول الممارسة والمباحثة ثم لا يحصل مع ذلك إلا بعد نزع الروح فى طلبه إلى مقاساة الشدائد التى هى فى الشدة كالموت أو مفارقة الملاذ من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومركوب ورياسة وحظوة ورفاهية التى مفارقتها كالموت وبعد ذوق الصبر المحرق للأمعاء حوذا وعريا ومهانة .

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله      لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وبعد طول تفكر فى المدارك وتدبر للأدلة والآيات وتصبر على كل ما مر وتضرر به وتقشف فى المعاش وتعدد فيه أى تشبه بمعد وتوسل اليه بكل ما يمكن من خدمة أهله بالنفس والمال وتوصل أى تكلف الوصول اليه بذلك وتحول من مكان إلى مكان طلبا وتغرب عن الأوطان وتفرد عن الإلف والخلان وتهجد فى الليالى على النظر والدرس وبين ذلك بالتمثيل أن العسل لا يكاد يستخلصه مستشاره إلا بعد أن يتصبر للدغ النحل كما قيل :

تريدين إدراك المعالى رخيصة      ولا بد دون الشهد من إبر النحل

وكذلك لا يطلب الرطب غالبا إلا مع مقاساة شوك النخل ثم المدرك للمطالب إنما هو القوى النفس الجرىء لا الهيوب الضعيف فالليث هو الذى يدخل الحظائر ويفترس الماشية لا أبو المليح النفار من أدنى صوت . ثم قال :

وَالعِلْمُ زَرْعٌ ليسَ يزْكو فى امْرِىءٍ      يُجْنى فَيَجْنِي مَنْ جَنَاهُ وَيَجْتَدِي

حَتَّى يُصَادِفَ تُرْبَةً مِنْ لُبِّهِ لَيْسَتْ بِمِلْحٍ أَوْ كَنُودٍ عِرْبِدِ
وَجَدًى مِنَ التَّوْفِيقِ هَتَّانًا وَمِنْ طَبْعٍ هَوَاءً صَافِيًا لَمْ يَفْسُدِ

يقال أجنت النخل فهي مجنية اذا حان أن تجنى وجناها ربها أخذ ماعليها من رطب والجدى المطر العام والعطاء والمجتدى طالب الجدى أو السائل والكنود الأرض لا تنبت شيئا والعربد الخشنة . يقول : العلم هو في التمثيل زرع لانه يحصل أصل منه كالبذر فتحصل منه الفوائد والفروع وذلك زكاؤه أي نموه وكثرته ثم هو لا يزكو في الإنسان فيجني صاحبه والناس ويطلب فوائده الا بما ذكر وهو أن يصادف تربة جيدة فيبذر فيها وهي عقل الإنسان فمن كان عقله ناقصا أي فاسدا بالعوارض الدنيوية فلا يصلح للعلم ويصادف مطرا نافعا ينبت به وهو توفيق الله تعالى وتعليمه ولذلك أسباب قال تعالى ( واتقوا الله ويعلمكم الله ) ويصادف هواء صالحا لم يفسد بحرارة مفرطة ولا برد مفرط وذلك طبعه وفساده غلبة الاوصاف الذميمة أو العوارض المستحكمة فهذه الامور الثلاثة أسباب حصول العلم وأسباب الانتفاع به عاجلا وآجلا فمن لم يستجمعها فاما أن لا يحصل له أو لا ينتفع به . ثم قال :

فَهُنَاكَ يَنْمُو غَيْرَ أَنَّ ثِمَارَهُ شَتَّى إِذَا أَحْصَيْتَهَا لَمْ تُعْدَدِ
وَأَجَلُّ مَغْبُوطٍ بِهِ وَمُنَافَسٍ ذُو الأَطْيَبِ الأَبْقَى الأَجَلُّ الأَعْوَدِ
عِرْفَانُ رَبِّ العَرْشِ ثُمَّ صِفَاتِهِ وَفِعَالِهِ فَإِلَى خَفَايَاهُ اهْتَدِ
وَمَدَارُ هَذَا العَبْدِ فِي أَطْوَارِهِ مِنْ يَوْمِهِ وَغَدٍ وَمِنْ أَيْنَ ابْتُدِي
تِلْكَ المَعَارِفُ لَا شِقَاقَ نَافِثٍ يَهْذِي وَلَا يَهْدِي خَصِيمٍ مُلْحِدِ

الشتى جمع شتيت كمريض ومرضى والشقشقة مايخرجه الفحل من الإبل من فيه اذا

هدر ثم تستعار للكلام والهذيان بالمعجمة تقدم والملد مفعل من اللدد فى الخصومة يقول هناك أى حيث تجتمع تلك الشرائط ينمو العلم ويكثر غير أن العلم بحسب الجنس شىء واحد حاصله حصول التصورات والتصديقات ولكن يختلف بحسب المتصور وبذلك تتعدد الفنون وبحسب الغرض المطلوب وبذلك تتفاوت العلوم فى الشرف والغبطة فان الأشجار إنما تشرف وتعلو بأثمارها وهى الغرض المطلوب منها، وكما أن ما ثمره أطيب فى الطعم وأبقى من الفساد وأعظم فى الغناء وأعود أى أفيد عند الناس هو أعظم الاشجار وأحقها أن يغتبط بتملكه ويتنافس فيه كذلك فنون العلم أجلها وأحقها بالغبطة أعظمها ثمرة وذلك هو العلم الذى تحصل به معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله ومعرفة ما يدور عليه أمر العبد فى أطواره الثلاثة أى أمر يومه وهو حال الدنيا وما فيها من التكاليف الشرعية . والحقائق الوهبية ، والأحوال المنتمية وأمر الغد وهو حال المعاد وما سيقع فيه من البعث والحشر والفصل والمصير إلى أى دار وغير ذلك وأمر الامس وهو حال ابتدائه من النظر فى تخصيصه وإيجاده ثم إمداده وانه من طين لازب وما يلتحق بذلك والعلوم النافعة الشرعية داخلة كلها فى هذه الثلاثة ولو احتجنا إلى تفصيل ذلك احتجنا الى مجلدات والإشارة فى هذا المختصر تكفى ، ثم أخبر أن تلك أى هذه المذكورات هى المعارف التى تستحق أن تسمى معارف والإشارة للتعظيم وليس المعارف هى علوم أهل الجدال والخوض فيما لا يعنى وهم الذين يهذون أى يتكلمون بما لا حاصل له ويحسبون أنهم يهدون الناس وانما هو الخصام واللدد والقصد بهذا مدح العلوم النافعة وهى الشرعية بالذات مما يتعلق بالظاهر والباطن وما تثمره بفضل الله من المعارف الوهبية وفى الحديث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ويلتحق بها فى الفضل وان لم يساوها كل ما يستعان به فيها أو يستعان به على تزود المعاد من سائر العلوم وما سوى ذلك ان عارض الشرع فهو خبيث محرم والا فمن المباحات الدنيوية ولا فضيلة له الا مجرد ما فيه من كمال الاطلاع على المجهول . ثم قال :

فإذا تحلت بالتنسك والتقى ... وإنابة المالك المتوحد
أزرت بتاج فى جبين مملك ... من عسجد فى لؤلؤ وزبرجد
وزرت على الحلل النفائس والحلى ... فوق العطابيل العذارى النهد

تحلى بالشيء وحلى به تزين به وأصله الحلية والتنسك التعبد والتقى اجتناب المنهيات ومتى عم كل منهما شمل الآخر والإنابة الرجوع الى الله تعالى وزرا على كذا وأزرى عابه والثلاثى أكثر وأزرى به أدخل عليه عيبا فلما كان المعيب ينقص بذلك العيب على العائب صار العائب أشرف وافضل فلهذا شاع استعماله فى التفضيل والتاج المجعول على الرأس معروف والعسجد الذهب والزبرجد جوهر معروف والحلل جمع حلة من اللباس والنفائس جمع نفيسة أى جيدة والحلى جمع حلية بالكسر هى ما يتزين به من مصوغ والعيطبول الحسناء الطويله فى تمام الخلقة والناهد التى ارتفع ثديها.
يقول : إن هذه المعارف إذا حصلت للانسان واتصف مع ذلك بالعبادة وحسن الإنابه الى الله تعالى كانت تلك المعارف أو حالة هذا الشخص من العبادة أحسن من تاج على ملك مصنوع من ذهب مرصع باللؤلؤ والزبرجد ومعنى فى الاستعلاء أى على جبين ويجوز أن تبقى على بابها وفى قوله فى لؤلؤ بمعنى مع . ووجه التشبيه أن الملك حسن عظيم فى نفسه فكيف إذا لبس التاج وكذا العارف إذ تنسك ، وهذا المعنى يحكى عن الجنيد أن العبادة على العارفين أحسن من التيجان على الملك وصارت أيضا احسن من الحلل والحلى على الحسان النواهد ووجه التشبيه ان الحسناء المكتسيه المتحلية ظاهرها حسن والباطن أحسن وكذا العارف المتعبد ظاهره حسن وباطنه أحسن . ثم قال .

فمن تسنمها الجنيد وحزبه ... نزلوا بها شرفا فويق الفرقد
تلك المكارم والمحامد والعلى ... لا حارز تسقيه فى قعب أد

تِلْكَ الرِّيَاضَةُ لا رِيَاضَةُ راضَةِ الرْ رُهْبَانِ بَيْنَ تَنَصُّرٍ وتَهَوُّدِ
أيُعَدُّ نَسْراً كُلُّ مَا مُسْتَنْسِرٍ وَيُعَدُّ لَيْثاً كُلُّ مَا مُسْتَأْسِدِ
سَلَكُوا بِهَا فى مَنْهَجٍ أَعْلامُهُ مَسْمُوكَةٌ لِلسَّالِكِينَ مُعَبَّدِ
قَدْ ضَلَّ عَنْهُ كُلُّ جافٍ كاشِحٍ أَوْ غَالِطٍ مُتَحَرِّفٍ مُتَشَدِّدِ
وَعَمٍ جَهُولٍ ليسَ مُبْصِرَ حُجَّةٍ يَوْماً وَلا أَهْلَ الهُدَى بِمُقَلِّدِ

القنن جمع قنة وهى أعلى الجبل وتسنمها صعدها وأصله فى سنام البعير والفرقد النجم المعروف فتارة يوحد كما فى البيت وتارة يثنى فيقال هما الفرقدان والحازر من اللبن الحامض والقعب القدح فقيل الضخم وقيل الصغير وقيل قدر ما يروى الرجل والآدى من الآنية والأسقية الصغير والمتوسط والراضة جمع رائض وتنصر صار نصرانيا وتهود صار يهوديا واستنسر الطائر تشبه بالنسر ومنه المثل: استنسر البغاث. واستأسد تشبه بالأسد والمسموك المرفوع والمعبد من الطرق المركل بالأقدام. يقول. إن هذه الأحوال المذكورة من اجتماع المعرفة والعبادة هى قنن أى درجات عالية لا يصل إليها إلا الموفق قد ترقاها الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريرى شيخ الصوفية فى وقته أخذ الطريقة عن السرى السقطى وكان مع ذلك فقيها يفتى على مذهب أبى ثور وحزبهم أتباعه فى وقته وهلم جرا ، وأشار بذلك الى أن مذهبه مذهب أهل الحق من أن الولى شأنه لا يزال دائما فى عبادة الله تعالى ولو بلغ ما عسى أن يبلغ ولا يصل إلى أن يسقط عنه التكليف كما يذهب اليه الغلاة المتزندقة أبعدهم الله تعالى أو تصير العبادة الى قلبه وتستريح الجوارح عنها كما يتوهمه أهل الجهل والعمى وقول من قال شيئا من ذلك من الصوفية متأول وأخبر أنهم أى الجنيد وحزبه نزلوا بهذه الطريقة والتمسك بها فوق النجوم شرفا وفضلا على غيرهم من الفرق وتلك هى المكارم والمحامد لا ابن تسقيه فى قدح أشار إلى قول أمية :

تلك المكارم لاقعبان من لبن . شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأن تلك الرياضة هي الرياضة المستقيمة لانبنائها على أصول الشرع المستقيم لا رياضة الرهبان فى الصوامع بالتجرد والجوع فان هذه باطلة لانبنائها على الهوى فصاحبها قد خسر الدنيا والآخرة نسأل الله العافية وضرب مثلا وهو أنه ليس كل مستنسر يعد نسرا ولا كل مستأسد يعد اسدا وكذا ليس كل من جلس فى خلوة وكل من سهر وجاع يعد وليا أو عارفا أو صاحب طريقة . وأخبر أن الجنيد وحزبه سلكوا بطريقتهم هذه فى منهج أي طريق واضح أعلامه التي تتبع فيه مرتفعه لاتخفى على سالك وهو سهل لا حرج فيها ولا عوج قال تعالى (وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم) وقال ﷺ «بعثت بالحنيفية السمحة» وهو منهج السنة وما عليه السلف الصالح . ومن كلام الجنيد رضى الله عنه: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى آثاره صلى الله عليه وسلم وأخبر أنه قد ضل عن هذا المذهب كل جاف الطبع قاسى القلب لم يخشع للحق ولا تهذب بالإيمان وكل كاشح أي مبغض للدين من الكفرة كلهم أو مبغض للطريقة وأهلها من جفاة العوام وأهل الظاهر وكل غالط فى سلوكه منحرف عن القصد والحق متشدد بمالم تأت به السنة جهلا وابتداعا وكل أعمى لا يستبصر بنفسه فى الحق ولا ينقاد لتقليد من كان على بصيرة وكل من حاد عن الطريقة المذكورة فهو من هذا القبيل كافرا كان أو مسلما بدعيا أو سنيا والله الموفق . ثم قال :

فَإِذَا سَمَتْ لَكَ هِمَّةٌ سَبَّاقَةٌ … لِسُلُوكِ مَنْهَجِهِمْ فَبَادِرْ تُرْشَدِ
مِنْ عِنَاجِ الصِّدْقِ وَاشْدُدْ فَوْقَهُ … كَرَبَ الْمَحَبَّةِ وَاحْتَزِمْ وَتَجَرَّدِ
وَاتَّخِذْ غَرْباً مِنْ حِجَاكَ بِمُنَّةٍ … فَإِذَا فَعَلْتَ فَغَيْرَ مُصْطَرِدٍ رِدِ
وَارْحَلْ عَلَى نُجُبٍ كِرَامٍ ضُمَّرٍ … مِنْ حَزْمِكَ الْمَشْدُودِ لَيسَ بِمُفْنَدِ

وَاضْبِطْ مَزَادَ الصَّبْرِ مُحْكَمَةَ الْعُرَى ... وَبِعَوْنِ رَبِّكَ وَالتُّقَى فَتَزَوَّدِ
وَتَسَلَّيَنْ عَنْ أُمِّ دَفْرٍ وَابْنِهَا ... وَاسْتَوْدِعَنْهَا دَارَ نِكْسٍ قُعْدُدِ
وَاصْرِمْ حِبَالَ الوَصْلِ مِنْهَا لا يَقُلْ ... لَكَ وُدُّهَا مِنْ بَعْدِ نَضْجٍ رَمِّدِ

سما إلى الشيء واستمى اليه والهمة قد مر تفسيرها والسباقة العلية التى لا تـلوى على حظ ولا رسم والرشد والرشاد الهدى والعناج ككتاب حبل يشد فى أسفل الدلو العظيمة ثم يشد إلى العراق والكرب بفتحتين حبل يشد أسفل العراق ليلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير وتحزم واحتزم اتخذ الحزام وتجرد من ثيابه أزالها عنه لشغل مثلا والغرب الدلو العظيمة وإدلاؤها الى البئر إرسالها والمنة بالضم القوة والتصريد فى السقى التقليل والمصطرد أيضا الحنق المغتاظ ورد أمر من الورود والنجيبة من الإبل الكريمة والمسد الفتل والممسود المفتول وعند البعير حاد عن الطريق فهو عاند الجمع عند وضبط الشيء حفظه وإصلاحه والمزادة الراوية والجمع مزاد والإحكام الاتقان والعروة معروفة وأم دفر بفتح الدال المهملة الدنيا من الدفر وهو النتن والنكس بالكسر الجبان لا ينهض لمكرمة والقعدد الجبان والبخيل القاعد عن المكارم والصرم القطع والترميد جعل الشيء فى الرماد يقال فى المثل شوى حتى إذا أنضج رمد أى بعد أن نضج اللحم خلطه بالرماد وذلك فيمن أصلح الشيء ثم افسده . يقول: إن رزقت همة ورغبة فى سلوك منهج القوم فبادر الى ذلك ولا تتأخر ولا تسوف فذلك هو الرشد فى الدنيا والفلاح فى الآخرة ثم بين شيئا من أحوال السالك وشيئا مما ينبغى أن يأتمر به وأتى بذلك على طريق التمثيل بأن صور السالك مسافرا إلى جهة من الجهات فاحتاج الى شيء يكون بمنزلة الدلو التى يستقى الماء بها فى كل منزل وهى محتاجه الى أن يشد لها عناج وكرب وبذلك يستقيم أمرها وذلك هو الصدق والمحبة ويقع الصدق هنا على غرضين أحدهما صدق التوجه ويرجع حاصله الى أن يكون مايقوله بلسانه من التوبة والإنابة الى الله تعالى يقوله بقلبه تصميما ويعمل به بجوارحه

فتتفق هذه الثلاثة ولا يكذب بعضها بعضا الثانى التصديق بالهداة الدالين على الله تعالى واعتقاد الخير فيهم فان المكذب لا يفلح ولا يمكنه الاتباع. والمحبة أيضا على غرضين: أحدهما محبة الله تعالى فانها الجاذبة المحركة. الثانى محبة أهل الله الدالين عليه وكذا كل من ينتمى اليه ويحتاج الى الاحتزام والمجاهدة فان الأمر لا يدرك بالهوينا والى التجرد عن العلائق والعوائق وأن يدلى دلوه مع الدلاء والدلو العقل الذى يتبين به المصالح فيأتيها والمفاسد فيتقيها ويعتبر به ويتفكر فيستفيد العلوم والمعارف فاذا كان غربا أى عقلا وافرا وأدلاه بقوة أى بقريحة وقادة وتوجه تام فعند ذلك يشرب من العلوم والمعارف بلا تصريد أى بلا قلة ولا تقدير ويشرب سالما ناعما بلا غيظ ولا غم واحتاج أن يوصل من منزلة إلى منزلة على نجائب ذلل منقادة ضامرة من العمل وذلك الحزم وتقدم تفسيره بأنه السيف القاطع والحصن المانع، ومن الحزم أن لا يستسهل بالرجوع إلى شىء مما خرج عنه من حظ فان النفس متى ألفت الانقلاب انحل عقدها واختل نظام الأمر ولا بمقاربة من ألف معه ذلك أو لمكان ألف فيه أو سبب يجرى به، وأن يراعى أوائل الأمور وأن يتعهد ما تكون به حياة قلبه ورقته وأن يضبط أوقاته ولا يتركها سدى الى غير ذلك وما جمل فى هذا الباب واحتاج الى ضبط المزادة بحفظها من الوهن وخياطتها إن وهنت وإتقان عراها التى تعلق بها لئلا تنقطع فتسقط وتفسد وذلك هو الصبر فهو قوام الأمر. ويكون على وجهين: صبر على الطاعة وصبر عن المخالفة، ويدخل فى القسمين الصبر على البلاء لأنه يرجع الى ملازمة الرضا وهو طاعة ومجانبة التسخط وهو معصية، واعلم أن الصبر فى باب البلاء ثلاث درجات. الأولى حبس النفس عن التسخط وقول المكروه مع وجود التألم وهو واجب داخل فى مقام الاسلام. الثانية وجدان البرودة وانتفاء الألم ويكون ذلك بالتمرن على المصائب أو بحصول الزهد فيما فات بها أو الفناء عن النفس وطبعها وهو كمال داخل فى مقام الرضا. الثالثة وجدان الاستلذاذ والسرور ويكون لغلبة حضور الأجر على النفس

أو لموافقة رضا المحبوب أو لأنه فعله أو نحو ذلك وهو أكمل واحتاج إلى استصحاب الزاد فى سفره وليس إلا التقوى والاستعانة بالله تعالى فلا وصول إلى الله إلا بالله تعالى ثم التقوى لا تنتظم إلا من علم وعمل فلابد من العلم فى التزود كما سيجيء. واحتاج الى التخلى عن الدنيا وأهلها فانها أم العوائق التى أمر بالتجرد عنها وأن يستودعها فى ديار الراغبين فيها وهم الأنكاس اللئام. وأما التخلى عنها فالمراد به تركها جميعا حسيها كالنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة إلى آخرها ومعنويها كالجاه والرياسة وصحبة الإخوان والأخدان ونحو ذلك وهذا على رأى من لا يرى للمريد التزوج حتى يكمل حاله وإلا فالمراد ترك فضول الدنيا زهداً فيها فان ترك حرامها تقوى وترك شبهاتها ورع وترك فضولها زهد والمطلوب من المريد ترك كل ما يشغله عن حاله، وقد قال السرى السقطى للذى وصاه: إن أردت الجنة فعليك بالصيام والقيام، وإن أردت الله فعليك بترك كل شيء دونه وهذا هو الفيصل من الكلام، والزهد على التحقيق هو فى القلب وهو برودتها فيه وبه يبذلها عند الوجد ولا يحزن عليها عند الفقد ولكن لا تعمل فيه للمريد بل هو منحة لله تعالى وطلب منه التخلى عنها ظاهراً رجاء أن يكون ذلك بفضل الله سببا لخروجها عن القلب وكل من يمسكها فى الظاهر مغتبطا بها ثم ينتظر أن تخرج عن قلبه ليكون من الذين تكون فى أيديهم وهم زاهدون فيها فهو يضرب فى حديد بارد بل الشأن بذلها ولو تكلفا فمن ذاق مرارة فقدها وصابر نفسه على ذلك لله تعالى رجى له أن يثيبه الله بنزعها من قلبه حتى لا يبالى بها أو بحلاوة فقدها وما ذلك على الله بعزيز. وأما استيداعها فى ديار اللئام فهو على ظاهره أو الديار قلوبهم ومن فوائد ذكر هذا المعنى أن لا يمد المريد عينه إلى أهلها وما عندهم من زهرتها لأنه هو الذى تركها هناك وأن يشعر قلبه أن الدنيا وفتنتها وسائر المصائب والمعايب لا بد لها من ظهور فى الوجود ولا تخلو عن محل فان لم تكن أنت محلها فغيرك فاذا زواها الله عنك أيها المريد وأنزلها بغيرك فاعترف له بالمنة العظيمة إذ لم يكن عليك أنزلها واشكره شكرا كثيرا واعرف أن الذى نزلت عليه قد تحمل

عنك مؤنتها بحكم التصريف فارحمه وادع له باللطف ولا تحتقره ولا تتوهم لنفسك خصوصية الخير ولا لغيرك خصوصية الشر بل بفضل الله عليك وعدله فى غيرك فارحم أهل البلاء واسأل الله العافية وفى ذكر النكس والقعدد إشارة إلى أن الراغب فى الدنيا كله كذلك إذ لا يتأتى له النهوض إلى الكمال مادام يحب الدنيا ولذا قيل: حب الدنيا رأس كل خطيئة. وإلى أن الاخلاق السيئة هى بذر الشر، نسأل الله العافية وربما يفهم من الإيداع أن المريد سيرجع إلى وديعته فيأخذها وذلك عند الكمال حيث يقال له خذها ولا تخف وليس بعام ولا جائز أن ينويه المريد عند تركها ولا أن يرجوه واحتاج أن يقطع جميع العلائق والأسباب من الدنيا لئلا يسقط وينقلب كالذى يرمد بعد أن يشوى ومازال الشيوخ يحذرون من هذا المعنى ويقولون إن الرجوع إلى الشهوات هو الذى قطع ظهور المريدين فشبعوا بعدما جاعوا وناموا بعدما سهروا واستلانوا الفراش بعد الكد وربما غلطوا فعدوا ذلك كمالا ووصولا، نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق ونعوذ بالله من الزيغ عن التحقيق ثم قال.

وَإِذَا نَزَلْتَ عَلَى كَرِيمٍ مُوسِعٍ رَحْبِ الذُّرَى جَمِّ الْقِرَى مُتَفَقِّدِ
فَكُنِ الْهَنِيَّ وَأَنْتَ بَيْنَ ضُيُوفِهِ لَا تَسْعَ فِى زَادٍ وَلَا تَتَفَقَّدِ
فَإِنِ ارْتَجَيْتَ أَوِ اعْتَفَيْتَ لِغَيْرِهِ يَوْمًا تَبُؤْ مِنْهُ بِعَارٍ مُسْبِدِ

الموسع الغنى يقال أوسع صار ذاسعة أى غنى واوسع الله عليه أغناه فالله تعالى غنى مغن ورحب الذرى واسع الكنف يكون حسا ومعنى بالجود والجم الكثير وتفقده طلبه وسأل عنه والعافى والمعتفى طالب المعروف وسبده وأسبده حلقه. يقول إذا نزلت أيها المسافر فى دار من هو كريم غنى واسع الكنف لمن يغشاه كثير الضيافة متفقد للناس لا يغفل عنهم فكن هنيئا مادمت فى مثواه من أمر كفايتك فلا يكن منك سعى فى استحصال ماتحتاج من المؤونة لأنه حاصل ولا سؤال ولا طلب لذلك الكريم لأنه

لا يغفل فان رجوت غيره أو طلبت غيره فانك تحصل منه على عار عظيم حاق للحيتك عنده وعند كل عاقل منصف والقصد من هذا التمثيل وهو أن المريد عبد الله تعالى وهو فى كفالته وضيافته فلا ينبغى له أن يهتم بالرزق ولا أن يرجو ويركن إلى أحد سوى ربه وليجتهد فيما كلف به يكفه الله ماضمن له وهذا معنى ماروى عن الشيخ أبى مدين رضى الله عنه أنه كلم على القعود عن السبب فقال ما معناه أنا فى ضيافة الله تعالى وقد قال ﷺ « الضيافة ثلاث » وقال تعالى ( وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ) فنحن من هذا العدد ما عشنا وما بقى منه نرجوا أن يوفيناه فى الآخرة وقد يقتضى حال المريد أن يتسبب فيفعل ذلك ويتوكل على الله تعالى فى سببه لا على سببه ومثل هذا متجرد فى المعنى . ثم قال ،

وَالْزَمْ مُنَاخَكَ أَوْ يُحَوِّلُهُ وَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِ وَرَأْيُهُ فَلْتَحْمَدِ

المناخ بضم الميم مبرك البعير وحمده أثنى عليه وحمده وأحمده وجده محمودا . يقول . إذا كنت ضيفا فالزم مثواك الذى ينزلك فيه صاحب الدار وارض به ولا تتحول عنه إلا إن كان حولك فتحول واحمد رأيه فى إنزاله ولا تختر أنت لنفسك غير ما اختار لك وهذا أيضا تمثيل والمراد به أن المريد ينبغى له أن يدع التدبير والاختيار ويرضى بما أقيم به من سبب أو تجرد أو إقامة أو سفر أو عمل لا يذمه الشرع ولا يختار غيره حتى يكون الانتقال من الله تعالى إما بلسان الشرع او باذن يعرفه من حاله أو من قلبه . ثم قال :

وَإِذَا دَعَاكَ وَدُونَهُ الْحُجُبُ الَّتِى عَزَّتْ أَدَانِيهَا مُحَالَ الْهُدْهُدِ
فَارْكُضْ إِلَيْهِ جَوَادَ حَزْمٍ مِغْشَمٍ مُسْتَفْتِحَ الْأَبْوَابِ غَيْرَ مُعَرِّدِ
وَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الْمَمَالِكِ رَائِقًا فَلْتَلْهَ عَنْهُ وَنَحْوَ مَالِكِهِ اصْمُدِ

عزة غلبه والمحال والاحتيال الحذق وجودة النظر فى الأمور والمغشم الذى يركب

نفسه ولا يثنيه شيء عن مراده وعرد عن القتال تعريدا هرب والرائق المعجب وصمد إليه صمدا قصده . يقول : إذا دعاك رب المنزل وهو الموصوف بما مر والحال أن دونه حجبا عظيمة تغلب الهدهد أدانيها أن يجاوزها مع حسن تأنيه واحتياله فكيف بأقاصيها وكيف بك أنت فأجبه وتقدم إليه مسرعا راكبا على جواد عتيق من عزمك لا يكل ولا يهاب مستفتح الأبواب بابا بابا حتى تصل إليه غير هارب عنه ولا مكرب ومتى رأيت فى طريقك شيئاً يروق عينك كجارية أو غلام أو فرس أو بناء أو غير ذلك فأعرض عنه واقصد إلى مطلوبك ولا تلتفت إلى شيء دونه فيفوتك وهذا أيضا تمثيل والمراد منه أن العبد قد دعاه مولاه إلى حضرته وبينه وبين الوصول حجب من نفسه عظيمة يخرقها وعقبات شاقة يقطعها فلا ينبغى له أن يقعد عن السعى فى الوصول إلى الله تعالى مستعينا به كما مر ولا يلتفت إلى شيء دون الله من دنيا أو مقام أو حال وكرامة أو فتح فان كل ماسوى الله تعالى حجاب عنه كما قال ابن العريف رحمه الله . ثم قال :

وَإِذَا جَلَسْتَ على رفيعِ بِساطِهِ ... فَسقَاكَ صِرْفَ الْخَمْرِ غيرَ مُصَرَّدِ

فَلْـتَرْعَيَنْ أدَبَ الجَلِيسِ وَلا يَمِلْ ... ثَمِلٌ حِجَاكَ فَيَسْتَخِفَّكَ ذُو الْيَدِ

وَكُنِ ابْنَ وقْتِكَ حَازِماً لِلأجْوَفَيْنِ ... وَلِلْهَوَاجِسِ خَازِناً لِلْمِزْوَدِ

الصرف بالكسر الخالص ومن الخمر مالم تمزج وغاله غولا أهلكه والثمل السكران. يقول : كن أيها المريد السالك ابن وقتك واحزم بطنك وفرجك وخواطر قلبك واخزن لسانك فأمرك بأربعة أشياء كل منها مهم . الأول أن تكون ابن وقتك ومعناه أن تقوم فى كل وقت حضرك بما اقتضاه الحق منك غير ملتفت إلى وقت مضى ولا وقت يأتى اللهم إلا أن يقتضى الشرع منك شيئا فى وقتك كقضاء فائتة وتزود لحج أو جهاد وهو معنى قولهم الفقير ابن وقته وإنما يتم له ذلك بقوة الحزم وقصر الأمل وجعل

الموت نصب العينين . الثانى أن تحفظ بطنك وما يدخل فيه من قوت وتحفظ فرجك أن يزيغ بك إلى الحرام أو إلى فضول الحلال وذلك معنى جعل الحزام عليها لأن البعير متى حزم كان طوع اليد . الثالث أن تحفظ خواطرك وفى هذا معنيان . أحدهما أن تراقب قلبك فلا يهجس فيه إلا الحق وهذا كما قال بعض السلف لى كذا وكذا وأنا بواب على قلبى فمتى تحرك إلى ما لا ينبغى صرفته وهى حالة عزيزة . الثانى أن تضبط الخواطر فتميز فيها بين الربانى والملكى والإنسانى والشيطانى وتتحقق كل واحد بعلاماته وتعرف ما تتبع من ذلك وما تخالف . الرابع أن تحفظ لسانك وهو معنى خزانه وذلك على معنيين : الأول أن تؤثر الصمت إلا حيث لا بد منه وهو أحد أركان الولاية التى صار بها الأبدال أبدالا وهى إخماص البطون وإسهار العيون والصمت والعزلة : الثانى أن تتحفظ فى منطقك فلا تتكلم إلا بما يعنى . ثم قال :

وَإِذَا تُصَاحِبُ أَوْ تُعَاشِرُ فَالْتَمِسْ غَيْرَ الْجَلَنْدَدِ وَالدَّدَانِ الْقَهْمَدِ

قد يراد بالصحبة ما يراد بالمعاشرة وقد تكون أخص بمعنى الخدمة والاقتداء كصحبة التلميذ لشيخه والعكس والالتماس للطلب والجلندد الفاجر والددان الضعيف لا غناء له والقهمد اللئيم الأصل الدنىء . يقول : إذا أردت صحبة أحد أو معاشرته فراع فيه التقوى والكفاية فالأول للدين والثانى للدين والدنيا ولا تصاحب من لا دين له ولا منفعة له وهذا إشارة إلى شروط الصحبة فانها من جملة ما يحتاج إليه فى الطريق أحيانا . ثم قال :

وَإِذَا اعْتَزَلْتَ فَبِالْمَحِلَّاتِ اعْتَزِلْ مِنْ عِلْمِ حَالِكَ وَالْقِوَامِ الْأَوْكَدِ

المحلات الأشياء التى يحتاج إليها الإنسان إذا نزل وحده وهى القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند مثلا والقوام بالفتح ما يعاش به والعدل وبالكسر نظام الأمر وعماده ويصحان فى البيت : يقول إذا أردت أن تعتزل عن الناس فلا بد لك من الأمور التى بها يتم حالك ، كما أن من اعتزل عن الحى فلا بد له

من المحلات وإلا لم يستطيع العزلة فكذلك أنت أيها المريد لا بد لك من محلات وذلك شيئان : أحدهما يرجع إلى دينك وهو علم حالك أى أن يكون عندك من علم الظاهر وعلم الباطن ما تحتاج إليه وإلا فسد دينك واختل حالك وأنت لا تشعر . ثانيهما يرجع إلى كفاية طبيعتك مما لا بد منه من الغذاء ويكون ذلك إما بالقوت وإما بالقوة فإن المراد كفاء الطبيعة وإلا اختل البدن فاختل الدين . ثم قال :

وَالنَّفْسُ أَعْدَى كُلِّ عادٍ يُخْتَشَى ... وأَضَرُّ سُمٍّ لِلفَتَى مُتَقَلِّدِ
قَتْلٌ تُرِيدُ حَيَاتَهُ وَتَوَدُّهُ ... وَيُرِيدُ قَتْلَكَ كالهِزَبْرِ المُلْبِدِ
أَرْكَبْتَ مِنْهَا ظَهْرَ صَعْبٍ جَامِحٍ ... مُتَجَشِّمٍ لِهُوَى الهَوَى مُسْتَعْنِدِ
بَلْ ظَهْرَ مَوْجٍ رَاجِفٍ لَكَ سَائِساً ... أَبداً لِضَارٍ لَمْ يُعَلَّمْ مُوسِدِ
فَاقْتُلْ عَدُوَّكَ تَسْتَرِحْ مِنْ كَيْدِهِ ... فالقَتْلُ مِقْدَعُ أَنْفِ كُلِّ جَلَنْدَدِ
وَالقَتْلُ إِحْيَاءٌ لَهَا وَإِرَاحَةٌ ... فَلْيَصْفُ فِيهِ عَيْشُهَا وَلْيَرْغَدِ
فَالخَمْرُ أَعْذَبُهَا وَأَغْذَاهَا الَّتِى ... قُتِلَتْ بِمَاذِىٍّ وَعَذْبٍ أَبْرَدِ

السم المتقلد المعتق الذى يهلك سريعا والقتل بالكسر العدو والجمع أقتال وبالفتح مصدر والهزبر الأسد والملبد من اللبود إلى الارض وهو وصف الأسد إذ هم بالوثب والهوى بضم الهاء جمع هوة وهى الحفرة وبالفتح معروف واستعند البعير غلب على الزمام وكذا الفرس إذا جمح وغلب على الرسن ورجف البحر والموج اضطرب والسياسة الحفظ والضارى المولع والموسد المغرى تقول أوسد الكلب وآسده إذا أغراه والقدع فى الأصل أن تضرب أنف الفحل ليرجع عن الناقة والجلندد الفاجر

والرغد من العيش الواسع وغذا البلد يغذو بذال معجمة طاب هواؤه و بعد عن الوخم وهذا أغذى من هذا أطيب منه وأوفق للطبع وقتل الخمر مزجها لتذهب سورتها والماذى بذال معجمة ويا، مشددة العسل الأبيض أى الصافى . يقول : إن نفسك التى بين جنبيك أيها المريد هى أعدى كل عاد يخشى أن يسطو عليك وأضر كل شىء بها كيك ، هى التى تحول بينك وبين كل خير وهى العائقة لك عن حضرة ربك ولذا قيل للذى طلب من الله تعالى الوصول والسبيل « اترك نفسك وتعال» ثم وصفها بأنها قتل أى عدو تريد حياته وتوده أى تحبه ولا أحب للانسان من نفسه ولا يحب الحياة ولا كل خير إلا لها وهو يريد قتلك بمعصية مولاك وأن ينبذك فى النار فصار كما قال القائل :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

واعلم أن كون النفس يريد هلاك صاحبها إنما هو بحسب الصورة والنظر إلى فعلها وسعيها أى سعيها سعى من يريد الهلاك وإلا فهى لا تريد إلا الخير أبدا وإنما سعت فى المضرة لأنها أعطيت الشهوة الداعية ولم تعط من النظر فى العواقب والاستشراف إلى الغيب ما أعطى العقل فتوهمت أن كمالها وفوزها فيما حضرها من الملاذ ولم تدر ما وراء ذلك ولذا متى انكشف شىء من العواقب السوء عن اللذة اعترفت به ووافقت العقل حينئذ فافهم وأخبر أنك أركبت من نفسك الأمارة بالسوء ظهر مركب صعب جامح لا ينقاد لك معط بنفسه إلى المهاوى التى يهلك من وقع فيها مستعصعن الزمام ولا مهواة له أعظم من الهوى وهو الميل إلى ما تشتهيه النفس وهو غالب على النفس لأن ذلك طبعها بل أركبت منها ظهر موج فى البحر مضطرب بك ولا شىء فوق ذلك الهول وذلك الخطر وأنت فيها بمثابة من عنده كلب ضار على الصيد مغرى به وهو لم يعلم بعد بحيث ينزجر بالزجر فكيف يكون الحال معه . إذا علمت مافى نفسك من العداوة والكيد فشأنك أن تقتلها بالرياضات من جوع وعرى وذلة وعزلة لتحسن صفاتها وتستريح من شرها فان الفاجر لا يقدع أنفه عنك إلا القتل، ثم إن قتل النفس

بما ذكر من الرياضة هو على التحقيق إحياء لها وإراحة وسبب لطيب عيشها واتساعه وذلك من جهات منها فى الدنيا الراحة عن التعب والمكر والعنت وتجشم مداخل السوء والسلامة من التلوث بالعار والفضائح والنجاة من المهالك والمعاطب وتيسر الخير والانتهاض للمكارم والذكر والشرف الذى هو الحياة والخلود والقناعة والرضا الذى هو جنة الدنيا ونعيمها الى غير ذلك، وفى الآخرة الفوز بالرضوان والخلود فى الجنان وضرب مثلا بالخمر فان الذها وأوفقها للطبع ما قتل أى مزج بالعسل والماء العذب البارد وبذلك السلامة من سورتها، وإنما قال أعذب وأغذى فى الخمر لأنها شراب . ثم قال :

وَتَسَلَّحَنْ مِنْ عِلْمِ ذَاكَ بِصَارِمٍ ... خَزِمِ الغِرَارِ وَسَمْهَرِيٍّ سَمْهَدِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ قَدْ رَقِيتَ مُخَاطِراً ... فى مَصْعَدٍ مُتَصَعِّبٍ مُتَصَعَّدِ
والغُمْرُ مَنْ يَقْوَى وَلَيْسَ بِسَالِحٍ ... أَوْ ذُو سِقَاءٍ فى المَلَاةِ مُؤَمَّدِ

تسلح لبس السلاح والسيف الصارم القاطع والخزم القطع وسيف خزم كفرح قاطع وغرار السيف حده والسمهرى الرمح ينسب الى سمهر وهو زوج ردينة والبهما تنسب الرماح فيقال سمهرية وردينية والسمهد اليابس الصلب وأقوى تباعد فى سفر والسالح ذو السلاح والملاة الفلاة ذات السراب والمؤمد من الأسقية ما ليس فيها ماء، يقول : إذا اجتهدت فى رياضة نفسك طلبا للتخلية والتحلية فلابد لك من علم ما تحتاج اليه فى ذلك بأن تبين الصفات المذمومة المهلكة والصفات المحمودة المنجية وما تنتفى به الأولى وما تحصل به الثانية باذن الله تعالى فان ذلك بمثابة السلاح الذى تقاتل به عدوك، ولا شك أن مجاهدة النفس ومقاساة الرياضة من أصعب الأشياء فأنت إذا اشتغلت بذلك بمنزلة من رقى مخاطرا بنفسه فى صعود متصعب على الراقى متصعد أى عال

بعيد، والغمر من الناس هو الذى يسافر الأسفار البعيدة والحال أنه غير سالح بل أعزل أوذ وسقاء لا ماء فيه. ثم قال:

وَاسْتَنْجِدَنْ مُتَبَرِّياً مِنْ حَوْلِ حَوْ ... لَ اللهِ فى الطَّلَبَاتِ تَنْجُ وَتُنْجَدِ
فَاللهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ المُنَى ... وَأَحَقُّ مَدْعُوٍّ وَخَيْرُ مُؤَيِّدِ
مَا لَمْ يُسَهِّلْهُ فَلَيْسَ بِسَاهِلٍ ... أَبَداً وَلَسْتَ لِنَيْلِهِ بِمُؤَيَّدِ
وَالأَمْرُ إِنْ لَمْ يُؤْتِهِ مَا لِلْفَتَى ... لِمَنَالِهِ فى الدَّهْرِ مِنْ مُعْلَنْدَدِ
المُلْكُ وَالمَلَكُوتُ قَبْضَتُهُ وَمَا ... تَنْفُذْ مَشِيئَتُهُ بِهِ لَمْ يُرْدَدِ
فَالنَّاسُ بَيْنَ مُيَسَّرٍ وَمُعَسَّرٍ ... أَبَداً عَلَيْهِ وَمُجْتَبَىً وَمُبْعَدِ
وَمُرَفَّلٍ بِقَضَائِهِ وَمُرَفَّتٍ ... أَبَداً وَمُشْقًى فى المَعَادِ وَمُسْعَدِ
وَمُرَفَّهٍ فى هَذِهِ وَمُشَظَّفٍ ... فِيهَا وَمَحْرُومٍ هَوَاهُ وَمُشْكَدِ
مُفْضٍ جَمِيعُهُمُ إِلى مَا خَطَّهُ ... رَبُّ الوَرَى مِنْ مُوفِضٍ وَمُهَوِّدِ

الاستنجاد الاستنصار والانجاد النصر والطلبة بكسر اللام ما يطلب والتأييد التقوية والساهل السهل فاذا قيل سهل الشيء فهو سهل فليس بسهل فان أريد التجرد فى المستقبل قيل ليس هذا بساهل أى لا يسهل وهكذا فى كل وصف من هذا الباب ومالى إلى هذا الامر معلندد سبيل والمجتبى المختار والترفيل التعظيم والترفيت ضده وأصله الكسر يقال رفت الشيء كسره والرفاهية الاتساع فى العيش والشظف الشدة فيه والضيق والشكد العطاء يقال شكده وأشكده والحرمان ضده والايفاض الاسراع

فى السير والتهويد المشى الرويد والابطاء فى السير. يقول: إذا اردت السلوك والمجاهدة مع ما مر كله فاستعن بالله واستنجد حوله وقوته بعد أن تتبرأ من حولك وقوتك ينجك من شر نفسك ومن كل ما تخاف وينصرك على هواك ويقويك على ما تروم من طاعته والله تعالى أنجح ما طلبت به كما قال أمرؤ القيس.

فالله أنجح ما طلبت به　　　والبر خير حقيبة الرجل

وهذا البيت مشير إلى مجموع الحقيقة والشريعة وقد بينا ذلك فى كتاب المحاضرات وهو تعالى أحق تدعو لحاجتك إذ لا يملكها غيره وخير مؤيد لك وأى أمر لم يعطه الله تعالى عبده فليس له إلى لقائه أبدا سبيل فان جميع الملك وهو ما تشهده الأبصار كأجرام السماء والأرض واعراضها الحسية والملكوت وهو ما تشهده البصائر ككون العالم مفتقرا إلى صانع يوجده ويدبره كله فى قبضه الله ليس للعبد منه إلا ما اعطاه وما شاء الله من ذلك كان وما لم يشأ فليس بكائن، فالناس على ما يرى بالبصر والبصيرة ويعرف بالتجربة أصناف منحصره بين هذه الاحوال المذكورة وما أشبهها فهذا ميسر له فى الرزق الحسى والمعنوى كليهما وهذا معسر عليه فى ذلك وهذا مقرب بالنبوة أو الإيمان والطاعة وهذا مبعد بالكفر أو المعصية وهذا معظم فى الدنيا أو فى الدين أو فيهما وهذا مهان فى ذلك أو فى بعضه وهذا مشق فى المعاد فيخلد فى النار وهذا مسعد فيدخل الجنة أولا أو بعد حين وهذا منعم فى الدنيا وهذا مقضى له بالبؤس ولا يلزم من الإيسار الرفاهية فرب ذى وفر لم ينعم به وبالعكس وهذا معطى ما يتمنى من دنيا أو دين أو علم مثلا وهذا محروم وجميعهم صائر الى ما خطه الله أى فى كتابه فى اللوح علما قديما سواء منهم من أسرع الأوبة إلى الآخرة ومن بقى أو من حرص فى نيل أغراضه ومن توانى فهذا كله باب الحقيقة لابد أن يحكمه المريد اعتقادا أو تحقيقا ثم يتعاطى الاسباب الشرعية إقامة للشرع كما يأتى. ثم قال.

فالحَقُّ فَاعرِفهُ لِأَهلِ الحَقِّ لاَ　　　تُسنِدِ لِغَيرِ اللهِ شَيئاً تَهتَدِ

وَاعْمَلْ عَلَى حَسَبِ الخِطَابِ إِقَامَةً لِلرَّسْمِ تَعْدِلِ الأُمُورِ وَتَقْصِدِ
وَالْتَذْ بِرَبِّكَ فِى المَطَالِبِ كُلِّهَا واسْتَمْدِدَنْ مِنْهُ الإِعَانَةَ تُمْدَدِ

يقول اعرف الحق لأهله وهو الله تعالى فان له غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله ولا تسند فعلا ولا حكما لا فضلا لغير الله واعزل نفسك عن الحول والقوة فلا فعل لك ولا حركة ولا سكون ولا تدبير ولا مشيئة بل ذلك كله للواحد القهار ومع ذلك فلا بد لك من أن تعمل بحسب ما جعل لك من الكسب ما خوطبت به من التكاليف اقامة لرسم الشريعة معتقدا أن الفعل بالحقيقة لله تعالى وفى الصورة هو لك. فاذا كنت كذلك فقد عدلت بأن جمعت بين الحقيقة والشريعة ولم ترغ الى الجبر المحض ولا إلى القدر المحض وهذا هو القصد أى التوسط فى الامر وخير الامور أوسطها. واذا علمت أنه لا فعل ولا ارادة لم يبق لك الا الالتذاذ بالله والتعلق به وطلب المدد منه فى كل حركة وسكون فأنت كما احتجت أولا إلى الإيجاد وقد وقع فأنت محتاج إلا الإمداد وهو مستمر لا يزايلك ولو انقطع لحظة لم تكن شيئا مذكورا . ثم قال .

وَارْفُ مَا أَوْهَتْ يَدَاكَ وَإِنْ وَهَى أَيْضاً فَبَابُ العَفْوِ لَيسَ بِمُوصَدِ
وَالغَيْثُ يُصْلِحُ مَا استَحَالَ بِبَرْدِهِ وَدَوَاهُ شَقٍّ أَنْ يُخَاصَ بِمِسْرَدِ
وارْكَبْ جَوَادَ العَزْمِ مُرْتَاضاً فَمَا نَالَ المَدَى فى المَجْدِ غَيرُ المُجْوِدِ
وارْكُضْهُ فِى مِيدَانِ ذَاكَ فَمَا اسْتَوَى نَيْلَ المُجِدِّ بِهِ وَنَيْلُ المُرْوِدِ

الرفوا الإصلاح والوهى الشق فى الشيء وأوصد الباب أغلقه واستحال الشيء فسد

والحوص الخياطة والمدرد آلته وأجود الفرس واستجاده طلبه جيدا وأجود الرجل صار ذا جواد من الخيل وأرود فى مشيه أمهل. يقول. إذا أفسدت شيئا فاصلحه فيما بينك وبين الله تعالى بالتوبة والاقلاع والندم على ما فات مع تدارك ما يمكن تداركه وما بينك وبين العباد بالتوبة أيضا مع التنصل من المظالم إما بغرم أو استحلال فيما يمكن أو تصدق على صاحب الحق إن لم يوجد وحكم المسألة مفصل فى محله وان وقعت فى زلة أيضا بعد التوبة فلا يبطل ما تقدم من التوبة على الصحيح ولكن عد إلى التوبة فان بابها مفتوح فمتى تعودت نفسك المخالفة فعودها التوبة وقد قال تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) ومثل لذلك بذكر مثلين سائرين. أحدهما قول العرب. الغيث يصلح ما أفسده برده بمعنى أن الصر ييبس الارض والنبات فاذا جاء الغيث صلحت الارض وبرئت آفاتها وكذا التوبة تصلح ما فسد. الثانى قولهم . ان دواء الشق أن تحوصه أى إذا خرقت شيئا فحقك أن تخيطه فذلك دواؤه وكذلك إذا عصيت أو ظلمت أحدا فحقك أن تتوب وتستخرج منه ثم استصحب العزم التام فى سيرك فانه مركوبك فمتى كان جوادا بلغت الغرض وإلا فلا وعليك مع ذلك بالجد والمجاهدة وإياك والتراخى والتوانى وارتعاء روض الامانى. فما نيل مجد بالهوينا أبدا . ثم قال .

وَلَدَى الصَّبَاحِ يَكُونُ إِحْمَادُ السُّرَى ... ولَدَى الرِّبَاحِ رِضَا التِّجَارِ الكُدَّدِ
وَالوَجْهُ ذُو شَحْطٍ عَلَى مَنْ رَامَهُ ... يُعْيِيَا عَلَى العَوْدِ النُّبَاطِى الأَجْلَدِ
وَمَجَاهِلٌ مَا لِلْقَطَا بِفِجَاجِهَا ... سُبُلٌ وَلاَ فِيهَا دُعَيْمِيصٌ صَدِى
وَمَدَاحِضٌ مَنْ زَلَّ فِيهَا يَعْتَلِقْ ... أَشْطَانَ شَيْطَانٍ غَوِىٍّ مُفْسِدِ
وَمَخَاوِفٌ مَنْ شَذَّ عَنْ رُفَقَائِهِ ... فِيهَا تَرَوَّى مِنْ لُعَابِ الْعِرْبِدِ

الوجه الجهة التى يريدها المسافر والمراد هنا جهة السلوك إلى حضرة ملك الملوك والشحط البعد والعود المسن من الابل والنباطى نسبة إلى النبط فان ابلهم قوية ولذا قال امرؤ القيس .

على لاحب لايهتدى بمناره  إذا سافه العود النباطى جرجرا

والأجلد الأقوى والمجهل ماليس له أعلام يهتدى بها ولذا وصفه بأن القطا لايهتدى فيه وهى أهدى الطير ودعيميص عبد خريت ماهر يقال له دعيميص الرمل وماكان يدخل أرض وبار غيره وهى أرض بين اليمن ورمال يبرين سميت بوبار بن إرم فلما أهلك الله أهلها عاداً سكنتها الجن فما يقدر أحد أن ينزلها فقام دعيميص هـذا فى الموسم وجعل يقول .

فمن يعطنى تسعا وتسعين بكرة  هجانا وأدما أهدها لوبار

فقام رجل معه وأعطاه وتحمل معه بابله فلما توسطوا تلك الرمال طمست الجن عين دعيميص فحار وهلك فيها ويقال هو دعيميص هذا أى عالم به وصدى الانسان بالكسر والهمز انتصب فنظر والمدحض المزلق والزلل السقوط والشطن الحبل جمعه اشطان والمخاوف جمع مخافة وشذ عن الناس انفرد عنهم والعربد كزبرج الحية يقول : إن هذا الوجه الذى أنت قاصده أيها المريد السالك ذو بعد على من أراده لو سلكه العود النباطى القوى لغلبه وفيها مجاهل تحار فيها القطا ولاتجد سبيلا وماقام فيها قط دعيميص ينظر أين الطريق بل هى فوق ذلك كله ، وذلك المنازل والمقامات والأحوال وما يعتدى من الخواطر ويقع من التصرفات ويعترض من الجزئيات التى تحتاج إلى شيخ ناصح أو أخ صالح فيها مزالق من شذ فيها عن القوم وخرج عن المنهج لم يعدم حية تسقية لعابها وترويه من سمها فتقتله أو تضنيه أو تكربه والمراد أن يقع فى كفر أو بدعة أو حيرة أو خفة عياذا بالله ولا سيما فى مجاهدة الفتح وطريقة الانوار فانها اما الملك او الهلك ، نسأل الله من فضله ونعوذ به من الزيغ . ثم قال .

فَلِذَاكَ كانَ عَلَى مُرِيدٍ سَالِكٍ  فِيهَا مُصَاحَبَةُ الدَّلِيلِ المُرْشِدِ

شَيْخٍ بَصِيرٍ رائِدٍ بِكَ وَارِدٍ  شُرَّابِ أَنْقَعَ كُلَّ خَرْقٍ صَيْهَدِ

يَهْدِيكَ مَتْنُ النَّهْجِ فِى ظُلَمِ الدُّجَى  بِسَنًى وإِنْ تَشْكُ النِّفَاضَ يُزَوِّدِ

ويَقِيكَ كَيْدَ حُظَيَّةٍ مَسْمُومَةٍ تُرْمَى بِهَا أَوْ نَفْثَ أَسْوَدَ مُمْغِدِ
وَيُزَاوِلُ الأَدْوَاءَ عَنْكَ فَإِنَّهُ مَنْ يَدْوَ يُسْعَطْ بِالدَّوَاءِ وَيُلْدَدِ

الرائد الطالب الماء والكلأ والوارد الشارب والنقع ما يجتمع فيه ماء المطر ويقال في المثل. هو شراب بأنقع إذا كان خبيرا بالبلد يعرف أنقعها فيقصدها والخرق القفر الواسع والصهد الفلاة لا ينال ماؤها والسنى بالقصر الضوء كما مر والنفاض فناء الزاد ومنه المثل. النفاض يقطر الجلب، وانفض القوم انفضاضا وزوده أعطاه زادا والحظية تصغير الحظوة بفتح الحاء وقد تضم وهي سهم صغير يرمى بها الصبيان ومنه المثل إحدى حظيات لقمان، أي لقمان بن عاد وهي سهامه والأسود الحية كما مر والممغد المصاص مفعل من المغد وهو المص وزاوله عالجه ودافعه والأدواء جمع داء ودوي مرض والسعوط من الدواء ما يفرغ في الأنف ويسعط به واللدود ما يجعل من جانب الفم وقد لده وفي الحديث « لا يبقى أحد في البيت إلا لد » . يقول . فلأجل ما قلنا من صعوبة الطريق وبعدها واشتمالها على المجاهل والمداحض كان من أوكد الأمور على السالك صحبة شيخ يرشده بقوله وفعله ويؤيده بهمته ثم وصفه بأنه ينزل بك المنازل الصالحة من التحقيق ويكون خبيرا بالطريق يهديك الى المحجة الواضحة بعلمه ومدده وان احتجت الى علم أو وقفت همتك أمدك بما تحتاج من العلم والهمة وقد يكون في الزاد الحسي امامن عنده أو بهمته ويقيك سهام النفس والشيطان وسموم الشهوات حفظا بهمته وعلاجا ان سبق القضاء بوقوع شيء من ذلك ويعالج عنك كل داء كان فيك أو عرض لك فان الداء يحتاج الى العلاج بالسعوط واللدود وغيرهما. ثم قال.

فَالنفسُ مُفْعَمَةٌ دَنَايَا مَنْ يَرُمْ مَعَهَا ذُرَا الْمَكَارِمِ يَبْعُدِ
وَمَنِ ابْتَغَى مَعَهَا ارْتِقَاءً لِلْعُلَى يُحْطَطْ وَمَنْ يَلِجِ السُّرَادِقَ يُطْرَدِ
فَتَمَخَّ مِنْ أَدْوَائِهَا وَتَوَخَّ مَا يُرْضِي الإِلَهَ مِنَ الْمَسَاعِي الْقُصَّدِ

المفعم المملوء يقال أفعم القربة اذا ملأها والدنايا جمع دنية وهي كل خسيس مذموم

وولج ولوجا دخل والسرادق ستر ينصب على صحن الدار ويستعار فى الشرف والرفعة كقوله سرادق المجد عليك ممدود وتمخيت من الأمر تبرأت منه وو خيت الشيء وخيا قصدته وتوخيت الأمر تحريته . يقول . انما أكدت فى صحبة الشيخ لنفس صعبة القياد كثيرة العناد كامر فهى مشحونة بالرعونات والصفات المذمومات كل من يروم معها أى مع تلك الدنايا أم مع النفس المشحونة بها أن يدنو من المكارم وهو التحلى بالكمال والتخلق بالأخلاق المحمودة فانه يبعد ولا يحظى بها اذ هى ضد ماهو عليه من صفات نفسه والضدان لا يجتمعان وكذا من طلب الارتقاء الى شرف والبلوغ الى منزلة من ولاية أو صديقية فانه يحط بها الى أسفل سافلين وهو معنى قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) ومن أراد الدخول الى سرادق الملك أى الحضرة الربانية فانه يطرد عنها اذ هو متلوث ويصح أن يكون اشارة الى خيل الحلبة فان الآخر منها كاللطيم والفسكل لا يدخل السرادق فكان حقا عليك أيها المريد أن تتبرأ من أمراض نفسك أى أن تسعى فى ذلك وتتحرى من المساعى مافيه رضا ربك فتقصده وانما يمكنك ذلك بعد الخلاص من النفس وقصد الخلاص منها أول ما تتحرى . ثم قال .

وَلَقَدْ سَقَطْتَ عَلَى الخَبِيرِ بِدَائِهَا ... مِنْ نَجْلِ نَاصِرِ الإِمَامِ الأَرْشَدِ
فَإِذَا غَشِيتَ ذَرَاهُ فَالْزَمْ غَرْزَهُ ... وَاعْضَضْ عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ وَاشْدُدِ
وَاحْطُطْ رِحَالَكَ فِى ذَرَاهُ مُلْقِياً ... أَبَداً عَلَيْهِ شَرَاشِرَ المُسْتَنْجِدِ
وَاخْلَعْ إِلَيْهِ بِكُلِّ أَمْرِكَ وَلْتَكُنْ ... فِى حَجْرِهِ مِثْلَ الصَّبِىِّ المُغْتَدِ

الغرز مايدخل فيه الراكب رجله فيقول الزم غرز فلان أى سر معه أينما سار والنواجذ بالمعجمة أقصى الأضراس وقيل الأنياب أو التى تليها وقيل الأضراس كلها والعض بها كناية عن الاستحكام من الشيء ولزومه وحط الرحال عبارة عن الوصول الى ما لا يطلب وراء والشراشر النفس والاثقال والإمغاد الارضاع كامر . يقول . إنك أيها

المريد إذا هالتك عيوب نفسك وأردت التخلي منها فقد وقعت على من هو خبير بها وهو الإمام ابن ناصر ومن إن كانت للبيان فظاهر وان كانت للابتداء فهي تجريد كما تقول لي من فلان صديق حميم أي بلغ من الصداقة حدا يمكن أن يستلخص منه آخر فيها معه فاذا بلغت حماه فالزمه ولا تفارقه وشد عليه يد الضنين فلا تسخ به واحطط عنده رحالك مستنجدا به أي مستنصرا واخلع إرادتك واجعلها في يده فما أمرك به فائتمر ولا يكن لك معه تقديم ولا تأخير ولا تأويل وكن كالصبي في حجره . ثم قال :

لا تَعْجِزَنْ عَنْهُ فَتُصْبِحَ كالّذِي يَشْكُو الصَّدَى حَوْلَ الزُّلاَلِ المِرْوَدِ
أَوْ يَشْتَكِي ظُلْمًا وَبَدْرٌ طَالِعٌ وسْطُ السَّمَاءِ بِجُنْحِ لَيْلٍ مبرَدِ
أَوْ كالذِي قَرِحَتْ بُطُونُ جُفُونِهِ مَرَهًا واثْمِدُها لَدَيْهِ بِمِقْـلَدِ

المرود النهر وجنح الليل بالكسر ويضم أيضا طائفة منه وبرد الليل فهو مبرد كمنبر وأبرد دخل في البرد وأبرد الماء جاء به باردا والمره فساد العين من عدم التكحل والمقلد الوعاء والمخلاة. يقول: إياك أن تعجز أيها المريد عن الوصول اليه أو عن صحبته فتصير عطشانا والماء الزلال قريب منك أو تكون كالذي يرى أنه في ظلمة الليل والبدر طالع ولم ينتفع به مع كونه في وسط السماء وهي ضاحية أو كالذي فسدت عينه من عدم الكحل وهو موجود معه في وعائه لو حرك يده لاخذه بلا كلفة . ثم :

فَهُوَ الذِي يَغْذُوكَ مِنْ نَفَحاتِهِ بَجَدًى مِنَ الأَنْوَارِ غيرَ مُصَرَّدِ
ويُسِيغُكَ الأَفْضَالُ رَحْبًا مُمْرِعًا أَكْنَافُهُ إِنْ ضَاقَ كلُّ مُزَنَّدِ
يَحْزُ مَتَى تُقْبِلْ إِلَيْهِ لا تَجِـدْ كُلَفَ السُّؤالِ ولا هَرِيرَ الأَعْقَدِ
وَمَتَى يُنِخْ رَكْبٌ عليهِ فانْتَدَوْا صَارُوا مُنَاخًا للوُفُودِ القُصَّدِ

أمرع الوادي ومرع مراعة أعشب والمزند بالفتح البخل والهرير صوت الكلب دون النباح والاعقد الكلب. يقول: إن هذا الشيخ هو الذي يغذوك أيها المريد من نفحاته

أى النفحات الربانية الآتية على يده بجدى وهو المطر كما مر غير أنه هنا من الانوار الربانية وهو غير مصدر أى غير مقلل وهو أيضا يسوغك من افضاله إفضالا رحبا أى واسعا خصيب الاكناف إن ضاق كل بخيل أن تجد عنده مثل هذا الفضل وهو بحر أى واسع الخير متى أقبلت اليه لم يتعجب من إقبالك ولم تسأل لكثرة الواردين مثلك ولم تهرك الكلاب لإلفها للناس وهذا من قول حسان .

يغشون حتى ما تهر كلابهم    لا يسألون عن السواد المقبل

وقد قيل انه أمدح بيت قالته العرب ، وقال .

وكلبك أرأف بالزائر ين من الام بالابنة الزائره .

ومتى أناخ أحد بهذا الشيخ طلبا للنوال معه فانه يغنيه حتى يصير هو مناخا للناس . ثم قال .

شَرَفاً لِدَرْعَةَ إذْ تسمّى باسْمِهَا    نَسَباً وإذْ وَافتهُ أوّلَ مَوْلِدِ

وَلِغَرْبِنا إذْ كانَ مِنهُ أرْضُها    ولِسَائِرِ الدُّنيا بهذا المَقْصِدِ

بَلَ لِلسَّمٰوَاتِ العُلٰى إذْ كانَ منْـهَا رُوحُهُ    فَلْتَعْلُ منْهُ وتَمْجُدِ

يقول شرفت درعة بدال مهملة وهى بلد الممدوح شرفا حيث تسمى باسمها نسبا فقيل درعى وحيث وافته أى لقيته أول مولد أى أول الولادة فكانت مسقط رأسه فالمولد هنا مصدر كما رأيت وهى فى قوله أول القصيد عن والدين ومولد مكان فلم يتكرر اللفظ فى القافيه لاختلاف المعنى وشرف غربنا كله شرفا اذ كانت منه درعة ثم شرفت الدنيا كلها اذ كان منها الغرب أو درعة بل للسموات شرف اذ كان منها روحه ابداعا وتنزلا كسائر الارواح فحقها ان تعلو بذلك وتمجد اى تزداد علوا ومجدا لانها قد علت قبل بأرواح الانبياء والصديقين والعلو مما يقبل الزيادة ولو باضعف ما كان أولا . ثم قال .

شَمْسُ الزَّمَانِ وَسَعدُهُ وَملاذُهُ    وَجَدْىُ المَحِيلِ وغُنْيَةُ المُسْتَرْفِدِ

فَالدَّهْرُ نُورٌ لَيْـــلُهُ وَنَهَارُهُ ... مِنْ نُورِهِ مُعْطٍ يَدَ الْمُتَعَبِّدِ
حَتَّى تَوَهَّمَ سَبْعَ أُمَّاتٍ لَهُ ... زُوِّجْنَ مِنْ رُومٍ بِسَبْعَةِ أَعْبُدِ

الملاذ الملجأ والمحيل الارض الجدبة يقال أرض محلة ومحل ومحول ومحلت الارض فهى ماحل وماحلة ومحيل للمبالغة والرفد الإعطاء والمسترفد طالبه والمتعبد المتذلل والامات جمع أمة. يقول. إن هذا الشيخ هو شمس الزمان لإشراقه به فى قلوب المؤمنين علما ومعرفة وصلاحا وهداية وهو سعده لظهور هذه الخيرات به وهو ملاذه أى ملجأ أهله فى دينهم ودنياهم وهو جدىٰ أى غيث الارض المحل بما يظهر مع وجوده بما مر من البركات فى الارزاق والاعمال وغير ذلك مما لا يحصى من المنافع التى يسديها المولى تعالى ببركة وليه وهو غنية أى كفاية المسترفد فى العلم والنور والهداية والكفاية وقد يكون فى الدنيا أيضا إما من يده وإما بدعائه وهمته فالدهر وجوده كله منور ليله ونهاره وأولياء الله هم نور الدنيا والدهر مع ذلك معط يد الطاعة له حتى إنه لو نظر فيه المتفكر لتوهم أن الايام والليالى عبيد له وإماء فكان سبعا من إماء الزنج زوجت بسبعة أعبد من الروم وهذا المعنى قد تعاطاه الشعراء مبالغة وتمليحا واذا كانوا يركبون ذلك فى الملوك أبناء الدنيا ففى اولياء الله أهل التصرف فى الوجود أولى فان الولى إذا جعل فى مرتبة التصرف أمكن أن تكون الكائنات كلها تحت طوع يده باذن الله تعالى الذى يقول للشيء كن فيكون فيتصرف فى الزمان كما يتصرف فى غيره.
وقد حدثونا عن سيدى عبد الله الغزوانى دفين القصر من حضرة مراكش حرسها الله تعالى أنه خرج ذات مرة الى بعض القبائل لإيقاع صلح فى أمر وقع فلما راح إليهم افتتح الذكر فتواجد الناس كلهم حتى اختلط الفريقان ولم يزل ذلك دأبهم جميع الليل وكان ذلك فى رمضان فلما علم الفجر صاح الناس وأشفقوا من بقاء الناس بلا سحور وأعلموه فقام وقال بأمر الله ارجع أو كما قال فذهبت تباشير الصبح التى ظهرت وأقبل الليل بظلام كما كان حتى تسحر الناس واكتفوا وفرغوا فعند ذلك جاء الفجر وأصله استيقاف الشمس ليوشع ثم لنبينا عليهما الصلاة والسلام وكل ذلك فعل الله تعالى

وارداته إذلا تأثير لمخلوق فى شىء من الأشياء وانما الولى ظرف تجرى فيه هذه التصاريف وعلى يديه إذا أراد الله وقوع شىء جعل فى قلب الولى إرادته فيوقعه تعالى على وفق ذلك ومتى لم يرد وقوع شىء لم يجعل فى قلب الولى إرادته فليس ثم إلا الله وحده لاشريك له فافهم . ثم قال :

زَمَّ الرِّكابَ مُشَرِّقاً فَعَجِبْتُ مِنْ     شَمْسٍ تُشَرِّقُ فَوْقَ ظَهْرِ الْفَدْفَدِ
حَتَّى بَدَا لى أَنَّها شَمْسُ الضُّحَى     ذَهَبَتْ لَمَطْلَعِها الأَجَلِّ الأَصْعَدِ
وَجَدَى جَلاَ بالغَرْبِ مَحْلاً فانْتَحَى     لِلشَّرْقِ رَائِحُ مُزْنِهِ والمُغْتَدِى
وَوَلِىُّ قَوْمٍ آبَ نَحْوَ مَلِيكِهِ     مُسْتَحْدِثاً لِلْعَهْدِ خَيْرَ مُوَفَّدِ
فأَتَى بِمَنْشُورِ الوِلايَةِ ثَانِياً     أَوْفى بِهَا مِمَّا أَتَى بَادِى بَدِ

زم البعير جعل له خطاما ويكون ذلك لقصد الارتحال والسير وشرق تشريقا توجه الى المشرق والفدفد الفلاة والأصعد الأرفع وانتحى قصد ووفد عليه قدم ووفده توفيدا استقدمه والمنشور ما يكتب من عهد لمن ولى خطه وفعل كذا بادىء بدء وبادى بدى أول شىء وخففا معا فى البيت . يقول : ارتحل هذا الشيخ الى الشرق وهو شمس الدنيا كما مر فعجبنا كيف تذهب الشمس الى جهة المشرق مع أن حركتها الظاهرة وهى القسرية إنما هى فى السماء فالعجب من الأمرين ووجه تناهى التشبيه قضاء حق المبالغة كما فى قوله :

قامت تظللنى ومن عجب     شمس تظللنى من الشمس

ثم أخبر أنه ظهر له أن الشمس إنما تذهب لمطلعها ولكن من تحت الارض فهذه كذلك ولكن فوق الأرض وأنه غيث أصاب المغرب حتى اكتفى وتجلى عنه المحل فتولى المشرق مزنه الرائح والغادى وأنه ولى على قوم وهم أهل المغرب ثم ذهب وافدا على مليكه الذي ولاه يستجد عهد الولاية وهو هنا الله ورسوله وقوله أتى بمنشور الولاية هنا متوجه للمعنيين وكذا ولى قوم فافهم . ثم قال :

وَفى مقَامات الهُدَى فَسَمَتْ بِهِ    لِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ هِمَّــةُ مَنْهَدِ
وَغَدَا إلى بَيْتِ المَطَافِ بُعَيْدَ مَا    أَضْحَى مَطَافاً لِلْوُفُودِ الصُّمَّدِ
فَغَدَا لَبانُ الغَرْبِ مِنْهُ عَاطِلاً    وَعلاَ لَبانُ الشَّرْقِ أَسْنَى مِنْجَدِ

مقامات الهدى هى مقامات اليقين من التوبة والزهدوالتوكل والتفويض ونحوها ومقام ابراهيم يراد به الحجر المعروف أو المكان كله أو درجته عند الله تعالى أو فى العلم واليقين والمنهد مفعل من النهود كأمر والصمد القاصدون واللبان الصدر والعاطل الخالى من الحلى والمنجد بالكسر حلى مكلل بالفصوص فى عرض شبر يكون فى موضع النجاد من العنق إلى أسفل الثديين. يقول: ان هذا الشيخ بعد أن وفى مقامات اليقين فاستولى عليها تحققا وذوقا ارتفعت به الهمة النهادة الى المعالى طلبا لمقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام أى بيت الله الحرام أو مقامه من الله تعالى اتصافا وتحققا كما اشتهر أن أولياء الله منهم من يكون قلبه على قلب ابراهيم وفى الكلام توجيه وذهب الى بيت الله الحرام الذى هو مطاف أى مكان طواف بعد ما كان هو أيضا مطافا للوافدين من المريدين والمتعلمين والزائرين فصار الغرب بعده عاطلا من حلية لأنه كان زينة وصار منه على الشرق حين وصل اليه أبهى زينة. ثم قال

فالغَرْبُ مُذْ فَازَتْ بِهِ أَيْدِى النَّوَى    كَمُغِيبَةٍ مُذْ وَدَّعَتْ لَمْ تَهْجُدِ
وَكَأَنَّهُ مُذْ بَانَ جَفْنٌ بَانَ عَنْــهُ نَوْمُهُ    أَوْ سَيْفُهُ مِنْ مَزْأَدِ
وَنَهَارُهُ مُذْ بَانَ لَيْسَ بِأَبْيَضٍ    وَاللَّيْلُ إِذْ وَافَاهُ لَيْسَ بِأَسْوَدِ

المغيبة المرأة يغيب بعلها وهجد هجودا نام والجفن جفن العين المنطبق عليها وجفن السيف هو الغمد والمزأد مفعل من قولك زئد فهو مزءود أى خائف مذعور وزأده أفزعه يقول: ان الغرب مذ ذهب عنه الشيخ بمنزلة المرأة التى يغيب عنها زوجها فلا تنام حتى يرجع أو بمنزلة الجفن أى جفن العين يذهب عنه نومه او جفن

السيف يذهب عنه سيفه بالاستلال لقرع وقد استعمل المشترك فى معنييه معا فالنهار حين بان ليس بأبيض لغلبة ظلام الجهل والبدع والليل حين حضر ليس بأسود لإشراق الهدى والسنة والدين . ثم قال :

وَافَى فَأَشْرَقَتِ الْبِلَادُ وَأَيْنَعَتْ  ثُمُرُ الْمُنَى مِنْ كُلِّ فَرْعٍ مُنْقِدِ
تَهْتَزُّ عَنْ طَرَبٍ كَمُظْلِمِ مَهْمَهٍ  سِيمَ الضَّلَالُ فَلَاحَ بَدْرٌ مُنْتَدِ
وَتَقُولُ أَهْلًا بِالْإِمَامِ وَمَرْحَباً  قَوْلُ الرُّبَا لِلْغَيْثِ بَعْدَ الْمُجْهَدِ
فَرَحَ الْمُبَشَّرِ بِالْغُلَامِ بُعَيْدَ مَا  يَأْسٍ وَمَظْلُومٍ هَضِيمٍ مُنْجَدِ

وافى أتى وأينعت الثمرة وينعت حان قطافها وأنقد الشجر أورق والمنتدى الطالع وأصله قولهم ندأ علينا فلان بالهمز إذا طلع فتقول منه انتدأ فهو منتدىء ويخفف كما فى البيت وهضمه ظلمه واهتضمه فهو مهضوم وهضيم وأنجده نصره وأعانه .
يقول: وافى هذا الشيخ أى بلغ إلينا فأشرقت البلاد بوجوده وطابت ثمار المنى فمن كانت له منية خير أدركها ببركته ومتى تمنى هذا الأمر قبل ذلك فهذا حين أدرك تهتز أى البلاد طربا كما يهتز المظلم أى الداخل فى ظلمة فى مهمه توقع الضلال عن الطريق فلاح بدر طالع فذهب كربه وأمن مما خاف وهذا المعنى مثل ما وقع للاعرابى الذى ضل عن ناقته بالليل فجعل يطلبها حتى أعياه الطلب فاذا بالبدر قد طلع فبصر بناقته قريبا منه ففرح ولم يتمالك أن نظر الى البدر فقال يثنى عليه :

ماذا أقول وقولى فيك ذو حصر  وقد كفيتنى التفصيل والجملا
إن قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا  أو قلت زانك ربى فهو قد فعلا

وتقول هذه البلاد أهلا ومرحبا وتفرح أيضا فرح الآيس من الأولاد لكبر أو طول فقد اذا بشر بغلام وفرح المظلوم إذا نصر وأزيلت ظلامته . ثم قال

فَلَدَيْهِ حَجٌّ وَحِجٌّ أَشْرَقَا  فى أُفْقِ مَجْدٍ قَدْ بَنَاهُ مُشَيَّدِ
وَمَآبُهُ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ بَعْدَ مَا  حُجِبَتْ بِنُورٍ سَاطِعٍ مُتَجَدِّدِ

وَأَيْهَنِئْنَا بِلِقَائِهِ مَحْفُوظَــةً . سَاحَاتُهُ نَيْلُ الأَمَانِى الرُّغَّدِ

الهنىء والمهنىء ما أتاك بلا كلفة وقد هنأنى الطعام وهنألى يهنأ ويهنى. وتقول لصاحبك ليهنئك كذا وهو التهنئة والحج لم يعقد بعلامة التثنية لقصد التفصيل وكأنه قيل حج أولا وحج ثانيا ومثله قول الحجاج حين نعى اليه ابنه وأخوه: محمد ومحمد فى يوم ، أى محمد ابنى ومحمد أخى ، نظمه الفرزدق فقال :

إن الرزية لا رزية مثلها　　فقدان مثل محمد ومحمد

وقد يقع مثل هذا التعبير لقصد الكثرة كقول جرير :

تخدى بنا نجب أفنى عرائكها　　خمس وخمس وتأويب وتأويب

والمآب الرجوع ويقال رغد العيش بالكسر والضم إذا اتسع ويجوز أن يؤخذ من المكسور راغد إن سمع أو منهما معا بقصد الحدوث فيجمع على رغد كما فى البيت . يقول: فليهنىء الشيخ فوزه بحجتين قد أشرقتا فى أفق المجد المشيد الذى بناه من قبل بعلمه وعمله فكانتا زيادة فيه وليهنه مآبه إلى وطنه واجتماعه بمسكنه منورا ظاهر الخير كالشمس تطلع بعد مغيبها بنور ساطع قوى وليهننا نحن أيضا معشر أصحابه أو الوافدين عليه نيل الأمانى الواسعة بسبب لقائه فى عافية وسرور محفوظة ساحاته أى نفسه ودينه أو من يتعلق به. واعلم أن هذه التهنئة هى الأمر الباعث على هذا القصيد أولا فليسم هذا القصيد بالتهانى. وليسم هذا الشرح بنبيل الأمانى فى الشرح التهانى والله الموفق.. ثم قال:

يَاحِرْزَ كُلِّ مُوائِلٍ وغِيَاثَ كُلْـ　　ـلِ مُؤَمِّلٍ وسِرَاجَ كُلِّ مُبَلَّدِ

وَافَتْكَ بِكْرٌ بِنْتُ فِكْرٍ سَادِرٍ　　تُجْلَى حَيَاءً فى رِدَاءٍ مُجْسَدِ

بَلْ عَنْسُ عَجْفَى مُسْنِتِينَ تَلُفُّهُمْ　　هُوجُ الرِّيَاحِ إِلى الكِرَامِ الرُّفَّدِ

غُدِيَتْ بِرُخْصِ العَبْهَرَيْنِ وَأُنْجِدَتْ　　بِالعِيدِ وَالْيَعْضِيدِ كُلَّ الْمَنْجَدِ

سَبَقَتْ إِليْكَ معَ الظَّلَامِ بِوَاكِرَ الْـ　　ـغِرْبَانِ بَيْنَ مُشَيِّعٍ وَمُغَرِّدِ

وتَجَشَّمَتْ أَخْطَارَ أَقْطَارٍ مَتَى　　أَسْرَى بِهَا طَيْفُ الخَيالِ يُهَيِّدِ

مِنْ كُلِّ مَاعَلَمٍ دُوَيْنَ النَّجْمِ لاَ　　يَسْمُو إِلَيْهِ الطَّرْفُ بَعْدَ المُنْجِدِ

وَتَنُوفَةٍ فَضْفَاضَةِ الأَذْيَالِ لاَ ... تَهْدِي مَنَائِرُهَا وَخَلّ جُنْجُدِ
مَشْمُولَةٍ مَجْنُوبَةٍ مَصْبُوَّةٍ ... مَدْبُورَةٍ صَدْرَ الخَلِيطِ المُصْعِدِ
وَحِلاَلُهَا عَلْيَا صِفَاتُكَ وَالحُلَى ... فَأَتَتْ بَهِيجَةَ كَاهِلٍ وَمُقَلَّدِ
تَرْجُو قَبُولَكَ وَالأَمَانُ لِمُشْعَرٍ ... بِذُنُوبِهِ مِثْلَ الهَدِيِّ مُقَلَّدِ

الحرز الحصن والموائل الملتجيء يقال وأل اليه وواءل وألا ومواءلة لجأ اليه ورجع فهو الموائل والمؤمل الراجي وبلد تبليدا لم يتجه لشيء فهو مبلد والسادر المتحير وتجلى تظهر كما تجلى العروس والجسد والجساد الزعفران وثوب مجسد مصبوغ به والرخص الناعم والعبهرين النرجس والياسمين والعيد والبعضيد من نبات البادية ومجدت الإبل وأمجدت وقعت في الكلأ الكثير ومجدتها أنا وأمجدتها أشبعتها والممجد بفتح الميم والجيم مصدر بمعنى الامجاد وبكر الغراب وغيره بكورا فهو باكر والمشيع المصحوب بغيره والمفند ضده وهيده الشيء تهييدا أفزعه وزجره والعلم الجبل المرتفع والطرف ناظر العين والمنجد الجبل الصغير والتنوفة المفازة والفضفاض الواسع والمنائر جمع منار أو منارة وهو ما يهتدى به في الطريق والخل الطريق يخرج بين الرمل الجنجد الجبل من الرمل الطويل فهو على حذف مضاف أي خل ذي جنجد أو يقرأ خل جنجد بالاضافة والمشمول الذي أصابته الشمال بالفتح وهي الريح تهب من ناحية الشمال بالكسر وكذا المجنوب أصابته الجنوب والمصبو أصابته الصبا والمدبور أصابته الدبور والخليط الخالط للواحد والجنس وهم هنا الرفقاء وأصعد في الأرض ذهب فيها والحلال جمع حلة من اللباس معروف والحلى جمع حلية كامر والبهيج الحسن المتزين والكاهل ما بين الكتفين وقيل ثلث الظهر الأعلى وقيل غير ذلك والمقلد موضع القلادة والهدي بالتشديد واحد الهدايا وإشعاره بأن يجرح وتقليده بأن يجعل في عنقه قلادة معروفان . ولما فرغ من التهنئة وما وطيء لها أخذ في الاستعطاف على ما هو شأن الشعراء في آخر القصائد فقال مخاطبا للممدوح ياحرز أي حصن كل موائل أي لاجيء اليك وغياث كل راج لمعروفك وسراج كل متحير في أمره وافتك أي جاءتك مني بكر أي قصيدة بكر لم تستعمل ولم تعرف قبل فشبهها بالبكر من النساء التي

تهدى عروسا وهذا المعنى مستعمل عند الشعراء فى المعانى المخترعة وهذه القصيدة منها ماهو كذلك ومنها ماهو مأخوذ ولكنها بجملتها كذلك وهو المراد ووصفه هذه البكر بأنها بنت فكر لأنه هو الذى استنبطها ولكنه فكر سادر بالهموم والأشغال فما نشأ عنه من خير فهو من فضل الله تعالى ، وما كان من غير مرضى فليس بغريب ولذا قال إنها تجلى بحياء كلابس الثوب المزعفر بل هى بمثابة عنس وهى الناقة الصلبة يحمل عليها عجفى جمع أعجف أى مهزول مستتون اصابتهم السنة وهى الجدب تلفهم الرياح الهوج جمع هوجاء وهى الريح العاصف تقلع البيت إلى الكرام الرافدين من أتاهم وأخبر ان هذا العنس غذيت أى أطعمت الناعم من العبهرين وأشبعت من العيد واليعضيد كل الإشباع وأراد بذلك وصف القصيدة وأنها لم تخل من رقة ألفاظ الحاضرة ، وإلى ذلك أشار بالعبهر لأنه أراد البستانى ولم تخل أيضا من نصاعة ألفاظ العرب أهل البادية ، وله أشار بالعيد واليعضيد واجتماع النوعين فى القصيدة الواحدة لا يستنكر ولاسيما إذا روعى فى ذلك مناسبة اللفظ للمعنى فانه فى المحسنات كقول زهير :

وقفت بها من بعد عشرين حجة  فلأيا عرفت الدار بعد توهم
أثافى سفعا فى معرس مرجل  ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها  ألا عم صباحا أيها الربع واسلم

والأنسب فى هذا القصيد أن ما كان منه فى سرى الليالى وسير المطايا وقطع المفاوز ونحو ذلك بما هو شأن العرب أن يجلى فى منصة كلامهم بالألفاظ الجزلة وما كان منه فى ذكر الأزهار والأنهار والرياض والحياض ونحو ذلك مما يولع به أهل الحضر أن ينظم فى سلك كلامهم رقة ولطافة وما كان منه فى المديح والوصايا والحكم والأحكام ونحو ذلك مما هو قدر مشترك أن يتوسط فيه وأخبر أيضا أنها أسرعت اليه فسبقت بواكر الغربان وهى تبكر تارة مع غيرها وتارة وحدها وتجشمت فى سيرها الأخطار فى أقطار أى جهات بعيدة مخوفة لو سرى فيها الطيف لفزع ، فكيف بمن يبصر بعينيه ونسبة الفزع إلى الخيال من ألطف ما يكون : وكذا نسبة القصور كما فى قول المعرى .

وغدوت طيفك فى الجفاء لأنه  يسرى فيصبح دوننا بمراحل

وبين تلك الأقطار فقال من كل ماعل أى جبل قريب من النجوم لا تتطاول اليه عيون

الناظرين لعلوه بعد الجبال الصغار ومن كل فلاة واسعة لاتهديك منائرها أى ليس فيها منار يهتدى به فهى بمجهل وهذا كقول امرىء القيس .

على لاحب لا يهتدى بمناره   إذا ساقه العود النباطى جرجرا

لأنه إذا لم يكن فيه منار صدق عليه أنه لم يهتد بمناره وصدق أنه لم يهدك منار ومن طرق بين الرمال صعبة على السالكين حالة كونها تراوحها الرياح الأربع وكل ذلك تقاسيه حرصا على لقائك وقد أتتك وصفاتك الكريمة الفاضلة هى حليها وحلاها أى إنما تزينت بما وقع فيها من صفاتك والثناء عليك وعلى سيرتك فتزين كاهلها بالحلل ومقلدها بالحلى ترجو بذلك كله القبول لها ولصاحبها والإقبال والأمان منك باذن الله والأمان من الله على يدك لرجل مخلط قد أكثر من الذنوب حتى اشتهر بها اشتهار الهدى بالإشعار والتقليد ، يعنى نفسه ثم قال .

وَجِلٍ لِمَا اكْتَسَبَتْ يَدَاهُ مُشْفِقٍ   خَجِلٍ مِنَ السَّطْرِ الْمُسَوَّدِ مُخْرِدِ

غَلِقٍ بِأَغْلَاقِ التَّبَائِعِ ظَهْرُهُ   ورهَانُهُ إِنْ لَمْ تُدَاوِ وَتَفْتَدِ

الوجل بكسر الجيم الخائف والخجل المستحيى وأخرد استحيا أو سكت عن ذل والسطر المسطر أى المكتوب ويقال غلق ظهر البعير إذا دبر دبرا لا يبرأ وغلق الرهن ذهب فى الدين والاغلاق جمع غلق وهو ما يغلق والتبائع جمع تباعة بالكسر وهى الظلامة ولفظ وجل بالجر وصف لما قبله أى ترجو الأمان لمشعر بذنوبه وجل لما اكتسبت يداه من الذنوب مشفق على نفسه من المؤاخذة خجل ساكت لا يستطيع كلاما من المكتوب المسود بالخطايا يعنى صحيفته غلق ظهره ورهانه استعمالا للفظ المشترك فى معنييه على أنه جائز وهو الصحيح وتقدم أيضا مثله فى جفن وقوله تداوى هو بحسب المعنى الأول وهو الدبر وقوله تفتدى بحسب المعنى الثانى وهو البقاء فى الدين جعل التبائع إغلاقا على الظهر ثم قال

يَرْجُو السَّعَادَةَ وَالْوُصُولَ إِلَى الْعُلَا   لَوْلَا وُجُودُكَ فِى الزَّمَانِ الْأَبْعَدِ

مُتَمَنِّيًا شَأْوَ الَّذِينَ تَوَسَّطُوا   كَبِدَ السَّمَاءِ عَلَى مَشْيِ الْأَكْبَدِ

وَبِفِكْرَةٍ مَفْلُولَةٍ وَعَزِيمَةٍ   رَذِيتْ وَقَلْبٍ لِلْبَطَالَةِ مُخْلِدِ

وَيَرُومُ صَفْوَ الوِرْدِ وَهُوَ مُكَدَّرٌ ... بِهَوَاهُ حَيْثُ صَفَا لِكُلِّ مُغَرِّدِ
وَيَرُومُ سَعْياً وَهُوَ عَانٍ مُوثَقٌ ... بِحُظُوظِهِ رَوْمَ الطَّرِيحِ الأَقْعَدِ

الأبعد مالاخير فيه وردى الشيء فهو ردى والجمع ردايا وهو الذى أضعفه المطر ويطلق على الضعيف مطلقا وغرد الرجل تغريدا تفقه واعتزل للعبادة وفى الحديث: «سبق المفردون (١) » وهم المستهترون بذكر الله تعالى. يقول: إن هذا الرجل الموصوف فيما قبله يرجو السعادة أى حصول آثارها والوصول إلى المنازل العالية فى الدين والصلاح فى زمن نحس لاخير فيه لولا أنك موجود فيه ففى الكلام تقديم وتأخير وانما يرجوه مع ذلك بفكرة عنده مفلولة بالجود الأصلى العوارض المكدرة وعزيمة ضعيفة لاتنهض لخير وقلب مخلد إلى البطالة ساقط ويروم ورود الصافى وهو مكدر بهواه ويروم سعيا فى مقامات السالكين وهو عان أى أسير شهواته موثق بحظوظه فهو فى ذلك كالطريح فى الأرض المقعد يروم مشيا . ثم قال :

فإِذَا عَقَدْتَ لَهُ جِوارَكَ لَمْ يَخَفْ ... مِنْ مُبْرِقٍ أَبَداً وَلا مِنْ مُرْعِدِ
فإِذَا حَذَبْتَ بِضَبْعِهِ فَأَقَمْتَهُ ... لَمْ يَحْتَبِلْ بِمُصَفِّدٍ ومُشَرِّدِ
إِنَّ الكَرِيمَ وأَنْتَ ذَاكَ مُؤَمَّلٌ ... لِفِكَاكِ مَصْفُودٍ وغُنْيَةِ مُصْفِدِ

الجوار بالكسر الذمة يقال أجاره وعقد له ويقال أيضا أجاره إذا أنقذه واجاره إذا خفره وبرق ورعد وأبرق وأرعد تهدد وتوعد وأصله فى السحاب، ومن اللغويين من ينكر الرباعى فى هذا المعنى وهو مستعمل كما فى قوله :

أبرق وأرعد يا يزيـ ... ـد فما وعيدك لى بضار

والضبع بضم الباء وتسكن تخفيفا العضد وصفده صفدا وصفده تصفيدا قيده وشرده تشريدا طرده وأصفده أعطاه . يقول: إنك إذا أعطيته ذمة فكان فى جوارك لم يبال بمن برق ولا بمن رعد واذا أخذت بعضده فأقمته لم يبال بمن يروم تصفيده أو تشريده عن أبواب الخير وهو الشيطان والنفس والدنيا ، فان الكريم من الناس ليس فى الوقت إلا أنت مرجو لفكاك مصفود أى لأن يجيره من القيد أو ينقذه منه إذا

---

(١) هذه المادة والحديث بالفاء لا بالغين وبقية الحديث وهم المستهترون بذكر الله كما فى النهاية

وقع ومؤمل لغنيمة مصفد أى لأن يغنى طالب الصفد وهو العطاء أو يغنى من أعطى قبل شيئا لا يكفيه . ثم قال

فاسْلَمْ لِدَهْرٍ كُنْتَ شَمسَ نَهَارِهِ ... والبَدْرَ فيهِ بِلاَ كُسُوفٍ يَعْتَدِ
وَلأُمَّةٍ تَخِذَتْكَ حِصْناً حَيْثُمَا ... فَزِعَتْ وَغَيْثاً حَيْثُمَا لَمْ تَعْهَدِ
إِنْ يَشْتَكُوا خَطْباً تَكُنْ مِنْ دُونِهِ ... أَوْ يَرْتَجُوا عُظْمَ الرَّغَائِبِ تُسْعِدِ
سَعِدَتْ بِغُرَّتِكَ اللَّيالى واسْتَمَتْ ... وَمَنِ انْتَمَى لِذَوى السَّعَادَةِ يَسْعَدِ

العهد المطر بعد المطر جمعه عهاد وخطوب الدهر صروفه المهمة . يقول : اسلم أيها الشيخ أى سلمك الله وأبقاك الدهر أى زمان أنت نوره فأنت شمس نهاره وبدر ليله غير أنك لا يعتدى عليك بفضل الله ومنته وحفظه كسوف وبهذا خرج التشبيه عن الابتذال فان أريد حقيقة الكسوف فلا يكون قطعا إذ لا معنى له إلا فى النيرين وان أراد ماهو بمعناه كالسلب والسقوط فلا يكون بفضل الله كما قلت. واسلم أيضا الأمة أى جماعة المسلمين أو جماعة اتباعك وأشياعك تخذوك أى تخذوك حصنا يلجأون اليه عند الفزع والروع وغيثا يشربون به ويخصبون إذا لم يمطروا فمتى اشتكوا خطبا من خطوب الدهر كنت دونه فحلت بينه وبينهم ومتى ارتجوا الرغائب أى العطايا العظمى أسعدتهم بما رغبوا وأوليتهم ماطلبوا فقد سعدت بغرة وجهك الليالى أى وأيامها وذهب منها النحوس فلا يلقى معها الا الخير ومن انتمى أى انتسب نوع انتساب ولو بالمقارنه كالزمان بمن كان فيه من أهل السعادة يسعد بذلك هذا إذا أريد الزمان نفسه فان أريد أهله فالانتماء ظاهر وكذا حصول السعادة إما دائمة واما فى الوقت، وقد حدثنى بعض الاخوان قال قلت للشيخ رضى الله عنه يوما ياسيدى ما يمنعك أن تسال الله لأهل زمانك كافة وأى شىء فى ذلك عند الله تعالى مع أوليائه قال فقال لى أهل زمانى ثلاثة أصناف من كان عليه الطابع فلا كلام فيه ومن أحب فهو لاحق به وغيرهما ينتفع بدعائنا فى الدنيا . حقق الله تعالى ذلك له ولنا بجاهه ولجميع الإخوان وسائر المؤمنين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد ماذكره الذاكرون وعدد ماغفل عن ذكره الغافلون وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآل كل والحمد لله رب العالمين .